جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

أطروحة علمية لنيل درجة الدكتوراة

بعنوان

القضايا البلاغية والنقدية

في كتاب تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون

((الجدِّية))

للإمام صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

عرض ودراسة وتحليل

إعداد الطالب :

إبراهيم نور الجليل المدني محمد

إشراف الدكتور :

محمد الحسن عليّ الأمين

١٤٣٢هـ _ ٢٠١١م

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . والصلاة والسلام على سيد البلغاء ، وإمام الفصحاء ، من شدّت عليه الفصاحة نطاقها ، ومدّت إليه البلاغة رواقها ، ومن أُوتي جوامع الكلم ، القائل : " أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ " النبي المعصوم والصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

لقد اهتم الباحثون قديماً بعلوم البلاغة العربية لما التمسوه فيها من حاجة ماسة لمعرفة أحكام الدين الإسلامي ، ولأنّ فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يحتاج إلى معرفة ودراية تامة باللغة العربية عامة ، وبالبلاغة على وجه الخصوص . فلذا أردت أن أقف على آراء عالم من العلماء الذين أسهموا في إذكاء نور البلاغة ونمو شجرتها الوارفة ، وألقى بدلوه مع الدلاء فخرج بكثير ماء ، وغاص في بحر الضاد فأخرج كريم الجواهر ، وذلك من خلال كتابه **"تمام المتون"** الذي شرح فيه رسالة ابن زيدون **"الجِدِّيَة"** مع العلم أنّ له كتب متخصصة في البلاغة غير تلك التي ينشر فيها آرائه البلاغية مثل "جنان الجناس" و"فض الختام عن التورية والاستخدام" وغيرها ، ألا وهو العالم الجليل أبو الصفاء خليل بن أيبك صلاح الدين الصفدي .

أسباب اختيار الموضوع :

رغبة الباحث وحاجته لمعرفة الصور البلاغية من خلال تناول علماء البلاغة واختلاف آرائهم في قبول النصوص واستحسانها أو ردها أو استقباحها .

أهداف البحث :

- ❖ خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي باعتبارهما المصدرين الأساسيين لكل طلاب العلم .
- ❖ عرض آراء الصفدي البلاغية من خلال شرحه للرسالة .
- ❖ إظهار شخصية الصفدي النقدية من خلال استحسانه وإعجابه بالرسالة وإبدائه بعض المأخذ التي أخذها على ابن زيدون في بعض نصوص الرسالة وطرحه لنصوص بديلة لتلك التي انتقدها .
- ❖ معرفة الفنون البديعة الكثيرة التي ظهرت في عصر الصفدي والتي تتقارب أحياناً في المعنى وتختلف في الاسم .
- ❖ عرض رسالة ابن زيدون وتوضيح اهتمام العلماء والأدباء بها ومعرفة ما تحمله في مضامينها من أسرار بلاغية .
- ❖ توضيح القضايا البلاغية والنقدية وأوجه اختلاف العلماء وأرائهم فيها .
- ❖ إبراز مدى اهتمام العلماء السابقين بالمسائل البلاغية واهتمامهم بها .

أهمية البحث :

- ❖ تناوله لأراء علماء البلاغة في الألوان البلاغية المختلفة .
- ❖ معرفة المسائل البلاغية المتعلقة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والتراث العربي الخالد .
- ❖ إظهار قيمة كتاب تمام المتون بالبحث فيه والنقل منه ، وتمعن معانيه .
- ❖ التعريف بابن زيدون ورسالته التي انتشرت ، وصارت مضرب المثل في البلاغة والفصاحة ، وجمال التعبير .
- ❖ التعريف بعصر الصفدي ، وبالعلماء الذين تتلمذ عليهم ، والذين أخذوا عنه ، والذين عاصروه .

منهج البحث :

أتبع الباحث في دراسته المنهج التحليلي الوصفي في عرضه للقضايا البلاغية والنقدية .

خطة البحث :

قمت بعرض مقدمة تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهدافه وأهميته ، ومنهج البحث .

وقسمت البحث إلى تمهيد تحدثت فيه عن عصر الصفدي ، ومولده ، ونشأته ، وحياته ، وشيوخه ، وإنتاجه العلمي . وقمت بدراسة وصفية للكتاب ، ونبذة أيضاً عن ابن زيدون وعصره وشيوخه وإنتاجه الأدبي ، وإلى أربعة أبواب ثم إلى فصول فمباحث على النحو الآتي :

الباب الأول : علم المعاني .

الفصل الأول : الخبر .

المبحث الأول : الخبر وأضربه والغرض من إلقائه .

المبحث الثاني : الإنشاء الطلبي .

الفصل الثاني : التقديم والتأخير والقصر .

المبحث الأول : التقديم والتأخير .

المبحث الثاني : القصر .

الباب الثاني : علم البيان .

الفصل الأول : التشبيه .

المبحث الأول : التشبيه المفرد .

المبحث الثاني : تشبيه التمثيل .

المبحث الثالث : التشبيه الضمني .

الفصل الثاني : المجاز اللغوي .

المبحث الأول : الاستعارة التصريحية .

المبحث الثاني : الاستعارة المكنية .

المبحث الثالث : الاستعارة التمثيلية .

المبحث الرابع : المجاز العقلي والمرسل .

الفصل الثالث : الكناية .

المبحث الأول : الكناية عن صفة .

المبحث الثاني : الكناية عن موصوف .

المبحث الثالث : الكناية عن نسبة .

الباب الثالث : علم البديع .

الفصل الأول : المحسنات اللفظية .

المبحث الأول : الجناس .

المبحث الثاني : السجع .

المبحث الثالث : الاقتباس والتضمين .

المبحث الرابع : الطلب .

الفصل الثاني : المحسنات المعنوية .

المبحث الأول : المذهب الكلامي .

المبحث الثاني : التمثيل ، الشماتة .

المبحث الثالث : حسن التعليل .

المبحث الرابع : المبالغة .

المبحث الخامس : التورية .

المبحث السادس : التقسيم ، الاستقصاء ، الإسجال بعد المغالطة .

المبحث السابع : العكس والتبديل ، الحل والعقد ، إرسال المثل .

الباب الرابع : القضايا النقدية .

الفصل الأول : الصفدي الناقد .

المبحث الأول : طريقة الصفدي النقدية .

المبحث الثاني : طريقة اختياره للنصوص .

المبحث الثالث : الذوق الأدبي .

المبحث الرابع : مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي .

المبحث الخامس : توثيق النصوص .

الفصل الثاني : المصطلحات النقدية .

المبحث الأول : الاستحسان والتعديل .

المبحث الثاني : الاختلاس .

المبحث الثالث : الحوشي .

المبحث الرابع : العذوبة .

المبحث الخامس : الفصاحة .

الفصل الثالث : القضايا النقدية .

المبحث الأول : السرقات الأدبية .

المبحث الثاني : الموازنات .

المبحث الثالث : المفاضلة بين الشعر والنثر .

المبحث الرابع : اللفظ المعني .

المبحث الخامس : نماذج لنقد الصفدي لبعض نصوص ابن زيدون .

الخاتمة : وتشمل النتائج والتوصيات .

الفهارس :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأشعار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس القبائل .
- فهرس الأماكن .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس المحتوى .

تمهيد

- الصفدي عصره وحياته .
- دراسة وصفية لكتاب "تمام المتون" .
- ترجمة أبو الوليد ابن زيدون .
- نص رسالة ابن زيدون "الجدية" .

الصفدي عصره وحياته

عصر المماليك الذي عاش فيه الصفدي :

المماليك جمع مملوك مشتق من (مِلك) يقول ابن فارس[١]. "ملك الإنسان الشيء يملكه ملكاً والاسم الملك لأنّ يده فيه قوية صحيحة فالملك : ما ملك من مال والمملوك : العبد"[٢]. غير أنّ هذا المصطلح يقصد به في التاريخ الإسلامي ذلك الرقيق الأبيض من الفرس والروم والأتراك الذي أسروا في الحروب أو تم جلبهم بواسطة التجار إلى البلاد الإسلامية ، ومن ثَمَّ تم بيعهم في سوق النخاسة ، يقول عبد المنعم ماجد : "بيد أنّ لفظة المماليك نفسها تعني ما يملك بقصد تربيته والاستعانة به كجند وحكام على عكس لفظة العبيد التي تعني (العبودية)"[٣]. وقد اعتمد خلفاء بني العباس عليهم في توطيد حكمهم فالمأمون[٤] أعتمد على الفرس لأنّ أمه فارسية . والمعتصم[٥]على الأتراك لأنّ أمه تركية . وكلا الطبقتين ازداد نفوذها في الدولة الإسلامية حتى صاروا هم القادة الحقيقيين ، وصار الخلفاء لُعبة في أيديهم ، يخلعونهم أنَّى شاءوا ، أو يقتلونهم بواسطة أقربائهم إن دعا الأمر .

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا صاحب كتاب "المجمل" في اللغة وغيره . انظر : البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير الدمشقي ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، دار ابن حزم بيروت ، لبنان ، ط١، سنة ١٤٢٦هـ _٢٠٠٥م : ج٢، ص٢٣٧٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ _ ١٩٩١م : ص٣٥٢.

(٣) نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، للدكتور عبد المنعم ماجد ، مطبعة الرسالة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، شارع محمد بك فريد ، ١٩٦٤م : ج١، ص١١.

(٤) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢١١٩.

(٥)محمد المعتصم بن أمير المؤمنين هارون الرشيد العباسي أبو اسحق يقال له المُثَمَّن . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢١٣٣ .

يقول دكتور سعيد عاشور : "وكان الخلفاء العباسيون هم أول من استخدم المماليك أو الرقيق الأبيض ، واعتمدوا عليهم في توطيد نفوذهم ، والمعروف أنّ الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس ، ولكن الخلفاء العباسيين وبخاصة منذ أيام المأمون أخذوا يخشون ازدياد نفوذ الفرس ويتشككون فيهم ، فلجأوا إلى الإكثار من شراء مماليك من الترك ، ليعتمدوا عليهم في دعم نفوذهم وسلطاتهم"[1]. ولكن المماليك مع مرور الأيام وتعاقب الممالك الإسلامية ظهروا بصورة أكبر وبنفوذ أوسع ، خاصة في عهد الأيوبيين حيث دأب ملوكهم على شراء مماليك صغار من الرقيق الأبيض ، ليساعدوهم في تثبيت حكمهم ، وتوطيده ودعمه والدفاع عنهم ، خاصة في حروبهم ضد الصليبيين ، حتى أصبح لا غنى للأيوبيين عنهم . وعندما شعر هؤلاء المماليك بأهميتهم زاد نفوذهم السياسي حيث أصبحوا يدبرون المكائد السياسية ، ومثال ذلك خلعهم للسلطان الأيوبي العادل الثاني[2]. وإحلال الصالح أيوب[3] محله في السلطة ، فأصبح بعدها الصالح أيوب تحت سيطرتهم، لأنّهم يرون أنّهم أصحاب فضل عليه ، فبدأ يكثر من شراء المماليك والاعتناء بهم وتدريبهم على فنون القتال والفروسية ، حتى صاروا

---

(١) العصر المماليكي في مصر والشام ، لدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط٢، سنة ١٩٧٦م ، دار النهضة العربية ، بيروت ، القاهرة : ص١ .

(٢) محمد العادل بن محمد الكامل بن محمد العادل بن أيوب سيف الدين العادل الثاني . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٧١٨. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط١٦، يناير ٢٠٠٥م : ج٧ ، ص٢٨.

(٣)أيوب"الملك الصالح" بن محمد "الملك الكامل " بن إبي بكر "العادل" أبو الفتوح نجم الدين : من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ، كان شجاعاً مهيباً . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير: ج٢، ص ٢٧٢ . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص٣٨ .

فرساناً بارعين ومقاتلين أشداء ، أبلوا بلاء حسناً في حروبهم ضد المغول والصليبيين والأفرنج ، وحققوا انتصارات رائعة ويكفي المماليك فخراً أنّهم هم الذين كسروا شوكة التتار.

واستمر نفوذ المماليك يزداد إلى أن مات الصالح نجم الدين أيوب واستولت مقاليد الحكم بعده زوجه شجرة الدر[1]، لعدم وجود من يحل محله من أبنائه ، حيث أخفت خبر موت زوجها وصارت ترسل المناشير كل يوم عليها علامة السلطان باعتباره حياً" [2]. ولكن الخبر تسرب إلى لويس التاسع فأراد تسديد ضربة للدولة الإسلامية قبل أن تفيق من صدمتها ، ولكن إرادة الله تعالى فوق كل إرادة ، ففي هذا الوقت ظهر المماليك على مسرح الحياة السياسية ، حيث أنّهم تركوا الصليبين دخلوا المنصورة وتاهوا وضلوا في شوارعها ، ثم حملوا عليهم حملة شعواء زعزعتهم ، وقطعت دابرهم ، وهدمت بنيانهم ، الأمر الذي أفرح المسلمين وبدد مخاوفهم ، وزاد من ثقتهم فيهم .

والملك الصالح هو الذي أنشأ المماليك البحرية بديار مصر ؛ وذلك لأنّه لما زال عنه ملكه بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يثبت معه سوى مماليكه رعي لهم ذلك ، فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك ، وجعلهم معظم عسكره ، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه فاعتقلهم وقطع أخبارهم ، وأعطى مماليكه الإمارة فصاروا بطانته ، والمحيطين بدهليزه ، وسماهم بالبحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة

---

(١) شجرة الدر أم خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب . انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٨١٣.

(٢) السلوك لمعرفة دولة الملوك ، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط١، سنة ١٤١٨هـ_١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ج١، ص٤٤١ .

على بحر النيل[1].

بعد هذا يمكن أن نقول إنّ دولة الأيوبيين قد غاب بدرها وظهر بدر جديد وهو بدر المماليك . وقد أرخ له بعضهم بشجرة الدر ، واعتبرها أول أمراء المماليك وذلك بعد إقصاء تورنشاه[2] ابن زوجها ، وغدا المماليك بعد مقتل تورنشاه أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في شئون البلاد . وقداختار المماليكشجرةالدرأرملةأستاذهمالصالح أيوب لتكون سلطانة على البلاد .

وشجرة الدر جارية تركية الجنس ، وقيل بل أرمينية اشتراها الملك الصالح أيوب ، وحظيت عنده حتى اعتقها وتزوجها ، ولذلك هي من ناحية الأصل والنشأة أقرب للمماليك حتى اعتبرها المقريزي[3] أول سلاطين المماليك في مصر"[4]. وعلى الرغم من أنّ شجرة الدر خدمت الدولة الإسلامية وانقذتها من كارثة كادت أن تحل بها ، وقامت بأمر يعجز بعض الرجال عنه ، إلا أن تمليكها لم يرضه كثير من الناس لغرابته ، حتى قيل أنّ الخليفة العباسي أرسل إلى المماليك ينعى عليهم أن ملكتهم امرأة . وقال: "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً"[5]وهنا وجدت شجرة الدر أنّها في موقف لا تحسد عليه . فمظاهر الكراهية بدأت تظهر في الداخل والخارج ، ولأنّها صاحبة عقل خلعت نفسها من الحكم ، واستشارت الأمراء والعلماء والقضاة فاختاروا عز الدين أيبك[6] الذي كان عاملاً لزوجها ، وبعدها تم الزواج بينهما .

---

(١)السلوك لمعرفة دولة الملوك ، للمقريزي : ج١، ص٤٤١.

(٢) تورنشاه بن الصالح أيوب بن الكامل . أنظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢٨٠١.

(٣)أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني تقي الدين المقريزي ، مؤرخ الديار المصرية ، أصله من بعلبك . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١٧٧ .

(٤) العصر المماليكي ، لعاشور : ص١١.

(٥)العصر المماليكي ، لعاشور : ص١١.

(٦) عز الدين أيبك التركماني الملقب بالمعز . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢٨٠٠.

قال محمود رزق سليم : "ضربت شجرة الدر الحجاب على نفسها فكان لذلك أثره في ضعف مشورتها ، وصعوبة اتصالها بأمرائها ، وحسن إطلاعها على مهام دولتها ، زد على ذلك أنّها كانت أول امرأة ملكة في الإسلام فكان تمليكها غريباً ، حتى قيل أنّ الخليفة العباسي على ضعفه أرسل إلى المماليك ينعى عليهم أن يملكوا امرأة . فكان ذلك كله حافزاً لهم على إعادة النظر في أمر المُلك من جديد ، وكثر بينهم الأخذ والرد حتى رأت شجرة الدر بثاقب نظرها وبعيد رأيها ، أن تخلع نفسها من الملك بعد أن مكثت فيه نحو ثمانين يوماً ، ثم استشير الأمراء والقضاة لاختيار سلطان جديد فتمت المشورة بسلطنة الأمير عز الدين أيبك ، ثم تزوج هذا الأمير من شجرة الدر ليكون ذا صلة بالبيت المالك القديم مع أنّها زوجة سيده"[1].

فإذا اعتبرنا أنّ أول سلاطين المماليك هو عز الدين أيبك والذي أنتقل الملك على يديه من الأيوبيين إلى طائفة المماليك ، يمكننا القول أنّ دولة المماليك بدأت من عام ٦٤٨هـ على يد المعز "عز الدين أيبك"[2]. وانتهي عهدهم في عام ٩٢٣هـ حيث جاء الحكم العثماني .

وقد قسم المؤرخون دولة المماليك إلى دولتين ، دولة المماليك البحرية من ٦٤٨هـ إلى ٧٨٤هـ وهي التي أسسها عز الدين أيبك . ودولة المماليك الجركسية من سنة ٧٨٤هـ إلى ٩٢٣هـ . فالأولى هي التي ولد فيها الصفدي ، حيث ولد بعد تأسيسها ، ومات قبل زوالها. وسأتحدث عن حياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية حتى نتعرف على العصر الذي عاش فيه الصفدي ، فالإنسان ابن بيئته ، يتأثر بها ، ويؤثر فيها .

---

(١) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، لمحمود رزق سليم ، ط٢، سنة ١٣٨٨هـ _١٩٦٢م، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز : ج١، ص٢١ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير :ج٢، ص٢٨٠٠_٢٨٠١.

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٨١٣.

الحياة الاجتماعية :

كان النظام السائد نظاماً إقطاعياً ؛ حيث كان المماليك يحتلون أراضي كثيرة تحت سيطرتهم ، ويُقطعون بعض البدو والقبائل المحلية أراضي مقابل حماية الطرق . وكانوا هم أنفسهم طبقات ، كل طبقة تخدم الطبقة التي فوقها ، وتأخذ منها الأرزاق العينية والنقدية ، وكانوا يعيشون في رفاهية ، يسكنون أجمل القصور المزخرفة المحلاة بالذهب والجواهر ، وهذه القصور مقسمة منها قاعات الاجتماع التي بها كرسي السلطان ، وحوله حاشيته ، وعدة منازل لزوجات السلطان وجواريه . وكان السلاطين يسرفون في ميلهم للنساء ويدفعون الأموال الطائلة . وللسلطان مجلس خاص لا يحضره إلا هو وخاصته، وتقوم على حريم السلطان قهرمانة[1] لها سلطات واسعة .

فكانوا في عالم من الرفاهية بعيدين كل البعد عن حياة بقية الشعب . وكان السلطان يوزع عليهم الأراضي الزراعية ، والمدن والقرى ، وحتى ملبسهم كانوا يلبسون فاخر الثياب والحرير الناعم والديباج الموشى . يقول ابن كثير[2]: واصفاً موكب أحد سلاطين المماليك : " دخل قلعة دمشق وعليه من أنواع الملابس قباء زنجاري ، والقبة والطير يحملها على رأسه الأمير سيف الدين تومان تمري الذي كان نائب طرابلس ، والأمراء تمشى بين يديه ، والبسط تحت قدمي فرسه ، والبشائر تضرب خلفه"[3].

---

(١) والقهرمان : جمع قهارمة : وهو الوكيل أو أمين الدخل والخرج . والقهرمة : وظيفة القهرمان وفعله . انظر : المنجد في اللغة والآداب والعلوم ، للويس معلوف ، المطبعة الكاثولوكية ، ط ١٩: ص ٦٥٩ .

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي . أبو الفداء : حاقظ ، مؤرخ ، فقيه ، تناول الناس تصانيفه في حياته ، ومن كتبه "البداية والنهاية" و"تفسير القران العظيم"وغيرها ، توفي بدمشق . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٣٢٠ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص ٣١٠٧.

وقد ظهر الترف والبذخ في حياة المماليك ومعائشهم ومناسباتهم ، حتى كانوا ينفقون الأموال الكثيرة في أفراحهم ومناسباتهم الخاصة ، لأنّهم كانوا أثرياء يملكون العقارات والدكاكين التي تدر عليهم المال الوفير ، ومع هذا كانوا يقبلون الرشوة ، وقد بلغ بهم البذخ حد السفه والطيش .

يقول ابن حجر[1]: "إن المظفر حاجِّى أنفق في عصبة حظيته إنفاق التي على رأسها مائة ألف دينار . وبلغت النفقة على عمل حظير الحمام سبعين ألف درهم"[2].

ولعل هذا الغنى الفاحش كان سبباً أساسياً في ترف المماليك ، والمستطيعين من أصحاب الأموال والجاه ووقوعهم في الملاهي والملذات .

يقول الدكتور محمد كامل الفقي : "ويتحدث التاريخ عن الترف البالغ الذي صاحب عهد المماليك ناشئاً من الغنى الخصب الذي كان يتدفق في مصر والشام ، إذ كانتا مثابة التجارة التي تنفق في سوقها سلع الشرق والغرب ، وكان من آثار ذلك أن سرت عدوى الترف والإسراف بين القادرين من الناس ، وصحب ذلك ما هو محتوم من أمراض اجتماعية تنمو في أحضان الترف والملذات"[3].

---

(١) أحمد بن على بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل : من أئمة العلم والتاريخ . انتشرت مصنفاته في حياته ، وتهادتها الملوك ، وكتبها الأكابر ، وأشهرها "فتح الباري شرح صحيح البخاري" وكان فصيح اللسان ، راوية للشعر . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١٧٨ .

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م : ج٢ ، ص٤.

(٣) الأدب العربي في العصر المملوكي ، للدكتور محمد كامل الفقي ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ط١: ص٣٠.

فهذه الحياة المترفة أثارت غضب وحنق الجماهير عليهم ، حيث كثرت الفوضى والرشوة واعترفوا بها . يقول ابن تغري بردي[1]: "كان في دولة الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون ديوان يعرف بديوان البذل أعنى ديوان البراطيل ، وشاع ذلك في الأقطار ، وصار من له حاجة يأتي إلى صاحب الديون المذكور ويبذل فيما يرومه من الوظائف"[2].

وعلى الرغم من ذلك فإنّ في دولة المماليك مجموعة من المصلحين الاجتماعيين ، من رجال الدين والوعاظ والمرشدين ، كانوا ينصحون الأمراء ويكتبون الرسائل والكتب التي تدعو الناس للرجوع إلى الحق والخير والفضيلة ، والابتعاد عن الباطل والشر والرزيلة ، أمثال سلطان العلماء العز ابن عبد السلام[3]،ونجم الدين أحمد بن محمد بن علي ابن الرفعة المصري الشافعي[4]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[5]، وقد كثر هؤلاء الدعاة المصلحين لما رأوا انحطاط الحياة المعيشية ، ولما كثر الفساد وعم البر والبحر.

---

(١) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن . جمال الدين : مؤرخ بحاثة ، من أهل القاهرة مولداً ووفاة ، أشهر كتبه : "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" و"المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٨ ، ص٢٢٢ .

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، دار الثقافة والإرشاد القومي : ج١١،ص٢٦٢.

(٣)عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الشيخ عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٨٤٠.

(٤)أحمد بن محمد علي بن الرفعة نجم الدين : شارح التنبيه . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص ٢٩٥٩.

(٥)أحمد بن عبد الحليم بن أبي القاسم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس : شيخ الحنابلة . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٨٤٣.

الحياة الدينية:

على الرغم من الترف الذي يعيش فيه المماليك مقابل ضيق الحياة الذي تعاني منه طبقة الشعب العامة ، إلا أنّ المظهر العام لدولة المماليك يعد مظهراً إسلامياً ، فهم الذين دافعوا عن الدولة الإسلامية وصدوا جموع الصليبيين ، وكان بعض سلاطين المماليك يحرصون على المحافظة على الأخلاق الكريمة والشيم الفاضلة ، ويتمثل ذلك في إصدارهم الأوامر التي تبطل الملاهي ، وحانات الخمر ، وبيوت الدعارة . وينفذون أوامرهم بحماس شديد على المسلمين والنصارى ، ومثال ذلك إبطال السلطان بيبرس الملاهي بالديار المصرية وإغلاق أماكن الخمر وحبس جماعة من الزواني"[1].

ومما يدل على اهتمام المماليك بمظهر الحياة الدينية اهتمامهم بإقامة المدارس والجامعات التي ينتشر من خلالها العلم والمعرفة ، ونشر الدين الإسلامي بين الناس . وكان الطلاب يفدون على المدارس من شرق البلاد وغربها ، وقد شجعهم المماليك على ذلك بدفع الهبات إليهم وإعطائهم المال والطعام والكساء والمسكن المريح لهم ، حتى يجدوا الحياة المناسبة للبحث والدراسة ويتبحروا في العلوم .

وكان يوم افتتاح هذه المدارس يوم مهيب،يقام فيه احتفال يدل على عظمة المناسبة ، الأمر الذي يدل ويبرهن على اهتمام المماليك بنشر العلم والمعرفة بين الناس . يقول دكتور محمد كامل الفقي : "إنّ افتتاح هذه المدارس المنشيء لها في موكب حافل يتصدر مجلساً بالدار المفتتحة ويشرع أحد شيوخها في إلقاء درسه فقهاً أو حديثاً أو نحو ذلك، ثم تمنح المنح وتهدى الهدايا وتمد الموائد وقد يلقي بعض الشعراء أبياتاً مناسبة للمقام[2].

---

(١) تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٦، سنة ١٩٩٧م ، ج٣، ص٦٠٨.

(٢) الأدب العربي في العصر المملوكي ، للفقي : ص٤٠.

ومن أشهر مدارس هذا العصر المدرسة الظاهرية ، التي أنشأها الظاهر بيبرس[1]، الذي كانت له عناية بالغة بهذه المدرسة حيث رصد لها أوقافاً طائلة ، وبني بالقرب منها مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، ووفر لهم الطعام والشراب . والمدرسة المنصورية التي أنشأها الملك المنصور قلاوون[2]، لتدريس الفقه والطب وتفسير القرآن الكريم . والمدرسة الصاحبية البهائية التي أنشأها الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن الوزير سنة ٦٥٤هـ[3]. وكانت من أجمل المدارس وأعظمها .

وكانت هذه المدارس تنشر العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، إضافة للعلوم الإنسانية التي يكون الطالب بها ملماً بكل الثقافات الوافدة من الخارج .

ومع هذه المدارس كانت المساجد تعمل جنباً إلى جنب لنشر علوم الدين واللغة العربية . وكانت المساجد عبارة عن معابد ومعاهد ، حيث أهتم السلاطين بها وأنفقوا عليها الأموال الطائلة . يقول دكتور محمد كامل الفقي : "كانت المساجد الجامعية تحمل رسالة العلم والدين معاً فهي معبد ومعهد ، وقد درج السلاطين والملوك على العناية بهذه المساجد ، فهم ينشئونها وينفقون الأموال الطائلة في تأسيسها ، حتى تصبح تحفة تشهد بروعة الفن وجماله ، ويقيمون حول عمدها حلقات الدرس التي تذخر بالحياة

---

(١) بيبرس بن عبد الله ، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي : كان جباراً في الحرب خافه التتار والإفرنج لأنه روعهم بالغارات . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، دار الفكر ، بيروت _ لبنات ، ط١ ، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م : ج٧ ، ص٢٢١ .

(٢)قلاوون بن عبد الله الصالحي الألفي الملك المنصور ، انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢٨٩٦.

(٣)على بن محمد بن الوزير ، المعروف ببهاء الدين : وزير ، كان من أكابر الرجال في عصره حزماً وعزماً وخبرةً استوزره الظاهر وفوّض له الأمور . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٣٣٣.

العلمية ، فيزهو بها العلم والأدب وتشع منها أنوار المعرفة"[1].

ولعل هذه الزخرفة الموجودة في المساجد ، وحلقات العلم الموجودة الآن هي من موروثات المماليك . ولكن مع اهتمام المماليك بالمظهر الديني واهتمامهم بالقرآن والحديث خاصة ، إلا أنّ اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية وتماذج الثقافات المختلفة ، ووفود شعوب لها ديانات غير الإسلام واستقرارها بالدولة الإسلامية ، وبعضهم يمارس طقوسه وعاداته ، هذه الممارسات أدت إلى ظهور دجل وشعوذة . يقول دكتور محمد زغلول سلام : "اضطربت عقائد الناس بسبب اضطراب الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وبسبب الاختلاط بين الناس والتماذج بين العقائد والديانات للعناصر المختلفة من روم وفرس وفرنجة وهنود ... الخ . وكانت تلك العقائد تختلف بين سماوية ووثنية أو طبيعية ، وأثر ذلك الامتزاج في العقيدة الإسلامية ، فأحدث مجموعة من الاتجاهات والظواهر الغريبة عن الروح العربية والإسلامية"[2].

ولكن مع ذلك نجد أنّ عقيدة أهل السنة والجماعة كانت سائدة على الرغم من المعارك الكثيرة التي خاضوها مع خصومهم ، خاصة أولئك الدجالين الذين يتخذون العقيدة للدجل والشعوذة وكسب الرزق . حيث قيض الله لهم من العلماء الصالحين من يحاربونهم ويتقربون إلى الله بالقضاء عليهم . وكان المماليك يناصرون العلماء والصالحين ، لأنّهم كما قلنا كانوا شديدي الحفاظ على مظهر الحياة الإسلامية ، وكان معظمهم متمسكاً بتعاليم

---

(١) الأدب العربي في العصر المملوكي ، للفقي : ص٤٢ .

(٢)ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ، للدكتور محمد زغلول سلام ، مكتبة النهضة ، مصر،بالفجالة : ص٧.انظر:وفيات الأعيانوأنباءابناءالزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق دكتور يوسف على طويل ودكتورة مريم قاسم طويل ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، سنة ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م : ج١، ص١٥٤.

الإسلام تمسكاً صحيحاً ، وكانوا يدركون أهمية القيم الدينية إدراكاً واضحاً ، ويدافعون عن هذه القيم دفاعاً صادقاً .

الحياة العلمية والثقافية:

مع ظهور المماليك وانتقال السلطة إلى مصر انتقل العلماء من كل فج إلى مصر ، وكان للمماليك اهتمام كبير بنشر العلم والثقافة على الرغم من أنّهم لم يكونوا أهل حضارة في البيئات التي أتوا منها . وكان تعليمهم يسيراً لإنشغالهم بالتدريب على أساليب القتال ، إلا أنّهم قاموا بإنشاء المدارس والمساجد ، وإعانة المشايخ والأساتذة القائمين عليها ، ومن يريد العلم يجده سهلاً من غير قيد أو شرط ، كل ما يصنعه أن يجلس في حلقة من الحلقات يدون ويكتب ما يسمعه من أستاذه ، من فقه أوحديث أو نحوٍ أو غيره . وقد حرص السلاطين على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات الكبيرة ، وكل مسجد يؤسسوه يلحقوا به مكتبة علمية كبيرة بها الكتب النفيسة ، ومن هؤلاء الملك الناصر حسن بن الناصر قلاوون[1].

وكثير من الأمراء والعلماء عرفوا بالحرص على الكتب والذخائر ، حتى أن أحد أعيان الرؤساء بمصر والشام وجد عنده بعد موته ما يزيد عن ثلاثة آلاف من المجلدات النفيسة[2].

وبالرغم من أنّ السواد الأعظم من الشعب يغلب عليه الجهل ، إلا أنّ في دولة المماليك علماء كبار أثروا المكتبة الإسلامية بأمهات الكتب في كافة المجالات ، حيث أتسع التأليف في كافة العلوم مثل الفقه والحديث وعلوم العربية والرياضيات والفلك والجغرافية .

---

(١) الناصر حسن بن الناصر محمد قلاوون ، أبو المحاسن : من ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام ، بويع بمصر بعد مقتل أخية حاجي المظفر . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ،ص٢١٦ .

(٢) عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم : ج٢، ص٢١٨.

يقول دكتور فروخ : "أما أكثر موضوعات العلم رواجاً فكان الحديث ودراسة الفقه على المذاهب الأربعة المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي ، وكان إلى جانب الحديث والفقه ، تفسير القرآن الكريم وأصول الدين واللغة والأدب . ثم إنّ كثرة التأليف في العلوم الرياضية والطبيعية من الرياضيات والفلك والجغرافية والهندسية والطب وما إليها يوحي بأنّه كان لمثل هذه الموضوعات مدارس خاصة أو حلقات خاصة في المدارس الخاصة"[١].

مما سبق يتضح لنا أنّ دعم الأمراء والسلاطين لمشايخ العلم وطلابه كان له الأثر الأكبر في نمو الحركة الثقافية ، وكانت العناية بالكتاب والاهتمام به أهم مساعد للطالب في تنمية مواهبه وزيادة معرفته ، ولذا نشطت رحلات الطلاب نحو المدارس والمساجد لنهل العلوم المختلفة . يقول دكتور محمد زغلول سلام : "وقويت الحركة الثقافية وازدهر العلم تبعاً لتلك العوامل ، وكانت عناصر الثقافة في ذلك الوقت إسلامية أو عربية أو متأثرة بتيارات مختلفة يونانية وفارسية وهندية ومسيحية وسامِيّة وأخرى . وأهم عناصر الثقافة الإسلامية القرآن ، وقد زاد اهتمام الناس به حفظاً وتفسيراً ودراسة ، وكان الأمراء يعينون على ذلك ويشجعون القراء فيهبون المال لمن يحفظ القرآن ، ويهتمون به في مدارسهم التي يشئونها وفي المساجد"[٢].

فالثقافة في هذا العصر ثقافة شاملة إسلامية وغير إسلامية ، ومما يؤكد حديث دكتور سلام هو ظهور مجموعة من الكتب المهتمة بالدراسات القرآنية مثل كتاب "بدائع القرآن" لابن أبي الأصبع[٣]، وكتاب "إعجاز

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ : ج٣، ص٦١١.

(٢)ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ، لمحمد زغلول سلام ، ص١٠.

(٣)عبد العظيم بن عبد الواحد المصري ، ابن أبي الأصبع ، زكي الدين . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م : ج٥، ص٦٥٤.

القرآن" للفخر الرازي[1]. وظهور محدثين مشهورين مثل الحافظ أبو طاهر السلفي[2]، والحافظ ابن عساكر الدمشقي[3]، وغيرهم مما يدل على اهتمامهم بالقرآن والعلوم . فالصفدي عاش في هذا العصر وسنعرض في ترجمتنا له أنّه نال حظاً وأفراً ونصيباً كبيراً في هذه المجالات الثلاثة .

(١)محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري الفخر الرازي : الإمام المتكلم صاحب التفسير والتصانيف. انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢٧١٤ .

(٢)أحمد بن محمد بن سلفة (بكسر السين وفتح اللام) الاصبهاني، صدرالدين، أبو طاهر السلفي : حافظ مكثر، من أهل أصبهان .انظر : الأعلام ، الزركلي : ج١ ، ص٢١٥ .

(٣)عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله بن عساكر ، فخر الدين أبو منصور الدمشقي . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٧٤٦.

ترجمة الإمام صلاح الدين الصفدي:

هو أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي ، ولد سنة ست وتسعين وستمائة[١]. ونشأ نشأة عربية خالصة ، فوالده من أمراء المماليك وعاش حياة رغدة في ظل والده ، وكان مولعاً بالآداب والفنون حبب إليه الأدب ، وكتبَ الخط الجيد . قال عن نفسه: "إن أباه لم يمكنه من الأشغال حتى استوفي عشرين سنة ، فطلب بنفسه ، وقال الشعر الحسن، ثم أكثر جداً من النظم والنثر والترسل والتوقيع"[٢].

وولعه بالرسم وتعلقه به جعله من أبرع الخطاطين ، وشغفه بالأدب جعله من أفضل الأدباء ، لذا صار يجيد التصوير في الشعر والنثر ، وكان يتقن الموسيقى وكان بارعاً ، ولا عجب في ذلك فأبناء الأمراء ميسر لهم ذلك للترفيه ، إضافة لمهارته وإلمامه بعلوم اللغة العربية من إنشاء ونحوٍ وأدب وبلاغة . وصفه الزركلي بقوله : " خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي : "أديب ومؤرخ كثير التصانيف الممتعة ، ولد في صفد بفلسطين وإليها نسبته ، وتعلم في دمشق صناعة الرسم ، فمهر بها ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان"[٣].

وأما عن أخلاقه وشمائله ، فمعظم المؤرخين أجمعوا على أنّه يتصف بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ، ولعل أفضل شهادة هي تلك التي شهد بها الإمام ابن حجر العسقلاني حيث يقول : "كان محبباً إلى النفس حسن المعاشرة جميل المودة"[٤].

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص ٣١١٤ .

(٢) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج٢، ص١٧٦.

(٣)الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٣١٥.

(٤) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ص١٧٦.

وحينما نذكر حديث العلماء عنه فيما بعد يتضح لنا أنّ الصفدي كان لين العريكة ، حسن الأخلاق طيب المعشر ذو مروءة ، محبوباً لدى أهله وأصحابه ورؤسائه وزملائه .

شيوخه :

تتلمذ الصفدي على يد :

١) الشيخ شهاب الدين محمود بن سليمان ٧٢٥هـ[١]،علامة الأدب وعلم البلاغيين .

٢) فتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري[٢]. الإمام الحافظ الأندلسي .

٣) بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي٧٣٣هـ [٣]، وعليه أخذ المذهب الشافعي ، ولهذا الشيخ تعاليق في الفقه والحديث والأصول والتاريخ وغير ذلك .

٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين الذهبي[٤]، الإمام الحافظ ، ومنه أخذ التاريخ .

٥) على بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي أبو الحسن تقي الدين ٧٥٦هـ شيخ الإسلام في عصره ، وأحد الحفاظ المفسرين ، والد التاج السبكي صاحب الطبقات[٥].

٦) محمد بن محمد بن الحسن الجزمي الفارقي المصري ، أبوبكر جمال الدين بن نباتة ، شاعر عصره وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب[٦].

---

(١) شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي : ج٦، ص٢٢٦.

(٢) المصدر السابق : ج٦، ص٧٤٥.

(٣) المصدر السابق : ج٦،ص٢٧٣ .

(٤) الأعلام ، للزركلي : ج٥ ، ص٣٢٦ .

(٥)المصدر السابق : ج٤،ص٣٠٢.

(٦)الأعلام ، للزركلي : ج٧، ص٣٨.

٧) أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ٧٤٥هـ. قال ابن العماد : "قال الصفدي ، لم أره قط إلا يسمع أو يشغل أو يكتب أو ينظر في كتاب وكان ثبتاً قيماً عارفاً باللغة ، وأما النحوِ والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما " [١].

٨) مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الفيروزابادي ٨١٧هـ . اللغوى الشافعي العلامة . قال ابن العماد : "وكثرت فضائله وكثر الآخذون منه فكان ممن أخذ عنه الصفدي والفهامة ابن عقيل"[٢].

٩) الحافظ الكبير جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن عبد الرحمن المزي ٧٤٢هـ. قال ابن العماد : "شيخ المحدثين عمدة الحفاظ أعجوبة الزمان الدمشقي المزي"[٣].

وللصفدي مشايخ كثر درس عليهم يضيق المجال بذكرهم . وقد طلب العلم في أنحاء عديدة طلبه في دمشق وفي القاهرة ، كما طلبه على يد علماء بلده ، وقد أجمع شيوخه على تقديره والإعجاب به ؛ لأنّه كان نابغة في الأدب والفن ، حتى أنّ بعض شيوخه درس عليه ، واعترفوا بموهبته في الأدب والنقد منذ أن كان يقرأ عليهم . قال ابن تغري بردي عن الصفدي : "وكان إماماً بارعاً ، كاتباً ، ناظماً ، ناثراً . وديوان شعره مشهور بأيدي الناس ، وهو من المكثرين"[٤]. وقد أشاد به شيوخه وأثنوا عليه . وهذه بعض آراء العلماء وإشادتهم به .

---

(١) شذرات الذهب ، لابن العماد : ج٦، ص٧٤٥.

(٢) المصدر السابق : ج٧، ص٢٥٦.

(٣) المصدر السابق : ج٦، ص٣٦٣.

(٤) النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي : ج١١، ص١٩.

قال الحافظ ابن حجر: "وكان محبباً إلى الناس حسن المعاشرة جميل المودة ، وكان في الآخر قد ثقل سمعه ، وكان قد تصدى للإفادة بالجامع ، وقد سمع منه من أشياخه الذهبي وابن كثير والحسيني وغيرهم "[1].

وقال الذهبي في حقه : "الأديب البارع ، شارك في الفنون وتقدم في الإنشاء ،وجمع وصنف"[2] . وقال أيضاً : "وسمع منى وسمعت منه وله تأليف وكتب وبلاغة"[3]. وهذه من أكثر الشهادات وأعظمها لأنّها من أستاذه ، والأعجب والأجمل أنّه يشهد بأنّه سمع منه ، وهذا يدل على غزارة علمه . وقال أيضاً : "الإمام العالم البليغ الكامل ، طلب العلم وشارك في الفضائل ، وساد في الرسائل ، وقرأ الحديث ، وجمع وصنف"[4].

قال ابن حجر : "وقال الحسيني : كان إليه المنتهي في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وأنّه من بقايا الرؤساء الأخيار ، كما قال ابن سعد"[5].

وخير دليل لوفائه وإخلاصه وتواضعه أنّه عمل في مناصب الدولة فكانت سمعته طيبة ، وذكره حسن ، لم يتهم ، ولم تصبه مصادرة ، كما كانت تصيب أمثاله ، وكان وفياً لأصدقائه كثيراً الود لهم ، فإذا فرقت الأيام بينه وبينهم تجد المكاتبات والرسائل متواصلة بينهم ، وعندما يلتقون تجد مجلسهم عامراً يضم الأدباء والفقهاء والقضاة يجلسون يتداولون المسائل العلمية ، والأدبية بروح المحبة والإخاء .

---

(١)الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج٢، ص١٧٦.

(٢) المصدر السابق : ج٢، ص١٧٦.

(٣) المصدر السابق : ج٢، ص ١٧٦.

(٤) المصدر السابق : ج٢، ص١٧٦.

(٥) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج٢، ص١٧٦.

وقال جمال الدين ابن نباتة _ و كان الصفدي مختصاً به ، ملازماً له ، وقد تأثر به تأثراً كبيراً في كتاباته وشعره _في إجازته له : "وأجزت لك أن تروى عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور ومنظوم ومنثور إجازة ومناولة ، ونقل وتصنيف وتقوية وماض متردد وآت ، على رأي بعض الرواة ومتجدد وجميع ما تضمنه استدعاؤك ، فأجمع ما يكون من لفظة المتبدد كاتباً لك بذلك خطى ، مشترطاً عليك الشرط فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي"[1]. وهذا إن دل إنّما يدل على إعجاب شيخه ابن نباته به .

والإفادات الحسنة والحديث الطيب والإشادة بالصفدي من شيوخه وعلماء عصره كثيرة لا حصر لها .

ولكن لا تخلو الحسناء من معيب ، فهنالك من انتقده وخاصة في سرقاته الشعرية ، واختلاس معاني شعر شيخه ابن نباتة ، وقد صنف ابن نباته في ذلك مصنفاً سماه " خبز الشعير المأكول المذموم " قال ابن حجة الحموي[2]: هذا الكتاب "خبز الشعير" إشارة إلى أنّه مأكول مذموم مع ذلك ، إلا أنّه كان يخترع المعنى الذي لم يسبق إليه ويسكنه بيتاً من أبياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي بلفظه ولم يغير غير البحر ، وربما عام به في بحر طويل يفتقر فيه إلى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم"[3].

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لأبي بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموى ، تحقيق دكتورة كوكب دياب ، دار صادر، بيروت، ط٢، سنة ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م : ج٢ ، ص٣٥١.

(٢) أبو بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموى ، تقي الدين : إمام أهل الأدب في عصره ، وكان شاعراً جيد الإنشاء حسن الأخلاق والمروءة ، من أهل حماة بسورية . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٦٧ .

(٣) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢، ص٣٥٢.

وإذا استثنينا كلام ابن حجة نجد أن معظم العلماء الذين عاصروا الصفدي شهدوا له بالعلم والتبحر فيه ، وسماحة الأخلاق . وسرقة معاني الشعر لا تنقص من قدره ، لأنّه ليس أول من ابتدعها ، فهي موجودة وقديمة عند الشعراء ، وقد ذكرها نقاد الأدب كثيراً في دراستهم لأدب الشعراء .

أعماله :

تولى الصفدي كتابة الدرج في ديوان الإنشاء في صفد ، ثم انتقل إلى القاهرة وطال مُقامه بها ، وعمل بديوان الإنشاء في كتابة الدرج وعمره آنذاك أربع وستون سنة ، وقد ساعده صديقه قاضي القضاة تاج الدين السبكي[١] في الترقي في ديوان الإنشاء ، حيث كتابة الدست ، وبعدها كتابة السر ، إلى أن تولى نظارة ديوان الإنشاء . يقول السبكي : "ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال ، وكتابة الدست"[٢] وكان لا يلي نظر بيت المال في ذلك الزمن إلا من هو من ذوى المنزلة العالية ، فدل ذلك على علو مركزه وسمو مكانته .

آثاره ومؤلفاته :

للصفدى مؤلفات كثيرة وقال ابن العماد الحنبلي[٣]: "وقفت على ترجمة كتبها الصفدي لنفسه نحو كراسين ، ذكر فيهما أحواله ومشايخه وأسماء مصنفاته ، وهي نحو الخمسين مصنفاً ، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله"[٤]. وقال ابن تغري بردي: " وله مصنفات كثيرة في التاريخ والأدب والبديع،وتاريخه المسمى " الوافي بالوفيات" في غاية الحسن ، وقفت عليه

---

(١) تاج الدين السبكي أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي : قاضي القضاة المؤرخ الباحث . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج٤، ص١٨٤.

(٢)طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناجي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي : ج١٠ ، ص ٦ .

(٣) أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي ، مؤرخ وفقيه ، وعالم بالأدب مات بمكة حاجاً سنة ١٠٨٩هـ انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣، ص٢٩.

(٤) شذرات الذهب ، لابن العماد : ج٦، ص٣٩٤ .

وانتقيته ونقلت منه أشياءً كثيرة في هذا المؤلف وفي غيره . وله تاريخ أصغر من هذا أسماه "أعوان النصر في أعيان العصر" في عدة مجلدات"[1]. وكتب كما قال ابن كثير: ما يقارب مئتين من الملجدات . وقال ابن حجر: "ووجد بخط يده : كتبت بيدي ما يقارب خمسمائة مجلداً ، ولعل الذي كتبته في الإنشاء ضعف ذلك"[2]. ولا تعارض بين هذه الروايات لأنّها ربما جاءت في أزمنة مختلفة ، ولكنّ رواية ابن حجر هي آخر الروايات حيث بلغت مؤلفاته خمسمائة مجلد . وهنا نذكر بعض كتبه على سبيل المثال لا الحصر .

١) ألحان السواجع من المبادئ والرواجع .

٢) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف .

٣) جر الذيل في وصف الخيل .

٤) جنان الجناس .

٥) الحسن الصريح في مائة مليح .

٦) ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء .

٧) الروض الناسم والثغر الباسم "وهذه مخطوطة".

٨) وصف الزلال في وصف الهلال .

٩) الغيث المسجم في شرح لأمية العجم .

١٠) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون "الجدية ". وهو الكتاب الذي محل الدراسة والبحث .

---

(١) النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي : ج١١، ص١٩.

(٢) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج، ص١٧٧.

١١) الوافي بالوفيات ، وهو أشهر كتبه وأكبرها . يقول الشيخ محمد علي الشوكاني[١]: "وألف كتباً منها التاريخ الكبير الذي سماه "الوافي بالوفيات" في نحو ثلاثين مجلداً على حروف المعجم ، وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه: "أعوان النصر وأعيان العصر" في ست مجلدات"[٢].

هذه بعض كتب الشيخ الصلاح الصفدي ، ومن أراد معرفتها كاملة فعليه الرجوع إلى كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي أو كتاب الإعلام للزركلي[٣].

مذهبه الفقهي :

كان الصفدي شافعي المذهب ، وقد ذكرت أنّه أخذ المذهب ودرسه على يد شيخه بدر الدين بن جماعة . وتتلمذ أيضاً على الشيخ على بن عبد الكافي السبكي ، والد تاج الدين السبكي صاحب "طبقات الشافعية" وقد كان الأخير صديقاً له ، وقد كتب عن الصفدي ترجمة واسعة في طبقاته ،وهذا دليل آخر على أنّه شافعي المذهب . وإضافة لذلك نجد كثيراً ما يذكر القصص التي تؤيد صحة رأي الإمام الشافعي . يقول الصفدي : "قال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب "مناقب الشافعي" ﷺ : روى محمد بن جرير الطبري عن الربيع قال : كان الشافعي جالساً يوماً بين يدي مالك ﷺ فجاء رجل إليه فقال : يا أبا عبد الله إنّي رجل أبيع القُمري ، وأنّي بعت قُمرياً ، فبعد زمان أتاني صاحب القُمري فقال : إنّ قمريك هذا لا يصيح ، فتشاجرنا

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : فقيه مجتهد ، من كبار علماء اليمن ، أشهر كتبه "نيل الأوطار" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص٢٩٨ .

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاضي محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١، سنة ١٤١٨هـ _ ١٩٩٨م : ج١، ص١٦٦.

(٣) النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي : ج١١، ص١٩ . انظر : الأعلام ، للزركلي: ج١، ص١٥ _ ١٦.

فحلفت بالطلاق أنّ قُمري ما يهدأ من الصياح . فقال مالك : طلقت امرأتك . فقام الرجل حزيناً ، فقام الشافعي إليه وهو يومئذ ابن أربع عشرة سنة وقال للسائل: أصياح قمريه أكثر أم سكوته ؟ فقال السائل: بل صياحه ، قال الشافعي: أمضِ فإنّ زوجتك ما طلقت . ثم رجع الشافعي إلى الحلقة فعاد السائل إلى مالك وقال يا أبا عبد الله تفكر في واقعتي لتستحق الثواب فقال مالك : الجواب ما تقدم . قال : فإنّ عندك من قال : إنّ الطلاق غير واقع فقال مالك : من هو؟ قال السائل : هو هذا الغلام ، وأوْما إلى الشافعي فقال: إنّي سألته أصياحه أكثر أم سكوته ؟ فقال : إنّ صياحه أكثر ، فقال مالك : وهذا الدليل أقبح وأي تأثير لكثرة صياحه وقلة سكوته في هذا الباب ! فقال الشافعي: إنّك حدثتني عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أنّها أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله : إن أبا جهم ومعاوية خطباني فأيهما أتزوج؟ فقال النبي ﷺ: أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه . وقد علم رسول الله ﷺأنّ أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح ، فعلمنا أنّه عليه السلام أراد بقوله : "لا يضع العصا عن عاتقه" على تفسير أنّه الأغلب من أحواله ذلك فلما سمع مالك تعجب من الشافعي ولم يقدح في قوله البتة"[1].

وهذه القصة تؤكد لنا حسن أخلاق مالك ، وجمال أدبه ، ورجوعه للحق ، وعدم تعصبه وانتصاره لرأيه . وذكاء الشافعي وصفاء بصيرته وسعة تفكيره وخصب خياله وهذا لعمري أخلاق العلماء . وتؤكد أيضاً ميول الصفدي إلى مذهب الإمام الشافعي ، وذلك لذكره للأسباب التي تؤيد مذهبه ، وقد ذكرت أنّ السبكي ترجم له ترجمة واسعة في "طبقات الشافعية الكبرى" . وقد ذكر ذلك أيضاً ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب"

(١) تمام المتون : ص٣٧١_٣٧٢ .

يقول : "صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الشافعي"[1].

وعلى الرغم من ظهور المذاهب الهدامة في هذا العصر والتي ذكرتها في حديثي عن الحياة الدينية ، نجد أنّ الصفدي كان مع مذهب أهل السنة والجماعة ، يرفض مذهب الروافض[2] ، والنواصب[3] ، لا يطعن في أصحاب النبي ﷺ، ولا في أحد من السلف . وحينما تحدث عن ذلك الرجل الزنديق الذي أقام مجاوراً لقبر سيدنا معاوية بالشام بقصد التبرك ، وهو ينوي نية السوء في باطنه ويضمرها . يقول الصفدي : "... وأقام في مجاورة قبر معاوية بالشام سنة جرداء ببنيانه، ويتبرك باستلام أركانه. ووراء ملقه ذلك دفين أمر، وخلل رماده وميض جمر. ولم يزل ينتهز الفرصة حتى خلا وجهه يوماً من الأيام، وانفض عنه بعض من أولئك الأقوام، فنفض على القبر عيابه، وأسال فوقه مرزابه وألقى به جنينه، وخلط بذي بطنه طينه وخرج منها خائفة يترقب ، قال: رب نجني من القوم الظالمين .وفي هذا المعني يقول:

رأيت بني الطوامث والزواني بمقت ينظرون إليّ شذْراً

لأنّي بالشام أقمت حولاً على قبر ابن هند كنت أَخْرَى[4]

وهنا رد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي: بقوله: "وقلت أنا رداً على هذا الشاعر الأحمق أخزاه الله تعالى :

أتحسب أن ذا يرضى علياً عليك وقد خريت جزيت شراً

---

(١) شذرات الذهب، لابن العماد : ج٦، ص٦٠.

(٢) الروافض : وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضى الله عنهم .

(٣) النواصب : هم الذين انحرفوا عن الإمام علي كرم الله وجهه وناصبوه العداء والنصب في اللغة مصدر نصبت الشيء إذا أقمته ونصبت لفلان إذا عاديته .

(٤) تمام المتون : ص٢٥٢ . دمية القصر وعصرة أهل العصر ، لأبي الحسن علي الباخرزي ، تحقيق على إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م : ص٦٠.

وكيف يكون وجهك يوم تأتي غداً ويقال هذا وجه خراً

ولكن كان هذا نقص عقل ودين من تحري ما تجرا[1]

فهو يحب صحابة النبي ﷺ ويرى رأي السلف فيما جرى بينهم من خلاف ، أنّهم مجتهدون وكلهم مأجورون غير مأزورين ﷺ. ولا يطعن في دين أحد منهم مثل بقية الطوائف المارقة عن الملة .

وترجمة السبكي له في "الطبقات" تؤكد أنّه كان عالماً متفقها مقدماً في المذهب لأنّ الترجمة أصلاً لعلماء المذهب . والدليل على تبحره في الفقه واللغة ما دار بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية يقول الصفدي : "وسألت الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبعمائة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾ فقلت : المعروف بين النحاة أنّ الجمع لا يوصف بما يوصف به المفرد من الوصف . فقال : كذا هو . فقلت ما مفرد متشابهات ؟ قال : متشابه . فقلت : كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة وإنّما يقع التشابه بين الاثنين . وكذا قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه ؟ فعدل بي من الجواب إلى الشكر ، وقال : ذهن جيد ولو لازمتني سنة لانتفعت "[2].

فقول ابن تيمية " ذهن جيد" شهادة رفيعة وقيمة ، وتاج مرصع بالجواهر يزين رأس الصفدي ، لأنّ هذه الشهادة منحت من شيخ متبحر في العلم ، ومن أسرة عرفت بالعلم والصلاح أباً عن جد .

---

(١) تمام المتون : ص٢٥٢_٢٥٣.

(٢) الغيث المسجم في شرح لأمية العجم للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط٣، سنة١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م : ج٢، ص٢٤.

دراسة وصفية لكتاب تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون

كتاب "تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون الجدية" لمؤلفه صلاح الدين الصفدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

قام المحقق بتنقيح وتحقيق الكتاب معتمداً على عدد من النسخ حتى يخرج الكتاب سليماً من الخطأ والتحريف ، الذي ورد في نسخة الكتاب التي طبعت في سنة ١٣٢٧هـ وتم ذلك في سنة ١٣٩٨هـ .

يقول دكتور شوقي ضيف متحدثاً عن الرسالة والكتاب: "ولكثرة ما في الرسالة من أمثال العرب ووقائع التاريخ والأشعار احتاجت إلى الشرح، وشرحها الصفدي وسمي شرحه "تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون"وواضح من كلمة "المتون" التي اختارها أسماً لكتابه ، أنّه شعر أنّ الرسالة تشبه المتون لكثرة ما فيها من الأمثال وغير الأمثال مما يحتاج إلى تفسير وفضل بيان"[١].

أي : أنّه شرح فيها رسالة ابن زيدون "الجدية" التي استعطف بها ابن جهور[٢] وتبرأ فيها من التهم التي نسبت إليه . وشرحه ينحو نحو التفسير اللغوى ، والاستشهاد على شرح هذه المعاني اللغوية بالقرآن والحديث النبوي والشعر ، إلا أنّه يكثر من الشعر العربي البديع والحكم والأمثال الشيقة ، ويميل إلى علم البديع وبعض فنون البلاغة ، ويشرحها حسب المناسبة ، مدعماً شرحه كما قلنا بالنصوص الأدبية ، ويشير أحياناً عندما يشرح فقرة إلى النص الأدبي وصاحبه مع ذكر الحوادث التاريخية

---

(١) تاريخ الأدب العربيعصر الدول والإمارات الأندلس، لشوقي ضيف ،دار المعارف مصر ، ١١١٩ كورنيش النيل ، القاهرة ، ط١ : ص٤٧١ .

(٢) جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم : كان داهية ومن أهل بيت وزارة مشهور في الأندلس ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص١٤١ .

والأدبية ، مثل بيعة العقبة ،وحادثة الإفك ،ومقتل سيدنا عثمان ، وسيدنا علي وغيرها .

تحدث المحقق عن الطرق التي يسلكها العلماء السابقون في التأليف والتصنيف ، وطريقة شرحهم وتعليقات بعضهم على شروح غيرهم ، وعن تفننهم في إخراج هذه الشروح في ثوب قشيب محلي بجواهر البلاغة والأدب . وتحدث عن ابن زيدون ومذهبه الذي عرف به في الكتابة والإنشاء ، وعن أسلوبه الرشيق المنمق الذي يشتمل على كثير من حوادث التاريخ ومعارف الأدب. ثم تحدث عن المؤلف قائلاً : " وهو أحد الأئمة المصنفين في الإسلام بل هو أسبقهم في هذا الميدان ، جال وصال في ساحات الأدب والتاريخ والتراجم ، ما بين مطول ومختصر في النظم والنثر . وتحدث عن العلماء الذين ترجموا له مستشهداً بالترجمة التي أوردها المؤرخ ابن تغري بردي: في كتابه "المنهل الصافي" والتي ذكر فيها أخبار كتبه ، وأورد فيها مختارات من شعره ومصنفاته ، ورسالته إلى جمال الدين بن نباته وإجازة الأخير له"[1].

أما المؤلف فقد تحدث عن الرسالة مادحاً لها ومقرظاً يقول: "فإنّ رسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور من الرسائل الطنانة ، والخمائل التي لا يذوى زهرها وحمائم غصونها بالتغريد رنانة"[2]. ويقول: "قد أبرزها منشئها كالقمر ليلة تمامه ، كالزهر المخبوء في أكمامه ، أتعبت من يجاريها ، فما تشق الغبراء لها غباراً ، ولا يبيت داحس ذا حس في مباراتها"[3].

ويصفها وهو أستاذ الإنشاء في زمانه بأنّها من أغرب ما كتب في الإنشاء ، وألفاظها أحلى من العسل . يقول: "نمط في الإنشاء غريب ،وحلاوة

---

(١) تمام المتون : ص٥. من مقدمة المحقق.

(٢) المصدر السابق : ص٣.

(٣) المصدر السابق : ص٣.

ألفاظٍ ليس الضرب لها بضريب"[1]. ثم يتحدث عن شرحه قائلاً: "فلذلك آثرت أن أملى عليها شرحاً ، وأبني على كواكب كواعبها صرحاً ، وأكحل جفوناً باتت لرؤية بيانها قرحي ، وأطب قلوباً أمست لوصال إيضاحها جرحي"[2]. ويتحدث متواضعاً بقوله: "وإن لم أكن من خيل ميدانها ، ولا ممن يعده الأبطال من فرسانها ، ولكنّه جهد المقل"[3].

ويبدأ بعد ذلك كتابة بترجمة مستفيضة لصاحب الرسالة "الجدية" ، ثم قسم الرسالة إلى مائة وواحد وثلاثين قسماً ، وقام بشرح جميع الأقسام شرحاً وافياً وشاملاً مستشهداً لكل عبارة بما يوضحها ويبينها من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وأخبار العرب ، واشعارهم ونثرهم ، ولأنّه أديب وناقد ينتقد بعض العبارات التي وردت في الرسالة ويأتي بعبارة مناسبة ، مثال ذلك قول ابن زيدون: **"والذي ودادي له"**قال الصفدي: "أتى بهذه العبارة فذة لا أخت لها ، ولو قال: بعدها: "وسدادي" لكان قد أخى بينهما كما قال بعد ذلك: **"واعتدادي واعتمادي عليه"**[4]. وهكذا يذكر ما ظهر له من العبارات التي يراها غير مناسبة ، أو أنّها ناقصة تحتاج للزيادة ، ويجعلها في خمسة عشر موضعاً ، ويجد العذر لابن زيدون . يقول: "إنّ هذا لا ينقصه فهو من الفضل بالمحل الأعلى ، ولكن لكل جواد كبوة"[5]. وسوف نورد نقد الصفدي له في القضايا النقدية.

---

(١) تمام المتون : ص٤.

(٢) المصدر السابق : ص٥.

(٣) المصدر السابق : ص٥.

(٤) المصدر السابق : ص٤٠.

(٥) المصدر السابق : ص ٤.

شرح المؤلف الرسالة كما قلت شرحاً وافياً ، واستشهد فيه بالآيات الكريمة ، وبالأحاديث الشريفة ، وبالنظم العربي ، وأقوال العلماء واختلافهم في المعنى الواحد للكلمة . أما شرحه لمعاني المفردات الصعبة فهو أشبه بشرح أصحاب المعاجم اللغوية ، وشارحي الدووين الشعرية ، وربما يكون من الأسباب والدوافع التي جعلت الصفدي يشرح هذه الرسالة ويصنف فيها كتاباً هو كثرة الوقائع والحوداث التاريخية المنثورة في أثنائها . يقول شوقي ضيف: "وإذا استمررنا معه في الرسالة وجدناه يلجأ إلى شيء أكثر صعوبة ، وهو ذكر كثير من وقائع القرآن وحوادث الإسلام الحنيف ، وراع هذا الجانب في الرسالة القدماء ، لأنّهم عثروا به على مادة غنية للشرح والتفسير"[1].

وقد تحدث الصفدي عن طريقة شرحه هذا في كتابه "الغيث المسجم" الذي شرح فيه لامية العجم للطغرائي[2]. يقول: "وقد أحببت أن أضع عليها شرحاً يزين جيدها فرائداً ، وقصيدتها فوائداً ، مما سمعت فوعيت ، وجمعت فأوعيت ، ولا أغادر فيها لغة ولا إعراباً ، ولا إيضاح معني ولا إغراباً ، ولا ما يضمه إليها سلك أو يدخل معهاجراباً إلا نبهت عليه وأشرت بحسب الإمكان إليه[3].

وقد شرح الصفدي الرسالة بعد شرحه للامية لأنّه ذكر ذلك أثناء شرحه للرسالة يقول : "وقد أوضحت هذا في شرح لامية العجم في قوله :

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١١١٩ كورنيش النيل ، ط٤ ، ١٩٦٥م : ص٣٢٩.

(٢) الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد العميد ، فخر الكتاب ، أبو إسماعيل مؤيد الدين : الكاتب المنشيء ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م : ج٩ ، ص ٥٧ ،

(٣) الغيث المسجم ، للصفدي : ج١، ص١٠.

والدهر يعكس آمالي ... البيت" [1].

والجدير بالذكر أنّ منهج الصفدي في الشرح ينحو منحى واحد . ففي فاتحة شرحه للرسالة يقول: "وها أنا أورد الرسالة من خط الإمام على بن ظافر رحمه الله وأثبتها جملة ، ثم أعود بعد ذلك وأوردها شيئاً فشيئاً من أولها إلى آخرها ، وكلما أوردت منها شيئاً أوضحت مبهمه ، وفصلت مجمله ، وأوردت ماله به علاقة ، مستعيناً في بلوغ المقصود بالله تعالى"[2].

وهذا المذهب الذي انتهجه الصفدي أحد تلك المذاهب التي كانت سائدة في عصره ، فبعضهم كان يشرح كتاباً لغيره من العلماء ويسهب في شرحه حتى تعم الفائدة ، وبعضهم يختصر إذا كانت الفائدة في الاختصار . يقول دكتور نبيل محمد رشاد: "وأخذ علماء المماليك هذا المنهج من السابقين واعتمدوه في البحث والتأليف العلمي ، واتخذوه مركباً ذلولاً لبلوغ مآربهم من التوسع في العلم ، والاستطراد في البحث . ومن أهم كتب الشروح في ذلك العصر كتاب جمال الدين محمد بن نباته الذي تناول فيه الرسالة "الهزلية" لابن زيدون الشاعر الوزير العاشق ، الذي أحب ولّادة بنت المستكفي إحدى الظريفات من بنات خلفاء العرب الأمويين ، وهذا الكتاب سماه صاحبه "سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون" ، وكذلك كتاب صلاح الدين الصفدي الذي تناول فيه شرح رسالة ابن زيدون "الجدية" وهو "كتاب تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون" وكتاب "الغيث المسجم" وهو للصفدي أيضاً وشرح فيه لأمية الطغرائي"[3].

---

(١) تمام المتون : ص٣٧٢.

(٢) المصدر السابق : ص٢٢.

(٣)الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية ، للدكتور نبيل محمد رشاد ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط١ ، سنة ١٤٢١هـ_٢٠٠١م : ص٦٢_٦٣.

وهذه بعض النماذج التي توضح طريقة شرحه . يقول الصفدي شارحاً عبارة ابن زيدون: **"وسمع الأصم ثنائي عليك وأحس الجماد بإسنادي إليك"**[1]. يقول شارحاً المفردات: **والأصم** : الذي لا يسمع شيئاً . **وأحس**: من الإحساس وهو الإدراك بالحواس الخمس . **والجماد**: كل ما ليس يدرك مثل الحجر والتراب وغيره ، وفي اللغة: والجماد الأرض التي لم يصبها مطر ، وناقة جماد لا لبن فيها .**والإسناد** في الحديث: أن يرفعه إلى قائله . ثم بعد ذلك يشرح العبارة بقوله: "وفعلتَ بي كل ذلك بعدما نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم وهو الذي لا سمع له ثنائي الذي كنت أثنيهعليك ، وأحس الجماد الذي لا إدراك له ولا إحساس برفع الحديث إليك ، وهذه غاية المبالغة"[2].

وشرحه لقوله: **"والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يفِ به احتمالك"**[3]. يقول: **التطاول**: تفاعل من الطُّول وهو ضد العرض .**يستغرق**: يستفعل من الإغراق . **والتطول**: تفعل من الطَّول: بفتح الطاء وهو المن والفضل . **والتحامل**: تفاعل من الحمل ، تقول: تحملت على نفسي أي : تكلفت الشيء على مشقة .**لم يفِ به** : لم يقم به ، **والاحتمال** : مصدر احتمل إذا تكلف فوق طاقته وقدرته" [4]. ثم يكمل شرحه ذاكراً قصة دخول الحجاج[5] على عبد الملك بن مروان"[6] وثناء عبد الملك عليه لحسن حديثه ،

---

(١) تمام المتون : ص٤٤.

(٢) المصدر السابق : ص٤٤.

(٣) المصدر السابق : ص٩٦.

(٤)المصدر السابق : ص٩٦.

(٥) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أبو محمد : الأمير الظالم ، سيف بني مروان ، داهية ، سفاك ، خطيب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص١٦٨ .

(٦) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم ، متعبداً ناسكاً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص١٦٥.

وجمال فصاحته . وقصة الحجاج واستئصاله للأسرى بالقتل حتى قال أحدهم: والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في اقتراف الذنب لما أحسنت أنت في ترك العفو، فقال: أفٍ لهذه الجيف! أما كان فيهم من يحسن مثل هذا: وأمسك عن قتل الباقين.وقصة العباس بن مرداس السلمي[1]. مع النبي ﷺحينما أعطاه أربعين من الإبل ، وأعطى المؤلفة قلوبهم خمسمائة من الإبل ، وقول العباس مخاطباً النبي ﷺ:

أتجعل نهبي ونهب العُبيـ ـد بين عيينة والأقرع

وكذلك شرحه لقول ابن زيدون: **"والله ما غششتك بعد النصيحة"**[2]. يقول الصفدي: **"الغش** : خلاف النصح كأنّه شيء غطي عليه .**والنصح** :ضد ذلك ، والنصح الإخلاص ،**والناصح**: الخالص من العسل . والغش أمر مذموم منهي عنه ، ويستشهد على ذلك بما رواه أبوهريرة رضي الله عنهأن رسول الله ﷺقال: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)[3].

ويذكر قوله تعالى مخبراً عن سيدنا نوح: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ثم يذكر أحاديث أخرى وأبياتاً من الشعر للقاضي الفاضل[4] مستنكراً على ابن العماد. وقصة محمد بن المثنى ابن الأجدع الهمداني[5]مع الحجاج بن يوسف الثقفي،

---

(١) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، من مضر ، أبو الهيثم : شاعر ، فارس ، من سادات قومه ، أمه الخنساء الشاعرة ، أسلم قبل الفتح . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣ ، ص٢٦٧ .

(٢) تمام المتون : ص٢٤٢.

(٣) تمام المتون : ص٢٤٢ . انظر: الجامع الصحيح ، للإمام مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢هـ _ ١٩٩١م : ج١ ، ص٩٩ .

(٤) عبد الرحيم بن علي بن الحسن القاضي الفاضل : صاحب ديوانالإنشاء ووزير السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . انظر : الوافي بالوفيات، للصفدي : ج٨، ص ٢٠١ .

(٥) محمد بن المثنى ابن عبيد ، ابو موسى : من الحفاظ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص١٨ .

وكل هذا في أسلوب ممتع جذاب ، يشد القارئ ويجعله منتبهاً في تشوق.

بعد استعراض هذه النماذج يتضح لنا أنّ منهج المؤلف في التصنيف وطريقة شرحه أشبه بطريقة الجاحظ[١]. والمبرد[٢]. وغيرهما من أساطين الأدب العربي. وكانت عبارة عن حديقة غنية بالفواكه المختلفة، فهو تارة يبتدر الشرح لمعاني المفردات ويؤيده بأقوال الشعراء ، ويغوص في بحور البلاغة ، ويستطرد في تفصيل معني من المعاني أو حادثة من الحوادث ، وتارة يعلق على عبارة من الرسالة ويذكر مناسبتها مفصلاً الحديث عنها ، وربما ربط الأمر بموقف مشابه.

فالصفدي في شرحه يستوفي عناصر الموضوع الذي يتناوله ، فإذا تعرض لرواية استوفي في ترجمتها . وإن تناول قصة ورد عنوانها في الرسالة ذكر كل ما يتصل بها من أحداث ، وربما أتبع ذلك بتعليق أو إشارة أو لطيفة، الأمر الذي جعل الكتاب مصدراً لتلك التراجم والقصص. ويقول ياسر بن سليمان شوشو متحدثاً عن شرحه للامية العجم ورسالة ابن زيدون : "وقد اعتمد في شرحه لهما على منهج مختلف عن مناهج سابقيه من الشراح ، فهو وإن حرص على نسق بعض الشروح المطولة ، إلا أنّه كان يتوسع بصورة غير تقليدية ، ليكشف عن تلك الجوانب المعرفية المتنوعة التي اشتملت عليها النصوص التي يدرسها ، ولم تقف جهوده في مجال التطبيق عند شرح النصوص الأدبية فحسب ، وإنّما تجاوزها إلى نقد الكتب"[٣].

---

(١)عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الادب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. الأعلام ، للزركلي : ج٥ ، ص٧٤ .

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري ، أبو العباس المبرد : إمام العربية في زمانه ، كان فصيحاً بليغاً ثقة ، علامة ، صاحب نواد وظرافة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ، ص٣٨٥ .

(٣) النقد التطبيقي عند الصفدي دراسة وتوجيه ، لدكتور ياسر بن سليمان شوشو ، مكتبة وهبة ط١، سنة ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م: ص٦.

وهذه الطريقة لم يكن المؤلف أول من ابتدعها ، وإنّما كانت هي طريقة الكُتَّاب السابقين له والمعاصرين . وقد زخرت كتب الأدب العربي القديم _ مثل "البيان والتبيين" للجاحظ ، و"الأمالي" لأبي علي القالي[1]، و"الكامل" لأبي العباس المبرد _ بمثل هذه الشروح والتعليقات . إلا أنّ ما يميز الصفدي هو اختياره لأسلوب ومنهج خاص به ، والتوسع كما قال شوشو بصورة غير تقليدية ، فهو كاتب مبدع مخترع .

والكاتب المبدع: هو الذي يستطيع تصريف المادة الخام ، وتشكيلها وإظهارها بمظهر يعكس الافتتان والإبداع ، ويدعو إلى الإعجاب. قال الجاحظ: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروى وإنّما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير"[2].

وما قاله الجاحظ وفق فيه الصفدي توفيقاً تاماً ، فهو على الرغم من أنّه لم يسلك طريقاً بكراً إلا أنّه استطاع أن يختار مادة جيدة غنية اختار لها أحسن الطرق لعرضها ، ومزج عرضه بثقافته العميقة ، ونكهته الخاصة . يقول محمد زغلول: "وهكذا يمضى الشارح في شرح الرسالة التي تبدو وكأنّها استعراض لمقدرة الكاتب البيانية ، وثقافته العربية والإسلامية العامة في فروع المعرفة الإنسانية على زمنه . يوظف فيها محفوظه منها ، ويتحاور معه في سياق حديثه ويعرضه عرض قدير على أشكال مختلفة في مجرى السياق بين

---

(١) إسماعيل بن القاسم بن هارون ، أبو علي القالي : أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب ، أشهر تصانيفه كتاب" النوادر" ويسمى أمالي القالي ، الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٣٢١ .

(٢) الحيوان ، لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١ ١٣٥٦هـ _ ١٩٣٨م : ج٣ ، ص١٣١_١٣٢ .

نص مضمن ، أو عبارة من نص ، أو كلمات من آية ، أو حديث ، أو نصف بيت ، ويكون أحياناً لمحاً وإشارة إلى قصة ، أو خبر يترك للقارئ استدعاءه بما يعرفه"[1]. فالصفدي يشرح الرسالة موضحاً الغامض فيها ، كاشفاً خباياها ، ومترجماً للشعراء والأعلام الذين كثيراً ما يشير إليهم ابن زيدون ، معتمداً في شرحه على القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وعلى كثير من كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعراء . وقد ذكر كثيراً من المؤلفين مثل ابن بسام[2]، وابن رشيق[3]، والجاحظ ، والشهرستاني[4]، وأبو الفرج الأصفهاني[5]، وغيرهم . وأحياناً يذكر مؤلفاتهم مثل ذكره لـ"أدب الكاتب" و"الأغاني" و"مروج الذهب" و"مناقب الشافعي" .

فمعرفته الخصبة الواسعة ، وجوده سبكه ، مما جعله يشكل مادة ابن زيدون الخام بصورة جميلة جذابة تعكس الإبداع ، والرؤى والفنون التي لا تتسنى إلا لكاتب عبقري ضليع ، متمرس على الكتابة ، ينظر للكلمة فينقحها ويتذوقها ، ويجعلها تعيش في جوانحه فيبث فيها من المعاني ومن بنات أفكاره ما يدل على سعة ذخيرته اللغوية ، ومقدرته الفائقة على استخدام العبارات التي تبدو وكأنّها توحي إليه إيحاءً ، أو كأنّه يستمدها من

---

(١) الأدب في العصر المملوكي، لمحمد زغلول سلام : ج٢، ص٣٤٦_٣٤٧.

(٢) على بن بسام ، الشنتريني ، الأندلسي ، أبو الحسن : أديب من الكتاب الوزراء ، أشهر كتبه "الذخيرة " انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٢٦٦ .

(٣) الحسن ابن رشيق القيرواني أبو علي : أحد الأفاضل البلغاء ، له التصانيف الحسنة ، منها كتاب "العمدة"انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد : ج١ ، ص٢٦٦.

(٤) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الاسلام.كان إماماً في علم الكلام وأديان الامم ومذاهب الفلاسفة.انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص٢١٥ .

(٥) علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي ، أبو الفرج الأصفهاني : من أئمة الأدب ، والمعرفة بالتاريخ والأنساب والسير واللغة والمغازي ، قال الذهبي (والعجب أنّه أموي شيعي) من كتبه "الأغاني" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٢٧٨ .

معين لا ينضب . ولذا اختط الصفدي منهجاً نقدياً جمع فيه بين النظرة العميقة والحس المرهف والذوق الرفيع ، وفق منهج ثابت ومحدد سواء ما أتصل منه بجانب شرح الألفاظ ، أو ما ارتبط بذلك الشرح من قضايا نقدية ولغوية ، كحديثه عن القافية أو موسيقي الشعر ، أو ما أتصل منه بجانب التركيب النحوي الذي غلب على شروحه ومكنه من ذلك معرفته الواسعة بالنحو ورغبته في تطبيقها . يقول شوشو: "ولقد حرص الصفدي على أن يرسم منهج نقده اللغوي القائم على بيان معاني الألفاظ في اللغة وما يتصل بذلك البيان من فوائد وشواهد لغوية أو اختلافات في الاستعمالات من خلال اللهجات العربية المختلفة ، وكل ما يتصل بتلك الألفاظ من ناحية الموقع الإعرابي مع عرض لاختلافات أراء النحاة في بعض المسائل والتأييد والترجيح ، إضافة إلى اهتمامه بالجانب العروضي وبحور الشعر والقافية المتمكنة والقلقة ، مما يؤكد أنّه رجل موسوعي له خبرته الكبيرة في هذا المجال[1].

ولعل أهم آليات النقد عند الصفدي هو حسه اللغوى الأصيل ، وذوقه الذي صقلته معرفته الواسعة بالأدب العربي ، وإدراك أبعاده الفنية وقيمه الجمالية . والذوق هو الأساس الذي بُنِى عليه النقد العربي القديم . يقول شوشو: "أما آليات النقد التطبيقي عند القدماء فقد اعتمدت على معطيات متعددة أسهمت مجتمعة في إبراز صور متنوعة له جعلت الناقد منهم ينظر إلى النص الأدبي نظرة متكاملة ، إتكأت في مجملها على الذوق من جهة ، وعلى المنجز الثقافي والفكري الذي شكل العقلية العربية وصقلها بمختلف العلوم والمعارف الأصلية من جهة أخرى[2].

---

(١) النقدي التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص١٢٨.

(٢) المصدر السابق : ص١٥.

والصفدي استطاع بمعرفته وإلمامه الواسع باللغة والنحو أن يطبقها على النصوص الأدبية ، فهو ناقد أدبي ملم باللغة وعميق النظر ، يعرف كيف يحكم ذوقه . وأديب يستخدم اللغة في عرض ما يقدمه من جيد الأعمال ، حصيفاً متفوقاً على غيره . تقول دكتورة نعمة رحيم العزاوى: "إنّطريقة الأديب للغة في عرض مضامينه الجيدة تحدد منزلته بين الأدباء ، وتعطيه السمة التي يتفوق بها على غيره أو يتخلف. والتجديد في الشعر خاصة والأدب عامة يعني القدرة على إقامة علاقات متميزة بين الألفاظ. ... وإذا كانت اللغة مادة الفن الأدبي ، وإذا كان نبوغ الأديب أو تفوقه بطريقته في استخدام اللغة والتعامل بها ، فإنّ على الناقد أن يولي هذه الإدارة عنايته ويصرف إليها جهده واهتمامه ليكون ذلك كفاءة لأهميتها في الأدب ، ومكانها منه"[1].

وخلاصة الأمر يعد كتاب "تمام المتون" من أهم الأسفار الخالدة التي تعد ذخيرة ومصدراً لأشعار الشعراء السابقين والمعاصرين له ، ومرجعاً لبعض العلوم التي قد تكون ضاعت من مصادرها الأصلية ، ويحوى شرحاً قيماً نفيساً ؛ لأنّه اشتمل على مادة ثرة ثمينة ، غطت مختلف الفنون الأدبية والتاريخية المفيدة للقراء والباحثين على مختلف عصورهم.

يعد الإمام الصفدي أول من شرح الرسالة "الجدية" وتبعه آخرون منهم:

١) أبوبكر محمد عليم:

وهو أحد الموظفين السابقين بوازرة الحربية المصرية . يقول في فاتحة الكتاب الذي شرح فيه الرسالة والمسمى "الدر المخزون في شرح رسالة ابن

---

(١) النـقد اللغوى عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، للدكتورة نعمة رحيم العزواي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراق، ١٩٧٨م : ص٥.

زيدون" : "كنت قد قرأت في المجلد السادس للسنة الحادية عشرة بعد الستمائة والألف الميلادية من مجلة المقتبس الغراء لمنشئها الكاتب الأديب محمد كرد علي الذي كان يصدرها بدمشق ، رسالة لأبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون إلى أبي الوليد محمد بن جهور[1] من ملوك الطوائف بالأندلس أيام اعتقاله ،وتنكر حاله ، وفيها ضروب من البلاغة تسحر القلوب وتخلب الألباب ، شمم في استعطاف وتواضع في استنكاف ، ومرارة فؤاد تذيب الصفاة الصماء ، وشكوى حال ترق لها البهيمة العجماء . فجعلت أكرر تلاوتها واستطعم حلاوتها ، وكلما فرغت منها عدت إليها ، والمكرر أغلى وأحلى . وتمنيت لشدة إعجابي بنمطها العجيب وأسلوبها الغريب ، أن يشاطرني كل قارئي وسامع الإلمام بمعانيها واستيطان مغانيها"[2]. إلى أن يقول: " بما بعثني إلى البحث عن شرح لها يشبع الغرثان ويروى الظمآن"[3].

وبعد ذلك تحدث عن شرح الصفدي وقال : إنّه عرفه من تعليق صاحب المجلة يقول: "وقد علمت من تعليق صاحب المجلة عليها حين أوردها أنّ الأديب المؤرخ والعالم المحقق الشيخ صلاح الدين الصفدي قد شرحها شرحاً مسهباً في نحو مائتي ورقة وسمي شرحه "تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون"[4].

---

(١) محمد بن جهور بن أبي الحزم بن محمد بن جهور الكلبي بالولاء ، أبو الوليد : صاحب قرطبة وليها بعد وفاة أبيه كان مشاركاً في العلوم والآداب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦، ص٧٤.

(٢) الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون، لأبي بكر محمد عليم، سنة ١٣٤٥هـ _ ١٩٢٦م : ص٤_٥.

(٣) المصدر السابق : ص٥.

(٤) المصدر السابق : ص٥.

هذا وعلى الرغم من أنّ صاحب "الدر المخزون" يقول : إنّه لم يجد نسخة من كتاب "تمام المتون" في القاهرة لأنّها نفدت من المكتبات ، إلا أنّ طريقة شرحه تؤكد أنّه أطلع على نسخة من هذا الكتاب حتى ولو من المكتبات الخاصة ، وذلك لأنّه التزم منهج الصفدي في الشرح وخاصة شرحه للمفردات ، لكنه قصر دونه ولم يلحق به . ومما عبته على هذا الكاتب في مقدمة كتابه هجاءه وإساءته لبلاد السودان ، التي أكل هو وسادته من المستعمرين الإنجليز من خيرها . ووصفه لها ببلاد الشؤم والنكد . بدل أنيقول أنّه كتب الكتاب لقراء العربية حتى تعم الفائدة وخدمة لهذه اللغة الشريفة وللأمة الإسلامية ، وأنّه جعل هذا الشرح تاريخاً لشفائه : "فاجتهدت أن أحصل على نسخة مطبوعة ، وبعثت في طلبها من مكاتب القاهرة الشهيرة فلم أجدها ، وقيل لي أنّه لم يطبع في مطابعها ، وربما كان قد طبع في البلاد الأوربية ونفدت نسخه إلا ما كان في مكاتب الخاصة . وحينئذ حدثتني النفس بأن أشرح الرسالة المذكورة ، وأجعل ذلك الشرح تاريخاً لشفائي من المرض ، وعودتي من بلاد الشؤم والنكد . مستمداً من الله المعونة والتوفيق في انتهاجي أقوم طريق"[1].أقول بلادي ليست بلاد شؤم ونكد ، إنّما أهل الشؤم والنكد هم الدخلاء الأوغاد الذين أعانوا المستعمرين على ظلم أهلها.فالسودان هو ذلك البلد الذي أتاه الشاعر خليل مطران مريضاً فتعافى فيها من دائه ونظم فيه شعراً وهذه بعض أبياته:

بلاد تصطبى الأحـــلام فيها حقيقتهـــا ويسبيهـا الخيـــال
لمجـــرى نيلهـــــا ولضفتيه جمـــال لا يبـــاهيه جمـــال
وللبيد السحيقة والرواسي جـــلال لايضـــاهيه جـــلال
فإن يك شعبها كرمـاً وبأساً يمثلهـــا فقـد راع المثـــال

(١) الدر المخزون ، لأبي بكر محمد عليم : ص٥.

شمـائل حلـوة طـابت ورود‌اً على مـرِّ الزمـان ومـا تزال
بني السـودان حي الله قومـا بهم هذه الفضائل والخصال
شبـاب أذكيـاء تلوح فيهم لكـل عظيمة ترجى خـلال
وأشيـاخ ميـامين حصـاف تزكي مـا يقولـون الفعـال [1]

٢) الشيخ حمزة فتح الله:

كان يعمل مفتشاً في علوم اللغة العربية ، شرح هذه الرسالة شرحاً موجزاً ذكره أبوبكر محمد عليم في مقدمة كتابه[٢].

المصادر التي اعتمد عليها الصفدي في شرحه:

١) المصادر الشفهية والسماعية:

نجد الصفدي أحياناً ينقل في شرحه نقلاً شفهياً ، سواء أن يقول سمعت من شيخنا أو أنشدت لشيخنا أو نقلت من خطه فمثلاً يقول : "أنشدني لنفسه إجازة شيخنا العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله ومن خطه نقلت:

قيـل ما أعددت للحتف وقد جئت محله

قلت أعددت مع التوحيد حسن الظن بالله"[٣]

وقوله: "والبيت الأول رويناه عن شيخنا العلامة أثير الدين بن حيان رحمه الله"[٤]. ولكنّه في الغالب ينقل عن مصادر مكتوبة . والنقل الشفهي يساعده في الشرح وخاصة شرحه للأشعار ؛ لأنّ معظم هذه الأشعار تكون سماعية في اجتماعات الأدباء فيما بينهم . فهو يصرح تارة باسم الشيخ الذي روى أو نقل عنه ، مثل قوله: "والبيت الأول كذا رويناهعن شيخنا العلامة

---

(١) ديوان الخليل ، للشاعر خليل مطران ، دار مارون ، بيروت : ص٤٩١ .

(٢)الدر المخزون ، لأبي بكر محمد عليم : ص٤.

(٣) تمام المتون : ص٢٥٥.

(٤) المصدر السابق : ص٢٧٢.

أثير الدين ..." [1]، وأحياناً يطوي ذكر من نقل عنه يقول: "وقال بعض الأدباء: كان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك إلى أن أوضحها ابن الرومي في قصيدته لسليمان بن عبد الله بن طاهر..."[2]، وأحياناً يذكر رأيه يقول: "قلت : وابن أبي داود القاضي له مقامات مشهورة معروفةٍ عند أهل العلم..."[3].

هذا وسأورد فيما بعد الذين نقل عنهم الصفدي شفاهة وسماعاًفي مبحث توثيق النصوص .

٢) المصادر التي نقل منها كتابة :

مثال ذلك نقلهعن صحيح البخاري: "يقول وفي الصحيح من حديث البراء ، أنّ أبا سفيان قال : إنّ لنا العُزى ولا عُزى لكم . فقال النبي ﷺ : (أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم) "[4]. وقوله أيضاً : "وقد ذكر المسعودي في شرح المقامات" [5]. فهو يذكر المسعودي وشرحه للمقامات . وكذا قوله : "ومن ذلك ما ذكره صاحب الأغاني"[6] فهو يذكر كتاب "الأغانـي"، وهكذا يذكر الكتب التي استمد منها مادته منها .

---

(١) تمام المتون : ص٢٧٣.

(٢) المصدر السابق : ص٣٢٩.

(٣) المصدر السابق : ص٣٦٥.

(٤) المصدر السابق : ص١٦١.

(٥) المصدر السابق : ص١٧٧.

(٦) المصدر السابق : ص٢٦٠ .

ترجمة أبي الوليد ابن زيدون

اسمه ونسبه :

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي القرشي أبو الوليد . ولد بالرصافة من ضواحي قرطبة ، في بيت علم وجاه وغني . سنة ٣٩٤هـ ، وتلقي تعليمه على يد أبيه وكان أبوه فقيهاً نبيهاً عالماً أديباً .

وبعد وفاة أبيه كفله جده لأمه ، حيث أخذ عليه شيئاً من العلم .

قال الزركلي : "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي الأندلسي أبو الوليد : وزير، كاتب ، شاعر ، من أهل قرطبة . انقطع إلى ابن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس ، فكان السفير بينه وبين ملوك الأندلس فأعجبوا به"[١].

شيوخه وثقافته وعلمه :

إضافة لنشأة ابن زيدون في بيت علم وأدب وترعرعه بين أبيه وجده العالمين الأديبين وولادته في قرطبة التي كانت آنذاك حاضرة العلم ومنارة الأدب ، يؤمها ويقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب ، مليئة بالعلماء مكتظة بالأدباء ، أمثال ابن زكوان[٢] وأبوبكر مسلم بن أحمد بن أفلح[٣] الذي كان رجلاً طيب الأخلاق عالماً متمسكاً بدينه متقدماً في علم العربية راوية للشعر والأدب . وقد لزمه ابن زيدون وأخذ عنه فنوناً من العلم .

---

(١) الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١٥٨ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٧ ، ص٥٩ .

(٢) أحمد بن عبد الله بن زكوان ، أبو العباس : قاضي القضاة بالأندلس ، ولاه ابن أبي عامر القضاء وكان من خاصته ومحله منه فوق محل الوزراء ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١٥٦ .

(٣) مسلم بن أحمد ابن أفلح القرطبي . أبوبكر : النحوي ، الأديب ، العالم باللغة ، انظر : الذخيرة لابن بسام : القسم الأول : ج١ ، ص٣٥٥ .

وبرع ابن زيدون بعد ذلك في الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب والتاريخ ، وكان كثير المطالعة للكتب ، ومن ألمع شباب قرطبة يومها قال ابن بسام : "إنّه فتى الآداب ، وعمدة الظرف ، والشاعر البديع الوصف ، غلب على قلوب الملوك بفضل ما أوتيه من اللسان والعارضة"[1]. وقال أيضاً: "كان أبو الوليد صاحب منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء مخزوم ، أحد من جر الأيام جراً ، وفات الأنام طراً ، وصرف السلطان نفعاً وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثراُ ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ولا للبدر تألقه ، وشعرٍ ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر إقترانه ، وحظٍ من النثر غريب المباني ، شِعريّ الألفاظ والمعاني "[2].

وهذه الشهادة القيمة من صاحب "الذخيرة" تؤكد أننا نقف أمام عالم وأديب مثقف ، ما ذكرت قرطبة إلا ذكر ، وما جاءت سيرة الأدب في الأندلس إلا وذاع ذكر أسمه على الألسنة ، لا يمكن لكاتب أو راوي أن يتجاوزه أبداً اختلف معه أم اتفق. ومما يدل على عبقريته ونبوغه وموهبته كتابته للشعر وهو لم يتجاوز العشرين بعد . وظهر ذلك في مرثيته لشيخه ابن ذاكوان[3]. وأصبح بعد ذلك شاعراً مجيداً ، وناثراً مقتدراً حسن التصرف في النثر الجميل المسجوع ، ونجد في نظمه ونثره كثيراً من الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الأمثال والأشعار.

---

(١) كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن على بن بسام الشنتريني ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ١٩٧٩م ، بيروت : القسم الأول ، ج١ ، ص٣٦٣ .

(٢) المصدر السابق : القسم الأول ، ج١ ، ص٣٦٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ : ج٤،ص٥٩٠.

حياته السياسية والاجتماعية:

تأثر ابن زيدون كثيراً بجدهالذي كان يتولى أحكام الشرطة والسوق بقرطبة ، وقد شهد مقتله على يد وزير المعتمد بالله الخليفة الأموي ، الأمر الذي حز في نفسه كثيراً وجعله يشترك مع المناهضين لبني أمية[1] والعاملين على إسقاط حكمهم ، ومن هنا بدأت حياته السياسية.

وبعد اضطراب الأحداث في قرطبة خاف أهل قرطبة من الفوضى ووجدوا في أبي الحزم بن جهور ، أفضل حاكم فولوه عليهم فأنشأ فيها إحدى دويلات الطوائف.

فاتصل ابن زيدون بالحاكم الجديد وصار له وزيراً ، مع العلم بأنّهما كانا صديقين من قبل وبعد الوزارة . فولج باب السياسة الملئ بالخصومات والمكائد. وكان يطمع في منصب رفيع مع صديقه ابن جهور ، ولما لم يتحقق له ، اشترك في مؤامرة ضده فقبض عليه وزج به في السجن . وقد تعلق في تلك الفترةبولادة بنت المستكفي بالله[2]. واشتهر بحبها وكان كثير التردد إلى مجالسها.

وقد كانت ذكية قوية الشخصية ، متأدبة بالفنون والآداب ، واستطاعت بسحر جمالها ، وخفة روحها ، وحسن معشرها ، وروعة أدبها وذوقها ، أن تستميل الأدباء والشعراء لمنزلها . قال ابن بسام: " كانت الحسيبة ولادة في نساء أهل زمانها ، واحدة أوانها ، حسن منظر ومخبر ،

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ : ص٥٨٩.

(٢) ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري ، انظر : الذخيرة ، لابن بسام : القسم الأول ، ج١ ، ص٤٢٩ . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تأليف الشيخ أحمد المقري التلمساني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان : ج٥ ، ص٣٦٣ .

وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفذاذ الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها"[1].

هذا وقد عاش ابن زيدون أجمل أيام وأحلى ليالي حب مع ولادة ، وتوثقت صلتهما ولكن هذا الحب الذي بدأ مبكراً لم يستمر حيث عكر الوشاة صفو العلاقة بينهما ، وظهر له منافسون في حب ولادة مثل المنافسين له في دنيا السياسة ، ومنهم أبو عامر بن عبدوس[2]الملقب بالفار ، وفيه كتب رسالته "الهزلية" على لسان ولادة يتهكم عليه ويسخر منه ، ويهجوه بعبارات نابية . وكتب قصائد استعطافية يطلب الصفح والعفو من ولادة ويطلب منها الرجوع إلى أول عهدهما ، ولعل أشهر قصائده هي النونية التي مطلعها :

أضحى التنائي بديلاً من تدانيناوناب عن طيب لقيانا تجافينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهمحزنا من الدهر لا يبلي ويبلينا
إن الزمان الذي ما زال يضحكناأنساً بقربهم قد عاد يبكينا[3]

ووسط في قضيته هذه أبا الوليد بن ابي الحزم ولم يهتم به وحينما لم يشفع له هرب من السجن إلى أشبيلية ، ومدح أميرها المعتضد بالله بن عباد[4]. وكتب إلى أستاذه أبي بكر بن مسلم يطلب منه أن يشفع له عند أبي الحزم ، ويوضح فيها شدة شوقه إلى قرطبة وإلى أمه التي طال غيابهعنها،وأخيراً

---

(١) الذخيرة ، لابن بسام : القسم الأول ، ج١ ، ص٤٢٩ .

(٢) أحمد بن عبدوسابو عامر الملقب بالفار : ولي الوزارة بقرطبة ، ونافس ابن زيدون في حب ولادة . شعره ركيك . الذخيرة ، لابن بسام : القسم الأول ، ج١ ، ص٤٣١ .

(٣) نفح الطيب ، للمقري : ج٤ ، ص٢٥٦_٢٥٧ .

(٤)عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، المعتضد أبو عمرو، أمير إشبيلية، انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٤٩٩.

استجاب أبو الحزم وعاد ابن زيدون إلى قرطبة . وبعد وفاة أبي الحزم قرب ابنه أبو الوليدشاعرنا إليه ، وولاه النظر على أهل الذمة ، ثم رقاه إلى رتبة سفير ، ولقب كبقية السفراء بذي الوزارتين ، وأصبح عمله الاتصال بالملوك يفد إليهم وكانوا معجبين به ، وخاصة إدريس بن يحي بن على بن حمود الملقب بالعالي[1]، وكان أديباً ماجناً ، وجد ابن زيدون في بلاطه مكاناً للهو والعبث ، الأمر الذي أغضب عليه أبو الوليد وعزله من منصبه ، وأعرض عنه إعراضاً تاماً لم ينفع معه استعطاف الشاعر . بعدها غادر ابن زيدون إلى بلنسية واتصل بالوزير الأديب عبد الله بن محمد بن مروان[2]. الذي أحسن استقباله وبالغ في إكرامه ، ثم انتقل إلى بطليوس ومنها عاد إلى قرطبة بعد أن عفا عنه أبو الوليد.

وحدثت مؤامرة أخرى على أبي الوليد وعلى الرغم من أنّ الشاعر وقف مع أبي الوليد إلا أنّ أبا الوليد لم يسند إليه منصباً عالياً ، فأصابه يأس شديد وغادر قرطبة إلى أشبيلية.

وهكذا ظل ابن زيدون في هذا الجو المشحون بالمكايدات وصفو الحياة وعكرها ، يخرج من قرطبة غاضباً ويعود إليها فرحاً ، إلى أن ختم حياته في أشبيلية _ حين بعثه المعتمد بن عباد الذي فتح قرطبة وجعلها عاصمة لملكه لإخماد الفتنة هناك_ حيث اشتد عليه المرض وتوفي بها عام ٤٦٣هـ.

---

(١)إدريس بن يحي بن على بن حمود الحسني ، أبو العلاء : من ملوك الدولة الحمودية بالأندلس تولى الخلافة بعد أحيه الحسن ولقب نفسه "العالي بالله" . أنظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٢١٨ .

(٢)محمد بن مروان بن عبد العزيز ، ابو عبد الله : الكاتب .الوزير . انظر : الذخيرة ، لابن بسام القسم الأول : ج١ ، ص٣٧٠ .

آثـــاره:

كان ابن زيدون كاتباً قديراً ذا أسلوب جزل متين يميل فيه إلى الصناعة ، ويتكي على السجع والموازنة بين الجمل ، ويظهر السجع جلياً في رسالته "الهزلية" .وله من الكتب :

١) كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس[١].

٢) الرسالة الهزلية: وهي رسالة كتبها على لسان ولادة إلى ابن عبدوس والتي هجاه فيها ، يقول في مطلعها: "أما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه الفاحش غلطه ..." [٢].

يقول دكتور جودت الركابي: "كتب هذه الرسالة على لسان ولادة لمنافسه ابن عبدوس يهزأ به ، وقد جاءت الرسالة طريفة جمعت بين أفانين التهكم ، وضروب المعرفة ، وساق فيها طائفة من الأمثال والأبيات المنثورة من الشعر"[٣].

٣) الرسالة الجدية: وهي التي بعث بها إلى أبي الحزم بن جهور ، يستعطفه ويطلب عفوه ، ويتنصل مما نسب إليه . وهي محور دراستنا هذه .

يقول دكتور شوقي ضيف: "كتب ابن زيدون هذه الرسالة يتعطف أبا الحزم جهوراً أمير قرطبة ، حيث ألقي به في غياهب السجن ووراء قضبانه ، لما قيل من نهبه عقاراً لبعض مواليه ، وقيل _وهو الأصح _، بل لما دس عليه عند ابن جهور من اشتراكه ضده في مؤامرة فاشلة"[٤].

---

(١) نفع الطيب، للمقري : ج٢، ص١٨٢.

(٢) سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون ، لجمال الدين بن نباتة المصري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦م : ص٢٥ .

(٣) في الأدب الأندلسي ، للدكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ : ص١٨٩.

(٤) عصر الدول والإمارات "الأندلس" ، للدكتور شوقي ضيف دار المعارف ، ط٤ : ص٤٦٨ .

ويقول أيضاً: " ويظل إلى نهاية الرسالة يستعطف أبا الحزم جهوراً كي يرد إليه حريته ، ويضيف إليها قصيدة استعطاف بديعة"[1]. ويختمها بقوله لجهور: **"فهب ذنباً لحرمة ، وأشفع نعمة بنعمة ، ليتأتى لك الإحسان من جهاته ، وتسلك إلى الفضل طرقاته"**[2]. والجدير بالذكر أن ابن زيدون كتب قصائد كثيرة يستعطف بها أبا الحزم ، وأخيراً كتب له هذه الرسالة الرائعة التي بهرت الأدباء والنقاد قديماً وحديثاً.

٤) ديوان ابن زيدون: لقي الديوان اهتماماً كبيراً لأنّ صاحبه من ألمع وأنبغ شعراء الأندلس الذين حافظوا على عمود الشعر العربي ، ويكتسى شعره بديباجة زاهية ، ملأت شعره جمالاً وحلاوة وموسيقي ، تظهر فيها الصناعة والبراعة .

نص رسالة ابن زيدون "الجدية" :

يقول الصفدي: "وها أنا أورد الرسالة منقولة من خط الإمام على بن ظافر، رحمه الله تعالى: وأثبتها جملة، ثم أعود بعد ذلك وأوردها شيئاً فشيئاً، من أولها إلى آخرها، وكلما أوردت منها شيئاً أوضحت مبهمه، وفصلت مجمله، وأوردت ماله به علاقة، مستعيناً في بلوغ المقصود بالله تعالى.كتب أبو الوليد أحمد بن زيدون إلى ابن جهور:

"يا مولاي وسيدي الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي به . ومن أبقاه الله تعالى ماضي حد العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهدالنعمة. إن سلبتني أعزك الله لباس إنعامك ، وعطلتني من حلي إيناسك ، وأظمأتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ؛ بعد أن نظر الأعمي إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ،

---

(١)عصر الدول والإمارات "الأندلس" ، لشوقي ضيف : ص٤٦٨.

(٢) تمام المتون : ص٣٩٨ .

وأحس الجماد باستحمادي إليك ؛ فلا غروَ ، قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتَى الحَذِر من مأمنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته ، والحَيْن قد يسبق حرص الحريص .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الأعداء

وإنّي لأتجلد ؛ وأُرى الشامتين أنّي لريب الدهر لا أتضتضع ، فأقول : هل أنا إلا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به إكليله ، ومشرفي ألصقه بالأرض صاقله ، وسمهري عرضه على النار مثقفه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النَّبْوَة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع ، ولن يريبني من سيدي أن أبطأ سيبه ، أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأُ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً أحفلها ، وأنفع الحيا ما صادف جدباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً ، ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب ؛ له الحمد على اهتباله ، ولا عتب عليه في إغفاله .

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذي لم يف به احتمالك ؛ ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين العدل ؟ أو مسيئاً فأين الفضل ؟

إلا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

حنانيك ! قد بلغ السيل الزبي ، ونالني ما حسبي به وكفي . وما أراني إلا لو أنّي أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح :

﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾، فقلت : ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾، وأمرت ببناء صرح لعلّي أطلع إلى إله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلى به جيوش طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة ، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت إلى العير ببدر ، وانخزلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة ، وجئت بالإفك على عائشة الصديقة ، وأنفت من إمارة أسامة ، وزعمت أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ، وروَّيت رمحي من كتيبة خالد ، ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه ، وضحيت بالأشمط الذي عنوان السجود به ، وبذلت لقطام :

ثلاثة آلاف وعبداً وقَيْنَة وضرب على بالحسام المسمم

وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جعجع بالحسين ، وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة :

ليت أشياخي ببدر علموا جزع الخزرج من وقع الأسل

ورجمت الكعبة ، وصلبت العائذ على الثنية ، لكان فيما جرى عليّ ما يحتمل أن يسمى نكالاً، ويدعى ولو على المجاز عقاباً .

وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحميناً

فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق ، وهم الهمازون المشاءون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا ، والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً ، والسعاة الذين ذكرهم الأحنف ابن قيس ، فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم !

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا أنحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكلفتْ

به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك ؛ ففيم عبث الجفاء بأذمتي ، وعاث العقوق في مواتي ، وتمكن الضياع من رسائلي ! ولِمَ ضاقت مذاهبي ، وأكدت مطالبي ؟ وعلام رضيت من المركب بالتعليق ، بل من الغنيمة بالإياب ! وأنّي غلبني المغلّب ، وفخر على العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار ! ومالك لم تمنع منى قبل أن افترس ، وتدركني ولما أمزق ! أم كيف لا تتضرم جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك ، وتتقطع أنفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك ، وقد زانني اسم خِدْمَك ، وزهاني وسم نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل في سماطك ، وقمت المقام المحمود على بساطك .

ألست المُوالي فيك غر قصائدٍ هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثنـاء يُظنُّ الروض منه مـنوراً ضحي ، ويخال الوشي فيه منمنما

وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائلك ، وتقلدت الجوزاء إلا عقداً فصلته بمآثرك ، واستملي الربيع إلا ثناء ملأته من محاسنك ، وبث المسك إلا حديثاً أذعته في محامدك ! ما يوم حليمة بسر .

وإن كنت لم أكسك سلیباً ، ولا حَلّيتك عُطلاً ، ولا وسمتك غُفلاً ؛ بل وجدت آجرَّاً وجِصَّاً فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت :

حاشا لك أن أعدّ من العاملة الناصبة ، وأكون كالذُّبالة المنصوبة تضيء للناس وهي تحترق ! فلك المثل الأعلى ، وهو بك _وبي فيك_ أولى .

ولعمرك ما جهلت أن صريح الراي أن أتحول إذ بلغتني الشمس ، ونبا بي المنزل ، وأصفح عن المطامع التي تُقَطِّع أعناق الرجال ، فلا استوطئ العجز ، ولا أطمئن إلى الغرور ؛ ومن الأمثال المضروبة : خامري أم عامر ؛ وإنّي مع المعرفة أنَّ الجلا سِبلاء ، والنُّقلة مُثلة .

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم : مجراً ومسحبـاً

وتدفن منه الصالحات وإن يسيء يكن ما أسأء النار في رأس كبكبا

العارف بأنَّ الأدب الوطنُ لا يُخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زِيَاله ، والنسب لا يجفي ؛ والجمال لا يخفي . ثم ما قران السعد للكواكب أبهي أثراً ، ولا أسنى خطراً ، من اقتران غني النفس به ، وانتظامها نسقاً معه ؛ فإنّ الحائز لهما ، الضارب بسهم فيهما _وقليل ما هم _ أينما توجه ورد منهل بر ، وحط في جناب قَبول ، وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطي حكم الصبي على أهله .

وقيل له : أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقيل

غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، واللبيب يحن إلى وطنه ، حنين النجيب إلى عطنه ، والكريم لا يجفوا أرضاً فيها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيها مراضعه ، قال الأول :

أحب بلاد الله ما بين منعـجٍ إليّ وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

هذا إلى مغالاتي لعقد جوارك ، ومنافستي بلحظة من قربك ، واعتقادي أن الطمع في غيرك طَبَع ، والغني من سواك عناء وكل الصيد في جوف الفَرا ، والبدل منك أعور ، والعوض لَفَاء .

وإذا نظرت إلى أميري زادني ضنا به نظري إلى الأمراء

وفي كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار ، فما هذه البراءة ممن يتولاك ، والميل عمن لا يميل عنك ! وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ، ورضاك لمن رضاه لك !

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

أعيذك ونفسي من أن أشيم خُلباً ، واستمطر جَهاماً ، وأَكْدم في غير مَكْدم ، وأشكو شكوى الجريح إلى العقبان والرخم ؛ فما ابسست لك إلا

لتدر ، وحركت لك الحوار إلا لتحن ، ونبهتك إلا لأنام ، وسريت إليك إلا لأحمد السرى لديك . وإنّك إن شئت عَقد أمرٍ تيسر ، ومتى أعذرت في فك أسري لم يتعذر ، وعلمك محيط بأنّ المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروة ، وفضل الجاه تعود به صدقة .

وإذا أمرؤ أهدى إليك صنيعة من جاهه فكأنّها من ماله

لعلّي أن ألقي العصا بذراك ، ويستقر بي النوى في ظلك ، وأستأنف التأدب بأدبك والاحتمال على مذهبك ، فلا أُوجِد للحاسد مجال لحظة ، ولا أدع للقادح مساغ لفظة ، والله ميسرك من إطلالي بهذه الطِلبة ، وإشكائي من هذه الشكوى ، بصنيعة تصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبما أنت خليق له ، وأنا منك حرى به ؛ وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما توالت غُرر هذا النثر واتسقت دره ، فهز عِطف غُلوائه ، وجر ذيل خُيلائه ، عارضه بالنظم مباهياً ؛ بل كايده مداهياً ، حين أشفق أن يستعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك ألطافه ، فأستحسن العائِدَةَ منه ، واعتد بالفائدة له ، فما زال يستكد الذهن العليل ، والخاطر الكليل ، حتى زف إليك عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بحليها وملابسها ، وهي :

الهوى في طلوع تلك النجـــوم والمنى فـي هبـوب ذاك النسيـمِ
سَرَّنا عيشنا الرقيق الحـــواشي لو يـدوم السـرور للمسـتديـمِ
وطر ما انقضى إلى أن تقضـى زمـن مـا ذمـامـــــه بالذميـــمِ
إذا ختام الرضـا المسوغ مسـك ومزاج الوصـــال مـن تسنيـــمِ
وعريض الدلال غض جني الصبـــوة نشوان مـن سلاف النعيـمِ
طالمـا نـافر الهـوى مـنه عـــز لم يطل عهـد جيــده بالتميـــمِ
زار مستخفياً ، وهيهات أن يخـ ـفي سنا البدر في الظلام البهيمِ

فوَشَى الحَلي إذ مشى وهفا الطيـ ـب إلى حسن كـاشح بالنميـمِ
أيهـا المؤذني بظلم الليـالي ليس دهـري بواحد من ظلـومِ
ما ترى البدر إن تأملت والشمـ ـس هما يكسفان دون النجـومِ !
وهو الدهـر ليس ينفك ينحـو بالمصاب العظيم نحـو العظيـمِ
بوأ الله جهـوراً أشرف السـؤ ـدد في السر واللباب الصميـم
واحـد سلـم الجـميع لـه الأمـرفكـان الخصـوص وفـق العمـومِ
قلد الغمـر ذا التجـارب فيـه واكتفي جـاهل بعلـم عليـمِ
خطـر يقتضى الكمـال بنوعي خـلـق بـارع وخـلـق وسيـمِ
أسـوة الروض تطبيك يحـظـي نظـر مـا اعتمـدته وشـميـمِ
أبهـذا الوزير هـا أنـا أشـكو والعصـا بدء قرعهـا للحليمِ
مـا غناء أن يألف السـابق المـربـط في العـتق مـنه والتطـهيـمِ
وثواء الحسـام في الجفـن يثنـى مـنه بعـد المضـاء والتصميمِ
أفصـر مئين جمسـاً مـن الأيـام نـاهيـك مـن عـذاب أليـمِ
ومعنـى مـن الصبـا بهنـاتٍ نكـأت بالكلـوم قرح الكلـومِ
سقـم لا أعـاد منه وفي العـا ئد أنس يفـي ببرء السـقيمِ
نـار بغـي سعـي إلى جـنة الأمـن لظـاهـا ، فأصبحت كالصريمِ
بـأبي أنت إن تشـأ تَكُ بـرداً وسـلامـاً كنـار إبراهـيـمِ
للشفيع الثناء والحمـد في صو ب الحيـا للريـاح لا للغيـومِ
وزعـيم بأن يذلل لي الصعـ ـب فيأتي إلى الهمام الزعيمِ
وثنـاء أرسـلته سلـوة الظـاعِنِ عَـنْ شوقـه ولَهْـوَ المقيـمِ
ووداد يغير الدهـر مـا شـاء ويبقـي بقـاء عهـد الكريـمِ
فهـو ريحـانة الجليس ولا فخـ ـر ومنه مـزاج كأس النديمِ
لم تزل مغيـاً على هفوة الجـاني مصيخـاً إلى اعتذار المـليمِ

ومتى نبدأ الصنيعة يوليـــ ـك تمام الخصال بالتتميـــمِ

هاكها أعزك الله ييسطها الأمل ، ويقبضها الخجل ، لها ذنب التقصير ، وحرمة الإخلاص ، فهب ذنباً لحرمة ، وأشفع نعمة بنعمة ؛ ليتأتي لك الإحسان من جهاته ، وتسلك إلى الفضل طرقاته ؛ إن شاء الله تعالى .

هذه الرسالة الزيدونية بجملتها نثراً ونظماً، منقولة من خط ابن ظافر رحمه الله تعالى.

الباب الأول

علم المعاني

الفصل الأول : الخبر

المبحث الأول: الخبر وأضربه والغرض من إلقائه .

المبحث الثاني: الإنشاء الطلبي .

الفصل الثاني: التقديم والتأخير والقصر.

المبحث الأول: التقديم والتأخير .

المبحث الثاني: القصر .

علم المعاني

تعريفه :

هو العلم الذي يعرف به وجوب مطابقة الكلام لحال المخاطب والموطن الذي يقال فيه .

فهو علم يوضح لنا أنّ الكلام لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه ويناسب حال المخاطب الذي ألقى له . أي : إنّ لكل مقام مقالاً. قالالمراغي[1] :"علم المعاني قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال ، حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له فيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير والحذف والذكر ...."[2].

ومجمل كلام البلاغيين أنّه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، واللفظ العربي يشمل اللفظ المفرد واللفظ المركب ، أي : الجملة وأجزاءها ويبحث في بناء الجملة العربية صياغتها ، اختيار أجزاءها ، علاقة الجمل المتتابعة بعضها ببعض ، اختيار نوع الكلام الملائم لمقتضى حال المخاطب ، ولاهتمامه باللفظ الذي يطابق مقتضى حال السامع يعد اساساًلعلوم البلاغة .

وفائدته: الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في كتاب الله ، والحديث النبوي الشريف ، وفي منثور كلام العرب ومنظومه .

---

(١)احمد مصطفى المراغي : أديب ، كاتب ، مفسر . انظر : الاعلام ، للزركلي : ج١ ص٢٥٨ .

(٢) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، لاحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٧ _ ١٤٢٨هـ : ص٤١ .

وفي دراستنا هذه سنتعرض لدراسة الخبر والانشاء والتقديم والتاخير والقصر فقط ولأنّ هذا العصر يكثر فيه علم البديع ويليه البيان ثم المعاني . وفي كتاب تمام المتون نجد هذا العلم أقل نصيباً من علمي البيان والبديع .

الفصل الأول : الخبر

المبحث الأول: الخبر وأضربه والغرض من إلقائه .

المبحث الثاني: الإنشاء الطلبي .

المبحث الأول
الخبر وأضربه والغرض من إلقائه

تعريف الخبر :

الخبر لغة : بالتحريك واحد الأخبار ، والخبر ما أتاك من نبإ عمن تستخبر[1]. **واصطلاحاً** : هو ما يصح أن يقال لقائله أنّه صادق فيه أو كاذب .

فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً ، وإن كان غير مطابق للواقع كان كاذباً ، أي : أنّ جملة الخبر يكون القصد منها إفادة أنّ محتواها سواء أكان إثباتاً أو نفياً له واقع خارج العبارة يطابق هذا المحتوى فنصف الكلام بالصدق ، أو لا يطابقه فنصفه بالكذب . فمثلاً إذا نظرنا إلى قول أبي الطيب المتنبي[2]:

الخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم[3]

فهذا خبر يحتمل الصدق والكذب فإن كان ما قاله الشاعر مطابقاً للواقع فهو صادق ، وإن كان غير مطابق للواقع فهو كاذب .

يقول السيد أحمد الهاشمي[4]: "وهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته"[1]. أي : بقطع النظر عن خصوص المخبر ، أو خصوص الخبر ، وإنّما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله .

---

(١) لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ : ج٤ ، ص٢٢٦ .

(٢) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي أبو الطيب المتنبي : الشاعر الحكيم أحد مفاخر الأدب العربي . انظر : الأعلام ،للزركلي : ج١ ، ص١١٥ .

(٣) ديوان المتنبي ، تحقيق الدكتور إسماعيل العقباوي ، دار الحرم للتراث سوق الكتاب الجديد بالعتبة، القاهرة : ص٢٦٧ .

(٤) السيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، أديب مصري . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٩٠ .

أضرب الخبر:

وللمخاطب عند إلقاء الخبر إليه ثلاثة أحوال هي:

الأول: أن يكون خالي الذهن من مضمون الخبر ، فيلقي إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد ، ويسمي الخبر الابتدائي . مثل قول الخنساء[٢]:

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار[٣]

فالخبر لم يؤكد لعدم الحاجة لتأكيده . يقول المراغي: "خالي الذهن من الحكم ، ومن التردد فيه فيلقي إليه الكلام سلاجاً غفلاً من أدوات التوكيد ، ويسمي هذا الضرب ابتدائياً"[٤].

الثاني: أن يكون المخاطب متردداً ، وله إلمام قليل يمتزج بالشك ، ويريد معرفة الحقيقة ، فيؤكد له بمؤكد واحد حتى يصل للحقيقة ، ويسمي بالخبر الطلبي . نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[الأعلى: ١٤] . قال الهاشمي: "وإما أن يكون متردداً في الحكم طالباً لمعرفته ،فيستحسن تأكيد الكلام الملقي إليه تقوية للحكم ، ليتمكن من نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره"[٥].

الثالث: أن يكون المخاطب منكراً للحكم الذي يتضمنه الخبر ، لذا يجب أن يؤكد له الخبر بقدر إنكاره ، وبقدر ما يكون الإنكار يكون التوكيد . نحو قول حسان بن ثابت[٦]:

وإنّي لحلو تعتريني مرارة وإنّي لتراك لِمَا لم أعود[١]

---

(١) جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق حسن نجار محمد ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط٢، ١٤٢٦هـ_ ٢٠٠٥م : ص٢٢٦ .

(٢) تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، الخنساء : الصحابية الشاعرة ، واشتهرت برثائها لأخيها صخر ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٧ ، ص٢٥٩ .

(٣) تمام المتون : ص٣٢ .

(٤) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٤٩ .

(٥)جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص٤٥.

(٦) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري: شاعر النبي ﷺ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص١٧٥.

قال القزويني[٢]: "وإن كان منكراً وجب توكيده بحسب الإنكار كما قال تعالى في حكاية عن رسل سيدنا عيسى عليه السلام إذا كُذبوا في المرة الأولى: ﴿ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾[يس: ١٤]، وفي الثانية: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴾[يس: ١٦] ، ويسمى الضرب الأول ابتدائياً والثاني طلبياً والثالث إنكارياً[٣].

ومن أدوات التوكيد المشهورة: (إنّ وأنّ ولام الابتداء ، وأحرف التنبيه والقسم ونونا التوكيد والحروف الزائدة وقد وأما الشرطية...الخ) .

وإلقاء الخبر للمخاطب على المنهج السابق والسير على تلك الطريقة في الأضرب الثلاثة يسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر. هذا وقد يخرج الكلام أحياناً على خلاف مقتضى الظاهر يقول المراغي: "وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية فيخرج كلامه على اعتبارها ، ويسمي ذلك إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر"[٤].

أغراض الخبر:

يلقي الخبر لغرضين أساسيين هما:

١) إفادة المخاطب بالحكم الذي تتضمنه جملة الخبر ، وهذا الحكم يسمى بفائدة الخبر .مثل قول أبي الطيب :

وما كل هاو للجميل بفاعلولا كل فعّال له بمتـــمم[٥]

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان : ص١٨٦ .

(٢)محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي جلال الدين : خطيب دمشق ، له تصانيف أشهرها "الإيضاح في علوم البلاغة" وغيره . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٣٠٤٣.

(٣) التلخيص في علوم البلاغة : للخطيب القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط سنة ١٩٠٤م : ص٤٦.

(٤) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٥٠.

(٥) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٣٦١.

٢) إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكم ، وهذا يسمى بلازم الفائدة ، نحو: (إنّك لتكظم الغيظ ، وتحلم عند الغضب) . إضافة لهذين الغرضين نجد أنّ الخبر قد يخرج لأغراض أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال ، مثل الفخر والاسترحام وإظهار الحسرة وإظهار الضعف والخشوع والتوبيخ والتنشيطوتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله ، وغيرها من الأغراض . وهذا على سبيل المثال لا الحصر . يقول القزويني: "لا شك أن قصد المخبر خبره إفادة المخاطب إما الحكم ، أو كونه عالماً به ، ويسمى الأول فائدة الخبر ، والثاني لازمها"[١].

أضرب الخبر وأغراضه في كتاب "تمام المتون" :

١) قال ابن زيدون: **"وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به"**[٢].

يقول الصفدي: "تقول العرب ساد قومه يسودهم سيادة وسؤدداً فهو سيدهم ، إى : فضل عليهم وارتفع عن طبقتهم لما امتاز بمناقبه . وما أحسن قول أبي نواس في الفضل بن عبد الصمد الرقاشي:

وجدنا الفضل أكرم من رقاش لأن الفضل مولاه الرسول[٣]

وفي قول ابن زيدون خبر ابتدائي ، أراد به إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته جملة الخبر ، وفي شرح الصفدي توضيح للمعنى ، ولكن الصفدي يرى أنّ الغرض من الخبر في قولأبي نواس[٤] هو الهجاء ، يقول: "أراد أبو نواس نفيه عن ولائه لأنّه جعله أكرم ممن ينتمي إليه وذهب إلى قوله ﷺ:

---

(١) التلخيص ، للقزويني : ص٤٠_٤١.

(٢) تمام المتون : ص٣٠.

(٣) تمام المتون : ص٣١. انظر : ديوان أبي نواس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص٥٢٧ .

(٤) الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء ، أبو نواس : شاعر العراق في عصره . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج٢، ص٢٢٥.

(أنا مولي من لا مولي له)، وهذا من باب الهجو الخبيث الخفي"[١]. وأرى أنّ الغرض هو المدح لأنّ الشاعر نسبه إلى أكرم الخلق سيدنا محمد ﷺولن يجد الفضل[٢] مولى أفضل منه.

ويشرح كلمتي "المولى والسيد" . فيقول: "وقال دعبل[٣]:

فإذا جالستـه صـدرته وتنحيت له في الحاشية

وإذا سـايـرتـه قدمتـه وتـأخـرت مع المستأنيـة

وإذا عـاشرته صادفتـهشرس الري أبياً داهـيـة

فأحمد الله على صحبتهوسل الرحمـن منه العافية"[٤]

أي: أنّك إذا جلست معه تركت له صدر المجلس ، وتنحيت أنت في حاشيته ، وإذا سرت معه جعلته أمامك ومشيت خلفه ، وإذا كانت بينك وبينه عشرة وجدته ذا رأي سديد. في الأبيات الثلاثة الأولى أخبار ابتدائية ، لخلوها من أدوات التوكيد ، والغرض هو المدح لأنّه وصفه بالهيبة والوقار واحترام الناس له ، وأنّه حسن المخالقة ذو رأي سديد.وعكس أبيات دعبل قول الفرزدق[٥]:

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها [٦]

---

(١) تمام المتون : ص٣١.

(٢) الفضل بن عبد الصمد الرقاشي البصري ، من فحول الشعراء مدح الخلفاء الكبار ، بينه وبين أبي نواس مهاجاة ومباسطة ، من ربيعة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٥ ، ص١٣٧ .

(٣) دعبل بن علي بن زين الخزاعي : شاعر هجاء، انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٣٣٩ .

(٤) تمام المتون : ص٣٣، انظر: ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق عبد الصاحبعمران ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٩م : ص٣١١ .

(٥)همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس الفرزدق: من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٨، ص٩٣ .

(٦) تمام المتون : ص٣٣. انظر : تاريخ دمشق ، للحافظ هبة الله بن عساكر ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،١٤١٩هـ _١٩٩٨م : ج٤١ ، ص٤٠٣ .

وصفه بأنّ رأسه ليس برأس السيد ، وهذا يؤكد أنّ رأسه صغير ، لأنّ من صفات السيد أن يكون ضخم الرأس ، ويملأ العين جلالاً ، ولكنّه قال إنّ عينه حولاء وعيوبها ظاهرة: فالغرض هنا الهجاء والذم.

يقول الصفدي: "وتقول العرب: إنّ من نعت السيد أن يكون لحيماً ضخم الهامة ، جهير الصوت ، إذا أخطأ أبعد ، وإذا يؤمل ملأ العين مهابة ، لأنّ حقه أن يكون في صدر المجلس أو ذروة منبر متفرداً في موكب"[1].

أوضح الصفدي لنا ما نجهله من صفات السيد ويوضح لنا الحكم الذي تضمنته جملة الخبر وهو فائدة الخبر. وآخر الشواهد قول عامر بن الطفيل[2]:

فما سودتني عامر عن كلالة أَبَى الله أن أسمو بـأم ولا أب

ولكنني أحمي حمـاهـا وأتقـي أذاها وأرمي من رماها بمقنب[3]

يقول : إنّه لم يصبح سيداً على قبيلته بالوراثة عن أبيه وأمه ، وإنّما سادها لأنّه حاميها ، والذي يدفع الأذي ، ويرمي من يرميها من الأعداء بجماعة من الفرسان ، والغرض الذي يرمي إليه الشاعر هو الفخر والمباهاة بشجاعته ، ودفاعه عن قبيلته.

٢)قال ابن زيدون : **"وأظمأتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك"**[4].

---

(١) تمام المتون : ص٣٣.

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بـن صعصـعة . انظـر : الأعـلام ، للزركلي : ج٣ ، ص٢٥٢.

(٣) تمام المتون : ص٣٤ . انظر: ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر محمد بـن القاسـم الأنبـاري، عن أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ_١٩٧٩ : ص١٣.

(٤) تمام المتون : ص٤٠_٤١.

يقول الصفدي: "وقد أخذ ابن زيدون يعدد على ابن جهور ما عامله به من الجفوة ، وكان يكفيه أن يقول : **"إن سلبتني لباس إنعامك بعد أن نظر الأعمي إلى تأميلي لك"** ، ولكنّه وفَّى المقام حقه من تعداد ما وجده منه ، من سلبه لباس إنعامه ، وتعطيله من حلي إيناسه ، وإظمائه إلى برود إسعافه ، ونفض كف الحياطة ، وغض طرف الحماية... ولا شك أنّ تعداد الظلامات أبلغ وأجلب للرحمة ، وأدلّ على التوجع"[1].

فالصفدي يرى أنّ الغرض من الخبر هو الاسترحام ، وهذا صحيح ، لأنّ ابن زيدون في السجن ، وهو في شوق لنيل حريته وإرجاعه لمرتبته ومكانته التي كان يجدها عند ابن جهور . ويستشهد بقول الشاعر:

قال لي : كيف أنت ؟ قلت عليلسهر دائم وحزن طويل

ولكن هذا الخبر الغرض منه ليس الاسترحام ، وإنّما هو إظهار الضعف ، لأنّ الشاعر يذكر مرضه وقلة حيلته.

وقال أبو فراس الحمداني[2]:

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منك بغير مـا أملتـه والمـرء يشرق بالزلال البـارد[3]

والمعنى أنت الذي كنت اعتمد عليك ، وأنت خير معين ومساعد لي عند حلول المصائب والمحن ، وأنت سهمي الذي أرمي به الأعداء والآن صرت عدوى وصرت غير الأمل الذي كنت أومله فيك ، فسهمك الذي أرمي به صار يرميني ، ولا عجب في ذلك فالمرء قد يشرق بالماء الزلال.

---

(١) تمام المتون : ص٤١ .

(٢)الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي أبـو فـراس الحمـداني: ابـن عـم سـيف الدولـة . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص١٥٥ .

(٣) تمام المتون : ص٤٦ . انظر: ديوان أبي فراس رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويـه، دار بـيروت للطباعة والنشر ، ١٣٦٥هـ_ ١٩٦٦م : ص٧٨ .

والخبر طلبي ، لأنّه استخدم أداة واحدة من أدوات التوكيد "قد" ، والغرض مـن الخبر إظهار الشكوى والعتاب . ومثل هذا قول ابن حيوس[1]:

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي بمـا بذلوه عن ذل السؤال
وها أنا بعدهم في النـاس أبغي كريماً يشترى شكري بمـال
أرى الأكـــدار يشرق شاربوهـا فوا شرقي من الماء الزلال[2]

يقول: إنّ أهل الفضل الذي يكرمونني بعطاياهم ونوالهم وصانوا كرامتي ببذلهم عن مذلة السؤال ، قد ذهبوا وصرت بعدهم أبيع مدحي وثنائي بالمال . ويختم بالحكمة وهو أنّ الشاربين يشرقون بالأكدار ، وأنا أشرق بالماء الزلال ، وهذا إشارة إلى سوء الحال التي وصل إليها . فالخبر ابتدائي والغرض التحسر وإظهار الشكوى والعتاب.

٣) قال ابن زيدون:

"كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد"[3]

أي: أنّ المصيبة قد تؤلم الإنسان وتؤذيه ، ولكن بمرور الأيام تضعف وتتلاشى وتنسى إلا شماتة الأعداء ، فإن جرحها لا يبرأ .

يقول الصفدي: **"المصائب**: جمع مصيبة وهي ما يصيب الإنسان من حوادث الدهر ونوازله . **والشماتة**: التشفي"[4].

وهذا خبر طلبي ، الغرض منه إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته جملة الخبر (فائدة الخبر) . وتعميماً للفائدة نذكر قول الصفدي: "قيل لأيوب

---

(١)محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس، الأمير أبو الفتيان بن مصطفي الدولة : شـاعر الشـام في عصره . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦، ص١٤٧.

(٢) تمام المتون : ص٤٧ . انظر : ديوان ابن حيوس ، تحقيـق خليـل مـردم بـك، دار صـادر ، بـيروت، ١٤٠٤هـ_١٩٨٤م : ج٢، ص٤٦٨ .

(٣) تمام المتون : ص٥٧ .

(٤) المصدر السابق : ص٥٧ .

عليه السلام أي شيء كان في بلائك أشد عليك؟ قال: شماتة الأعداء. وفي المثل: "الشماتة لؤم" أول من قاله أكثم بن صيفي، أي: لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لَؤُمَ أصله"[1].

٤) قال ابن زيدون: **"وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلى به جنود طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة"**[2].

وكل حديث ابن زيدون خبر ابتدائي ، الغرض منه إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته جملة الخبر .

يقول الصفدي في قوله "وعكفت على العجل" : "يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٤٨]. ثم بعد ذلك سرد القصة التي تتحدث عن سيدنا موسى عليه السلام ، وموسى السامري.

وفي قوله: **"واعتديت في السبت"** يقول: "يشير بذلك إلى ما اعتاده بنو إسرائيل في السبت من انتهاك حرمته ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[البقرة: ٦٥]. وهكذا يستمر الصفدي في إرجاع كل جملة من حديث ابن زيدون إلى المصدر الذي أتت منه ، ثم يأتي بالشواهد التي تبينه وتوضحه، فلما وصل إلى قول ابن زيدون: **"وقدت الفيل لأبرهة"** ذكر الأبيات التي أنشدها عبد المطلب بن هاشم[3] وهو متعلق بأستار الكعبة ومبتهلاً إلى الله تعالى :

يـــا رب إنّ العبد يمنـــــع رحـله فـأمنع رحـــالك

---

(١) تمام المتون : ص٥٨.

(٢) المصدر السابق : ص٢٣.

(٣) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحارث : زعـيم قـريش في الجاهليـة ، وأحـد سـادات العرب ومقدميهم . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤، ص١٥٤.

لا يغلبـــن صليـــبهم

ومحالهم غدواً محـــالك

عمدوا حماك بجهلهـــــم

كيداً وما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكعبتنا

فـأمـر مـا بـــدا لـــك[1]

في الأبيات السابقة خبر ابتدائي ، والمخاطب المولي عز وجل يعرف الخبر ويعلم به . يقول : إنّ النصاري قد جمعوا جيوشهم وأتوا بأفيالهم لهدم البيت ، ولا حيلة لهم ولا قوة لدفعهم ، ولكنه يعلم أنّ الله قادر على صدهم وردهم ، لذا يطلب منه النصر والرحمة ، فالغرض من الخبر الاسترحام .

يقول الصفدي : "وهذه القصة دالة على شرف النبي ﷺ ، ومعجزة له في كون الله عز وجل صدَّ الفيل وأصحابه عن بلد سيظهر منه"[2].

ويقول أيضاً : "وفي قصة البيت ، قلت أنا من جملة قصيدة مدحت بها النبي ﷺ :

والبيت صار حمى إذ كان مظهره

وكل من رامه بالسوء مخذول

فصان ساحته مـن كيد أبرهـــة

لمـــا أتـاه وفي أصحابه الفيـل

---

(١) تمام المتون : ص١٣٣.

(٢) المصدر السابق : ص١٣٤.

بادوا بأحجار سجيل وما رجعوا

لما رمتهم بها الطير الأبـابيل[1]

فهو يذكر هذا البيت الذي حماه الله من كيد الظالمين ، فصار حمى ومأوى لمن يلجأ إليه . ثم ذكر ما حدث لأصحاب الفيل من عذاب وتدمير كامل عن آخرهم ، والغرض فائدة الخبر .

٥) قال ابن زيدون : **"ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه"**[2].

قال الصفدي : "يشير بذلك إلى قتل عمر بن الخطاب"[3].

ثم يذكر الصفدي رثاء امرأته عاتكة[4]له :

وأفــجــعــني فـــــيــروز لادرَّ دره

بأبيض تــال للكتـاب منيـب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا

أخـى ثقة في النــائبات مجيب

متى ما يقل "لا" يكذب القول فعله

سريع إلى الخيرات غير قطوب[5]

تؤكد الشاعرة حزنها وأسفها على فراق سيدنا عمر ﷺ. والخبر ابتدائي والغرض منه تأكيد الأسى والحزن .

---

(١) تمام المتون : ص١٣٤. انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١ ، ص٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ص١٨٧ .

(٣) تمام المتون : ص١٨٧.

(٤) عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل : شـاعرة ، صـحابية مـن المهـاجرات . انظـر : الأعـلام ، للزركلي : ج٣ ، ص٢٤٢ .

(٥) تمام المتون : ص١٨٩ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص١٤٢٣ .

٦) قال ابن زيدون : **"وإنّي لأتجلد ، وأرى الشامتين أنّي لريب الدهر لا أتضعضع"**[١].

يقـول الصفـدي : **"التجلد** : تكلف الثبات والصبر ، وعـدم المبالاة بالأمر الذي ينزل بالرجل ، وهو صعب يشق احتماله**"**[٢].

وهذا خبر إنكاري ، الغرض منه إظهار الصبر على نوائب الدهر .

٧) قال ابن زيدون : **"وأبليت البلاء الجميل في سماطك ، وقمت المقام المحمود في بساطك"**[٣].

وابن جهور يعلم ذلك ، ولكنّ الشاعر يريد أن يؤكد له أنّه عالم بالخبر ، وهذا ما يسمى بلازم الفائدة .

ويستشهد بقول أبي الحسين الجزار[٤]:

لست أنسى وقد وقفـــت فأنشـــــدت قصيداً يفوق نظم الجمان
كل بيت يزري على خلف الأحــمر بالحسن وهو شيخ ابن هانئ
ببديع يحـــار في نظمـه الطـــائي بل مســلم صـريع الغوانـــي
ومـديح مـا نـــال جـودته قـــدماً زيـاد فـي خـدمـة النعمـــان
قمت وسـط الإيوان بيـن مـلـــك تســـامي عـــلى أنوشـروان

يفتخر الشاعر بشعره ويصفه بأنّه عقد نضيد ، يفوق حسنه عقد الجمان . وكل بيت في شعره يذري على خلف الأحمر[٥]. أستاذ أبي نواس في

---

(١) تمام المتون : ص٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ص٦٠ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٨٤ .

(٤) عبد الله بن محمد بن الجزار أبو الحسين : عـالم العربيـة مـن تلاميـذه المـبرد . انظـر : الأعـلام للزركلي : ج٤ ، ص١١٩ .

(٥) خلف بن حيان ، ابو محرز المعروف بالأحمر : راوية ، عالم بالأدب ، شاعر من أهل البصـرة ، لـه ديوان شعر . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص٣١٠ .

الشعر ويحتار فيه أبو تمام[١]، ومسلم بن الوليد[٢]، وهم أساطين الشعر ، ومع ذلك يدعى أنّه يفوقهم ويفتخر بمعرفته بفن المديح وأنّمديحه لهذا الملك مديحاً سامياً لم يقله النابغة[٣]. في النعمان [٤]. ملك الحيرة ويصف الملك بأنّه أفضل من أنوشروان[٥] ملك الفرس .

ومثل ذلك قول أبي الطيب :

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت

وإذا نطقت فإنني الجوزاء

وإذا خفيت عـلى الغبي فعــاذر

ألّا تراني مقلة عميـــــاء[٦]

فهو يفتخر بقوته التي تشابه قوة صخرة الوادي الصلبة التي يضرب بها المثل في الثبات ، فالسيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها . والجوزاء

---

(١) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أبو تمام : الشاعر الأديب . أنظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص١٦٥ .

(٢) مسلم بن الوليد الأنصاري ، بالولاء المعروف بصريع الغواني : شاعر غزل ، أول من أكثر من البديع وتبعه الشعراء ، انظر : النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي : ج٢ ، ص١١٦ .

(٣) زياد بن معاوية بن ضباب ، أبو إمامة النابغة الذبياني الغطفاني : شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣ ، ص ٥٤ .

(٤) النعمان الثالث بن المنذر "الرابع" بن المنذر امرئ القيس، اللخمي أبو قابوس . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٨ ، ص٤٣ .

(٥) أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور : كسرى ملك الفرس ، انظر : تاريخ الامم والملوك ، للامام ابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م : ج ١ ، ص٤٢٢ . انظر : الاعجاز والايجاز ، لأبي منصور الثعالبي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٤٠٣هـ_١٩٨٣م : ص٥٧ .

(٦) تمام المتون : ص٣٨٥ . انظر : شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ_١٩٨٠م : ج١ ، ص١٤٣ .

من الأبراج ، أي : إذا زوحمت لم يقدر على إزالتي عن موضعي كصخرة الوادي ، وإذا نطقت كنت في علو المنطق كالجوزاء . فهو يؤكد قوته وعلو مكانته ، وأنّ الذين ينافسونه ويحاولون مجاراته في ميدان الشعر لا يلحقونه فالغرض هو الفخر .

المبحث الثاني
الإنشاء الطلبي

تعريف الإنشاء :

الإنشاء لغة: الإبتداء والإيجاد .وفي "اللسان" : "قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾:أي : ابتدعها وابتدأ خلقها ، وكل من ابتدأ شيئا فهو أنشأه"[1].

وأما في اصطلاح البلاغيين: هو ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، نحو : "قم" ، "لا تكذب" ، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب .

وهو قسمان طلبي وغير طلبي ، فالطلبي هو ما يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب . وغير الطلبي هو ما لا يتستدعي مطلوباً حاصلاً وقت الطلب ، وهذا يتبع لعلم النحو . يقول الهاشمي: " فالإنشاء غير الطلبي هو ما لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، كصيغ المدح والذم والعقود والقسم والتعجب والرجاء ، وكذا رُبَّ ولعل وكم الخبرية ولا دخل لهذا القسم بعلم المعاني"[2]. هذا وللإنشاء غير الطلبي أنواع كثيرة أخرى .

أما الإنشاء الطلبيفهو خمسة أنواع : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء. يقول الهاشمي : "اعلم أنّه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب "تمنياً" ، وإن كان متوقعاً ، فإما حصوله صورة أمر في الذهن فهو "الاستفهام" ، وإما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو "النهي" ، وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف النداء فهو "النداء" وإما بغيرها فهو "الأمـر" . وبهـذا تعلم أنّالطلب هنا منحصر في هذه الأمـور الخمسة

---

(١)لسان العرب ، لابن منظور : ج١ ، ص١٧٠ .

(٢) جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص٥٧.

لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية"[1].

والحديث في تفصيلات هذه الفنون البلاغية كثير أسهب علماء البلاغة في الحديث عنه ، وقد ذكرت هنا ما ذكرت مجملاً وسوف أورد أمثلة لكل فن من الشواهد التي ذكرها الصفدي في شرحه للرسالة إنشاء الله.

الإنشاء الطلبي في كتاب "تمام المتون" :

وردت أنواع الإنشاء الطلبي في كتاب "تمام المتون" في مواضع عدة ولكن أكثرها وروداً هو الاستفهام. فقد ورد في ثمانية مواضع من رسالة ابن زيدون وبينه الصفدي في أثناء شرحه ، أحياناً يذكر غرضه فيقول: "هذا الاستفهام معناه الإغراء والحض والحث" [2]، وأحياناً يذكره من غير أن يذكر غرضه ويوضحه يقول الصفدي : "لم ضاقت؟ استفهام عن العلة في ضيق مذاهبه" [3]، وأحياناً يشرحه لغوياً فيقول: "ففيم: أصله: "ففي ما" وهذه "ما" الاستفهامية إذا دخلت عليها حروف الجر حذفت ألفها فيقال: علام، وإلام وعم" [4].

وقد قلت في موضع آخر : أنّ الصفدي في شرحه يعتمد على اللغة كثيراً ، حتى يخرج أحياناً من القضية البلاغية ، فهو يتحدث عن الاستفهام الذي ورد في الرسالة مثلاً فيأتي بشواهد أدبية لشرح وتوضيح المعنى ، وهذه الشواهد قد تحمل ألواناً بلاغية أخرى ، ولكن لها نفس المعنى.

وقد ابتدأت بالاستفهام لأنّه الأكثر وروداً سواء عند الصفدي أو عند ابن زيدون .

الاستفهام :

---

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٥٨.

(٢) تمام المتون : ص٦٧٥.

(٣) المصدر السابق : ص٢٦٨.

(٤) المصدر السابق : ص٢٥٨.

١) قال ابن زيدون : **"هل أنا إلا يد أدماها سوارها وجبين عض به إكليله"**[١].

يقول الصفدي : "ومعنى هذا أنّه لما قال : أتجلد وأُرِى الشامت أنّي لا أتضعضع لما نزل بي منك فأكابر نفسي ، وأريها الباطل حقاً ، قال : ما أنا إلا يد أدماها سوارها الذي تحلت وتزينت به ، وجبين عض به تاجه الذي وضعه فوقه ليتجمل به ، ويتحلى بجواهره، فما ألوم أحد فعل بي ذلك"[٢].

فالشاعر ينفي أن يكون سبب محنته غير ذلك ، فالمعنى المراد من الاستفهام النفي .

٢) قال ابن زيدون : **"وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك"**[٣].

يقول الصفدي : "رجع بعد أن وطّن نفسه في مخاطبته على الصبر والانتظار إلتفاتاً منه إلى ما في ضميره من بقايا العتب ، فقال يستفهم منه : ما هذا الذي صدر منى حتى أنّ عفوك لم يسعه ، وهو صغير بالنسبة إلى كبير عفوك ، وما هذا الجهل في حقه حتى وقع ما وقع ، ولم يأت من ورائه حلمك وعقلك"[٤].

فالاستفهام هنا الغرض منه استعطاف بن جهور ، وطلب الرحمة منه ، بإعتبار أنّ ذنبه مهما عظم ، فإنّ عفو الملك وصفحه أوسع .

ثم استطرد في الحديث عن العفو مستشهداً بما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّها قالت للنبي ﷺ : (هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ

---

(١) تمام المتون : ص٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ص٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ص٨٩ .

(٤) المصدر السابق : ص٨٩ .

أُحُدٍ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ)" [1].والحديث طويل يؤكد عفو النبي ﷺ وصفحه . ففي قولها رضي الله عنها: " هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟" استفهام حقيقي ، لأنّ السيدة عائشة رضي الله عنها تستفهم عن معلومات لم تكن تعلمها من قبل.

٣) قال ابن زيدون: **"ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك ؟ أو مسيئاً فأين فضلك ؟ "**[2].

وهذا استفهام حقيقي لأنّه يستفهم عن أشياء لا يدركها ، يريد معرفتها . يقول الصفدي: "لا أخلو: لا أكون خالياً من أحد القسمين : إما بريئاً مما رميت به ، فأين كان عدلك ؟ و**العدل**: ضد الجور . وإما مسيئاً فأين كان فضلك ؟ و**الفضل**: ضد النقص ، وهو الاتصاف بالمحامد"[3].

يقولأبو الأسود الدؤلي[4]:

أيرجو معشراً قتلوا حسيناً شفاعة جده يوم الحساب[5]

وجه الشاعر السؤال للذين قتلوا الإمام الحسين بن علي[6](رضي الله عنهما)بكربلاء ، يقول: هل أنتم مسلمون وتنتظرون شفاعة النبي ﷺ بعد فعلتكم الشنيعة وقتلكم لابنه.

---

(١) تمام المتون : ص٩٠.

(٢) المصدر السابق : ص٩٧.

(٣) المصدر السابق : ص٩٧.

(٤) ظالم بن عمرو بن جندل : أبو الأسود الدولي.يعد من شعراء التابعين والمحدثين ، وأول من عمل في النحو كتاباً . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١١ ، ص٣٤٢ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٠٦.انظر : ديوان أبي الأسود الدؤلي : صنعة أبي سعيد الحسن السكري ، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين مؤسسة اي‌ف للطباعة والتصوير ، ط١ ، ١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢م : ص٣٢٩.

(٦)الحسين بن علي بن أبي طلب الهاشمي سبط النبي. انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٢٤٣ .

فالاستفهام غير حقيقي ، والغرض منه الاستنكار والتعجب ، فهو يستنكر عليهم ، ويتعجب منهم.

وقال ابن أبي عيينة[١]:

ما لي أرى أمري لديك كأنّه من ثقله طود من الأطواد[٢]

ففي قوله: **"مالي أري أمري لديك"** استفهام ، الغرض منه التعجب ، فهو يتعجب من الحالة التي وصل إليها من التعب والضنك ، بعد أن كان مقرباً من الأمير . وقريب من هذا قول أبي ذؤيب الهزلي[٣]:

أمن المنون وريبها تتصدع والدهر ليس بمعتب من يجزع[٤]

فالاستفهام هنا الغرض منه الإنكار ، لأنّه يخاطبنفسه ، كيف تتألم من الموت ، ولا تكون صابرة ، لأنّ الدهر ليس بمعتب من يجزع ، كأنّه قال: أتتوجع من حوادث الدهر ، والدهر لا يعتب؟ وإن عتبته طويلاً.

٤) قال ابن زيدون: **"فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق"**[٥].

---

(١) عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، أبو جعفر، وأبو عيينة هو ابن المهلب بن أبي صفرة. انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق دكتور عمر الطباع ، شركة دار الارقم بن ابي الارقم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ١٤١٨ هـ_ ١٩٩٧م : ص٦٢٩ .

(٢) تمام المتون : ص ٥٧ .انظر : الكامل في اللغة ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ _ ٢٠٠٨ م : ج ٢ ، ص٣١٧ .

(٣)خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب الهزلي : من بني هزيل ، شاعر مخضرم . انظر: الأعلام ، للزركلي: ج٢،ص٣٢٥ .

(٤) تمام المتون : ص٦١ . انظر: شرح المفضليات ، للتبريزي، أبو زكريا يحي ابن علي بن حمد الشيباني ، تحقيق على محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر : ج٣، ص١٣٩٧. والشطر الأول في الديوان: "... وريبها تتوجع".

(٥) تمام المتون : ص٢٢٢.

يقول الصفدي : "يريد بذلك ، فكيف يصدر في حقي منك هذا كله من الذل والإبعاد والجفاء والإقصاء والغضب والإعراض والصد ولا ذنب لي بعد هذا كله إلا نميمة أهداها كاشح _ و**الكاشح** : الذي يضمر لك العدواة _ ، ونبأ أتاك به فاسق" [1].

فهو يستفهم نافياً عنه هذه التهمة ، وأنّها أراجيف وأباطيل غير صادقة أتي بها النمامون الكذابون والحاقدون والفاسقون .

وعن ابن مسعود أنّ النبي ﷺ قال: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ)[2].

والغرض من الاستفهام التشويق، فالنبي ﷺ حينما قال ما العضة ؟ كان المخاطبون من الصحابة الكرام في شوق ولهفة ليعرفوا معناها بعد سماعها .

٥) قال ابن زيدون: "**ففيم عبث الجفاء بأذمتي ؟**"[3].

قال الصفدي : "ففيم أصله "ففي ما" وهذه ما الاستفهامية إذ دخلت عليها حروف الجر حذفت ألفها فيقال : علام ، وإلام ، وعمّ ، وممّ"[4].

فابن زيدون يُذكّر ابن جهور بأيامه النضرات معه ، وبعهوده ومواثيقه ويتعجب من هذا الجفاء الذي عبث بأذمّته ، ويستنكر عليه عدم مراعاة الذّمة التي كانت بينهما . يقول الصفدي : "وكانت العرب تراعي أمر الذّمة ، وتحافظ عليه ، ويتوخون الوفاء به ، ولو جرت الدماء ، وقامت الحروب ودامت ، فمن ذلك أمر كليب وائل فإنّه كان يقول : قد أجرت وحش

---

(١) تمام المتون : ص٢٢٢.

(٢) المصدر السابق : ص٢٢٥ . انظر : صحيح مسلم : ج٤ ، ص٢٠١٢.

(٣) تمام المتون : ص ٢٥٨.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٥٨.

صحراء ،كذا وكذا فلا يتعرض له أحد ، ولا يقدم على صيد ذلك الوحش أحد أبداً . وكان يمنع أن ترد إبل أحد مع إبله ، حتى تصدر إبله ، ثم ترد إبل الناس بعد ذلك"[1].

فالغرض من الاستفهام التعجب من إهماله له ، وعدم والوفاء معه ، وتذكيره بسابق عهده معه .

٦) قال ابن زيدون : **"ولم ضاقت مذاهبي وأكدت مطالبي ؟"**[2].

يقول الصفدي : "لم ضاقت : استفهام عن العلة في ضيق مذاهبه ، كأنّه قال: ولأيّ علة ضاقت بي السبل حتى ما أجد مضطرباً ؟"[3].

يقول : مستفهماً عن سبب ضيق السبل أمامه ، وتعثرها عن مطالبه التي تأخرت في تحقيقها ، أو أمتنع تحقيقها . والغرض من الاستفهام التعجب لأنّه يتعجب عن سبب التأخير وقد كان مقرباً من ابن جهور.

ومن التعجب قوله تعالى : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ ﴾ [الفرقان: ٧] . فهم يتعجبون ويستغربون من حدوث هذا الأمر ، لأنّهم لا يعرفون شيئاً عن العالم الذي يأتي منه الوحي ، لذا تعجبوا وأنكروا على الرسول ﷺ تناول الطعام والسير في الأسواق .

يقول أبو العتاهية[4]:

تذكر أمين الله حـقي وحـرمتـيوما كنت توليني لعلك تذكـر
ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر

---

(١) تمام المتون : ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق : ص٢٦٨.

(٣) المصدر السابق : ص٢٦٨.

(٤) إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو العتاهية : نشأ بالكوفـة وسـكن بغـداد . انظـر : الوافي بالوفيات : ج٦ ، ص٢٣١ .

فمن لي بالعين التي كنت مــرة إليّ بها في سالف الدهر تنظر[1]

في البيت الثالث استفهام فهو يستفهم هل تعود له الرعاية والرحمة من الخليفة مرة أخرى ، وهل ينظر له بتلك العين التي كان ينظر له بها سابقاً؟والغرض من الاستفهام في قوله:"فمن لي بالعين ؟" هو التمنى.

٧) قال ابن زيدون: **"ما لك لم تمنع مني قبل أن افترس ، وتدركني ولما أمزق"**[2].

قال الصفدي: "هذا الاستفهام معناه الإغراء والحض والحث على إنجاده ، والسرعة إلى إنفاذه من هذه الشدة"[3].

وأرى أنّ الاستفهام هنا الغرض منه العتاب واللوم ، لأنّه يلومه ويعاتبه في تأخره عن إنفاذه ، وعدم إدراكه ولحقوه له قبل أن يفترس ويمزق .

فالصفدي بعد أن وضح الاستفهام في الرسالة وبين الغرض منه ، يستشهد ليؤكد المعنى ، ويجعله أكثر وضوحاً ، يقول: " وما أحسن قول بعض العرب يرثي قومه:

وقد غادروني بعدهم لحمة العدى وطعمه ما تبغي الخصوم العوابث

أُضـام فـلا يـأوي لضيمي مـانـعوأظلـم لا يـأتي لصوبي غــائـث

وأعطـى لكفي القليل من الأذى

وقد كـان يخشاني الألد المماعث

وحـيـد بنفسـي لا ألائم مـنزلاً

كما اعتزل النسك الإماء الطوامث"[4]

---

(١) تمام المتون : ص٢٦٩. انظر : ديوان أبي العتاهية، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ١٣٨٤هـ_ ١٩٦٤م : ص٢١٥.

(٢) تمام المتون : ص٢٧٥.

(٣) المصدر السابق : ص٢٧٥.

(٤) المصدر السابق : ص٢٧٥.

فالاستفهام في قوله: "أُضام" و"أُظلم" و"أُعطى" أصلها: "أأضام، أأظلم ، أأعطى" حذفت الهمزة للتخفيف ، وكله استفهام إنكاري ، فهو يستنكر أن يظلم ، ولا يجد من يدافع عنه ويقف معه ، على الرغم من أنّه كان قوياً يخشاه القوم الألداء الأقوياء ، والآن هو وحيد لا يأتي أحد يعينه ، ولا أخر يغيثه.

٨) قال ابن زيدون:

ألست الموالي فيك غر قصائد

هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

ثنـاء يظـن الروض منه منوراًضحى ويخال الوشي فيه منمنـما[١]

والمعنى: أليس أنا الموالي ، والذي كتبت فيك قصائد غراء تشبه في حسنها الأنجم . يقول الصفدي: "هذان البيتان من قصيدة للبحتري ، يعاتب فيها الفتح بن خاقان"[٢].

والاستفهام هنا تقريري ، لأنّ المراد حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عند ثبوته أو نفيه ، ويشترط فيه أن يلي المقرر به همزة الاستفهام .

يقول إبراهيم بن المدبر وقد حبس[٣]:

ألست ترين الخمر يظهر حسنها

وبهجتها بالحبس في الطين والغار[٤]

الاستفهام هنا تقريري.

---

(١) تمام المتون : ص٢٨٦.

(٢) المصدر السابق : ص٢٨٦.

(٣) إبراهيم بن محمد عبيد الله بن المدبر ، أبو الحسن : من الكتاب المترسلين، انظر :الأعلام ، للزركلي : ج١، ص٦٠.

(٤) تمام المتون : ص٧٠. انظر : فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي تحقيق ، الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت : ج١ ، ص٤٦ .

يقول أبوبكر الخوارزمي[1]:

ألست ترى الريحان يشمم ناضراً ويطرح في الميضا إذا ما تغيرا[2]

وهذا استفهام تقريري ، فالشاعر أراد أن يحمل المخاطب على الإقرار بما إدعاه من شم الريحان إذا كان ناضراً ، وطرحه حينما يتغير في الميضا ، وهي مكان الوضوء ، حيث يغتسل ، ويتنظف بالماء للصلاة .

ومثله قول أبي طالب[3]:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب[4]

وفي هذا استفهام تقريري ، لتأكيد المعنى . أي: أننا وجدنا حقيقة أنّ محمداً ﷺ نبياً مثل موسى عليه السلام ورد ذكره في الكتب السابقة.

وقوله أيضاً:

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب[5]

والمعنى الذي يريد توكيده هو أنّ بني هاشم أهل حرب ، وقد وصاهم أبوهم هاشم بطعن الأعداء بالرماح ، وضربهم بالسيوف ، فهو يعرف أنّهم شجعان ، لكنّه أراد صوغ ذلك عبر الاستفهام التقريري ، ويدل على ذلك قوله في البيتين السابقين لهذا البيت حيث حذرهم من حرب عوانٍ تتكسر فيها الرماح ، وتكون مرتعاً للنسور إن هم اتبعوا الضلال والغي يقول:

---

(١) محمد بن العباس الخوارزمي ، أبوبكر : من أئمة الكتاب وأحد الشعراء العلماء ، كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب ، له ديوان شعر . انظر الأعلام : للزركلي : ج٦ ، ص١٨٣.

(٢) تمام المتون : ص٦٥. انظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م : ج٤ ، ص٢٧٥.

(٣)عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو طالب: عم النبي ﷺ وكافله ، ووالد الإمام على كرم الله وجهه . انظر : الأعلام ، للزركلي: ج٤، ص١٦٦.

(٤) تمام المتون : ص١٣٥.

(٥) المصدر السابق : ص١٣٦.

وتستعجلوا حرباً عواناً وربمـــاأمـرّ علـى من ذاقـه حلب الحـرب

بمعترك ضيق ترى كسـر القنـا

به والنسور الطخم يعكفن كالشرب[1]

ومن أغراض الاستفهام التي أوردها الصفدي الاستبطاء :

يقول أبو الطيب:

حتام نحن نساري النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم[2]

حتام : هي "حتى ما" حذفت ألف ما لامتزاجها بحتى . يقول : إلى متى نسري مع النجوم في ظلم الليل وليست تسري هي على خف كالإبل ولا على قدم كالناس . ولا يصيبها التعب من السرى كما يصيب دوابنا . فأبو الطيب لا يريد إجابة ولم يستفهم عن شيء لم يكن معلوماً من قبل وإنّما يستبطئ الليل ، ويرى أنّ الليل طويل ، وهو يسير هذا المسير المتعب ، فالغرض من الاستفهام الاستبطاء.

يقول الصفدي: "قال أبو الطيب هذه القصيدة عند قدومه من بغداد إلى الكوفة ، ويذكر مسيره من مصر إلى العراق"[3].

ولأنّه راجع إلى بلده فهو في شوق إليه ، ومهما كانت الإبل تسير سيراً سريعاً فهو يراه بطيئاً . ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾[البقرة: ٢١٤]لأنّهم استبطأوا النصر.

ومن أغراض الاستفهام أيضاً التوبيخ :

نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾[المائدة: ١١٦].

---

(١) تمام المتون : ص١٣٦.

(٢) المصدر السابق : ص٣٤٩. انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤ ، ص٢٨٦ .

(٣) تمام المتون : ص٣٤٩.

يقول الصفدي : "هذا سؤال له وهو تقريع في الباطن لمن اعتقد ذلك وتوبيخ له"[1].

فالقصد هنا توبيخ للذين يعتقدون وجود إله آخر غير الله من النصارى ، وبخهم القرآن هنا بسؤاله لسيدنا عيسى عليه السلام ، والله يعلم أنّ سيدنا عيسى عليه السلام لم يأمرهم بذلك . والاستفهام للتقرير بما يعرفه سيدنا عيسى عليه السلام من هذا الحكم ، لا بأنّه قد قال ذلك .

والمراد بذلك تكذيب قومه ، وهو توبيخ لغير المذنب ، وفي هذا تصوير للغرض وتمكن للمعنى في نفس السامع .

الأمر :

١) قال ابن زيدون :**"وأصفح عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال"**[2].

طلب منه العفو عن المطامع التي تقود إلى هلاك الإنسان ، وهذا خطاب من أدنى إلى أعلى ، الغرض منه الدعاء . ونحو ذلك قول الشاعر :

فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل مستعلياً بالنصر والتأييد[3]

يقول الصفدي : "وفي الأمثال المولدة : أخرج الطمع من قلبك تحل القيد من رجلك"[4].فالغرض هنا النصح والإرشاد .

يقول دعبل :

فأحمد الله على صحبـــته وسل الرحمن منه العافية[5]

في قوله : "فأحمد الله على صحبته" أمر غير حقيقي والغرض الالتماس لأنّه أمر من ند إلى ند .

---

(١) تمام المتون : ص٢٥٥ .

(٢) المصدر السابق : ص٣١٣ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٧٥ .

(٤) تمام المتون : ص٣١٣ . انظر : مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ج١ ، ص٣٣٢ .

(٥) تمام المتون : ص٣٣ .

وقال أبو طالب:

ألا أبلغا عني ذات بيــننا

لؤياً وخصا من لؤي بني كعب[1]

وهذا أيضًا أمر الغرض منه الالتماس ، لأنّ الشاعر يتخيل صاحبين له فيخاطبهما ، ويوجه لهما رسالته ليبلغاها لؤياً ، ويخصا في لؤي بني كعب ، واللذان يخاطبهما هما أنداده وأقرانه.

وقوله أيضاً:

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى

ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب[2]

وهذا أمر الغرض منه النصح والإرشاد ، فهو يأمرهم وينصحهم بأن يثوبوا إلى رشدهم ويهتدوا ، ويؤكد لهم ذلك بالتكرار ، فالموت آتٍ لا محالة.

يقول الأمير أبو الفضل الميكالي[3]:

دع الحرص وأقنع بالكفاف من الغني

فرزق الفتى ما عاش عنه بعيشه[4]

والغرض هنا أيضاً النصح والإرشاد .

٢) قال ابن زيدون: **"ومن الأمثال المضروبة : خامري أم عامر"**[5].

خامري أي: "تستري يأ ام عامر ، وهذا أمر للضبع ، والضبع غير عاقل ، فالغرض من الأمر هنا التمني .

---

(١) تمام المتون : ص١٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ص١٣٥ . انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص٤٨٥.

(٣)عبيد الله بن أحمد بن على الميكالي، أبو الفضل : أمير ، من الكتاب الشعراء ، من أهل خراسان . انظر : دمية القصر ، للباخرزي : ص٢٧١ .

(٤) تمام المتون : ص٣١٥ . انظر : دمية القصر ، للباخرزي : ص٢٧١ .

(٥) تمام المتون : ص ٣١٨.انظر مجمع الأمثال ، للميداني : ج١ ، ص٣٣٢ .

ومثله قول عنترة[1]:

يا دار عبلة بالجواء تكلـــمي وعمي صباحاً دار عبلة وأسلمي[2]

وقال زهير بن صرد الجشمي[3] مخاطباً الرسول ﷺ وهو بالجعرانة:

أمنن علينـا رسول الله في كـرمفـإنك المـرء نرجـــوه وننتظـــر

أمنن علي بيضة قد عـاقها قدر مُشتت شملهـا فيدهرهـا غيـــر

إذ أنت طفل لأم كنت ترضعها إذ فوك تملؤها من محضها الدرر[4]

في البيت الأول والثاني أمر ، وبما أنّه يخاطب النبي ﷺ، والشاعر أدنى والنبي ﷺأعلى ، فالأمر غير حقيقي ، الغرض منه الدعاء . فهو يمدحه ويصفه بالكرم والصفح ، وأنّ الآمال معقودة عليه ، ويطلب منه العفو ، ولكي يستجيب لدعائه سريعاً ويستعطفه ، ذكّره بطفولته وأيام رضاعه، لأنّه يعلم أنّه ﷺهو أهل الوفاء. فعفى عنهم النبي ﷺجميعاً .

يقول حسان بن ثابت:

من سره الموت صرفاً لا مزاج به فليأت مأدبة في دار عثمانا[5]

في قوله: "فليأت" أمر غير حقيقي والغرض منه السخرية ، لأنّ في دار عثمان ﷺ لا توجد مأدبة وإنّما يوجد قتل _ يشير إلى يوم الدار _، وإنّما ذكر المأدبة من باب السخرية والاستهزاء.

---

(١)عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الاولى . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص١٦٣ .

(٢)شرح المعلقات العشر وأخبار شعرئها ، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،سنة ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م : ص١٥٠ .

(٣)زهير بن صرد السعدي ، من بني سعد بن بكر ، كان رئيس قومه قدم على الرسول ﷺ في وفد هوازن ، ورسول الله ﷺ بالجعرانة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٠ ص ١٤١ .

(٤) تمام المتون : ص٣٣٣ .انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٠ ، ص١٤١.

(٥) تمام المتون : ص١٩١ .

٣) قال ابن زيدون : **"فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له"**[١]

فالشاعر يطلب من ابن جهور العفو منه ويعدد فوائده ، وتقول فلان ذو عائدة ، أي : ذو عطف وعفو ورحمة ، واعتددت بالفائدة له معناه : عددت الفائدة له.

يقول الصفدي: "وهذا الكلام أخرجه مخرج التوكيد لاستعطاف ابن جهور ، وميل نفسه إلى النظم وقبوله له ، وأنّه صادف من قلبه موضعاً ، فكأنّ هذا الأمر صار وأنفصل حكمه ، وهذا من باب قولك: غفر الله له ورحمه الله، وهذا إنّما هو في الأصل دعاء ، والدعاء طلب ، والطلب استدعاء أمر لم يكن بعد ولكن تخرجه مخرج أمر قد صارومضى ووقع ، وثوقاً برحمة الله وطمعاً في جوده . وما أحسن ما أتى بهذه الألفاظ في حق النظم ، وأنه الذي يبلغه المقصود لا النثر ، وإن كان قد جاء في النثر بما هو السحر الحلال ، والخدعة التي لا محيد لها عن الانفعال ، ولكن هذا كله من التصرف في فنون البلاغة ، وقوة العارضة ، فهو يغالطه من هاهنا ويخدعه من هنا ، ويكابده من هنا ، حتى يظفر منه بمراده"[٢]. فابن زيدون يريد أن يؤكد لابن جهور شدة وثوقه في عفوه وصفحه ، فكأنّه واقع لا محالة ومحقق لاشك فيه ، لذا أخرجه هذا المخرج.

ومثله قول ابن مسعود : "كأنّي انظر إلى رسول الله ﷺ يحكي أنّ نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يسمح الدم عن وجهه ، ويقول : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[٣].

---

(١) تمام المتون : ص ٣٨٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩١، "الحديث متفق عليه" انظر : الجامع الصحيح للإمام البخاري ، تحقيق أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ _٢٠٠٣م : ج٢ ، ص١٧٢ .

ففي قوله : (اغْفِرْ لِقَوْمِي) أمر ، والغرض منه الدعاء .

يقول أبى العتاهية :

تذكر أمين الله حـقي وحـرمتـي وما كنت توليني لعلك تذكـر[1]

في قوله : "تذكر" أمر ، الغرض منه الدعاء ، فهو يدعو أمير المؤمنين أن يتذكر حقوقه ، وما كان يوليه له من رعاية في الزمن السالف .

يقول الصفدي :

يا قليل الخير موفور الصـلف والذي في البغي قد حاز الشرف

كن لئيماً وتواضع تُحتـــمل أو كريماً يحتمل منك الصــلف[2]

في البيت الثاني أمر ، الغرض منه التخيير ، فقد خيره بين أن يكون لئيماً متواضعاً ، أو كريماً متكبراً ، فالأول ينسى لؤمه لتواضعه ، والثاني يصبر عليه لكرمه .

النهي :

يقول ابن الخياط[3]:

فلا تعدل إلى الواشين سمعاً فإنّ كلام أكثرهم كلام[4]

في هذا البيت نهي ، الغرض منه نصح المخاطب وإرشاده لعدم الاستماع إلى النمام لأنّ محبته غير صادقة ، وحديث النمام يفرق بين الأخلاء والأحباب فهو أشد وقعاً عليهم من وقع السهام على الأجسام .

قال الشاعر :

لا تتركن الناس موضع شبهة وأحزم فمثلك في العظائم يحزم[5]

---

(١) تمام المتون : ص٢٦٩ . انظر : ديوان أبي العتاهية : ص٢١٥ .

(٢) تمام المتون : ص٩٥ ،

(٣) أحمد بن الحسن الدمشقي ، مجد الدين ابن الخياط . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١١١ .

(٤) تمام المتون : ص٢٣١ .

(٥) المصدر السابق : ص٧١ .

طلب من الملك أن لا يترك موضع شبهة حتى يكون حازماً ، ولكي يهابه الأعداء . الغرض من النهي الدعاء .

وقال أبو الحسين الجزار:

لا تقطعن عائدة بر ولا تجعل عقاب المرء في رزقه

وأعفو عن الجاني فإن الذي ترجوه عفو الله عن خلقه[١]

ينهي الشاعر مخاطبه ألا يقطع إحسانه عن من كان يحسن إليهم ، وألا يجعل العقوبة قطع الرزق عنهم، فالغرض هو النصح والإرشاد.

وقال ابن المنير الطرابلسي[٢]:

لا ترض من دنياك ما أدناك من دنس وكن طيفاً جلا ثم أنجلا[٣]

أي: لا ترقب بالأشياء التي لا فائدة منها ، وكن طموحاً لا تقنع باليسير ، والغرض أيضاً النصح والإرشاد.

ويقول سيف الدين قزل المشد[٤]:

فلا تبال بأمر جاء عن قدر فالسيف يضرب والخطيّ يعتقل[٥]

في قوله : "فلا تبال بأمر" نهي غير حقيقي ، لم يقصد به طلب الكف عن الفعل على وجه الإلزام ، وإنّما أراد به النصح والإرشاد .

ويقول إبراهيم بن المدبر أيضاً:

فلا تنكرنّ طول المداراة للعدا فإن نهايات الأمور لإقصار

---

(١) تمام المتون : ص١٧٢.

(٢) أحمد بن منير بن أحمد ، أبو الحسن مهذب الدين الطرابلسي : شاعر مشهور ، مدح السلطان الملك العادل ، له ديوان شعر ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٢٦٠ .

(٣)ديوان ابن منير الطرابلسي ، تحقيق دكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٨٦م : ص١٠٣ .

(٤) علي بن عمر بن قزل سيف الدينالمشد . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢٨١٤.

(٥) تمام المتون : ص٧١.

لعل وراء الغيب أمراً يسـرنا يقدره في علمه الخالق الباري[1]

ففي قوله : "فلا تنكري" نهي الغرض منه الالتماس ، فهو يلتمس منها ألا تنكر عليه مداراته للإعداء . وفي البيت الثاني ترجّى ، لأنّه يطلب أمراً ممكناً حصوله .

التمني :

١) قال ابن زيدون : **"لعلي أن ألقي عصاي بذراك ، ويستقر النوى في ظلك"**[2].

لعل هنا استخدمت للترجي ، لأنّ المطلوب مما يرجى حصوله . يقول المراغي : "فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجياً ، ويعبر فيه بعسى ولعل كقول الشاعر :

عسى الله أن يجري المودة بيننا ويوصل حبلاً منكمو بحباليا"[3]

ومثل هذا قول المتنبي :

لعل عتبك محمود عواقبـــه وربما صحت الأجسام بالعلل[4]

أي : لعل عتبك يكون سبباً لتحقيق وفائي وإخلاصي في خدمتك ، ويقطع عني ألسنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أنّ من العلل ما يكون سبباُ لصحة الأجسام ، فهو يرجو ذلك . وقال ابن الخياط :

فليتك تسمع القولين حتـى يبيّن في من الحق الخصام[5]

في قوله : "فليتك تسمع" تمني ، وبما أنّ هذا الطلب يرجى حصوله يسمى ترجياً .

---

(١) تمام المتون : ص٧١ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٦٧ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٦٢ .

(٤) تمام المتون : ص٧٣ . انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٣ ، ص٢١٠ .

(٥) تمام المتون : ص٢٣٠ .

ويقول الصفدي : وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته[1]:

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر[2]

وهذا تمني ، لكونه بعيد التحقيق صعب المنال . يقول المراغي : "أما لكونه بعيد التحقيق والحصول ، نحو :﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾"[3].

النداء :

١) قال ابن زيدون :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم[4]

يقول الصفدي : "هذا البيت من قصيدة لأبي الطيب أولها :

وأحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وكان سيف الدولة ابن حمدان[5] إذا تأخرت عنه مدائح أبي الطيب ، شق ذلك عليه وأقلقه ، وأكثر معاتبته إذا حضر ، وتقدم إليه من بحضرته بالتعريض بالمكروه ، ومخاطبته بما لا يحسن ، فكبر ذلك على أبي الطيب وآلَهَ غايةَ الإيلام ، فأنشده هذه القصيدة بمحضر من العرب والعجم ، وكانت سبب الوحشة بينهما وفساد الحال"[6].

فالغرض هنا العتاب ، فأبو الطيب يخاطبه وهو قريب منه بحرف النداء الياء المستخدم للبعيد ، وذلك لرفعة شأن المخاطب سيف الدولة وعظمته ، فكأنّ بعده في العظمة والسمو يماثله بعده في المكان .

---

(١) عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري أبو محمد : ذو الوزارتين ، أديب الأندلس في عصره ، صاحب القصيدة "البسامة" ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص١٤٩ .

(٢) تمام المتون : ص٢٠٢ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٦٢ .

(٤) تمام المتون : ص ٣٤٤ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٢٦٨ .

(٥) على بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي ، أبو الحسن سيف الدولة : صاحب حلب . انظر : البداية والنهاية ابن كثير : ج٢ ، ص٢٣٥٣ .

(٦) تمام المتون : ص٣٤٥ .

ومثل هذا قوله أيضاً:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وقال عبد المطلب بن هاشم:

يا رب لا أرجو لهـم سواكا يارب فأمنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكـا أمنعهم أن يخربوا قراكا[1]

في البيت الأول نداء حقيقي ، والمنادي المولي عز وجل ، وكان من المفترض أن يستعمل أداة النداء الهمزة ، لأنّها تستعمل للقريب ، ولكنّه استعمل الياء التي تستخدم لنداء البعيد ، وذلك لأنّ المنادي عظيم القدر عظيم الشأن ، فكأن بعد درجته في العظمة والعلو كالبعد في المسافة .

ومثل هذا قوله أيضاً:

يا رب إن العبـد يحمي رحـله فأمنع رحـالك

قال الصفدي:

يا حبيبي الذي أرى فيه عمريضاع مني وضاق بالصد صدري

أنت أظللتني ووجهـك بـاد أفهـذا يليـق قـط ببـدر![2]

حرف النداء الياء ينادي به البعيد في الأصل ، وقد ينادي به القريب لأغراض بلاغية. والنداء هنا خرج عن معناه الأصلى ، فالشاعر هنا لا يناديه وينتظر منه أن يرد عليه ويخاطبه ، وإنّما أراد التحسر على تلك الأيام الزاهرات النضرات أيام الوصل ، والغرض هنا إظهار الشكوى من كثرة الصد والهجر.

قال أبو الطيب:

وأحر قلباه ممن قلبه شبمومن بجسمي وحالي عنده سقم

---

(١) تمام المتون : ص٣٤٥ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١، ص٣٣٧.

(٢) تمام المتون : ص٣٠٥.

أي : وا حرّ قلبي واحتراقه حباً وشوقاً بمن قلبه بارد لا يحفل بي ، ولا يقبل عليّ وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعاني وأقاسي فيه .

يقول البرقوقي : "وا حرّ قلباه : أصله وا حرّ قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء"[1] .

خرج لفظ النداء عن معناه الأصلى ، وهو طلب إقبال المخاطب إلى معانٍ أخرى. فأبو الطيب لا يريد أحداً ولا ينادي ، وإنّما يتعجب مما حدثله ، فالغرض من النداء هو التعجب.

وقال الصفدي: "وفي رواية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ" [2].

في قوله : " يا صاحب الطعام" منادى ، والمنادى رغم قربه إلا أنّ النبي ﷺناداه بالياء دون الهمزة ، وذلك لغفلته وشرود ذهنه .

يقول الهاشمي: "أو إشارة إلى أنّ السامع لغفلته وشرود ذهنه ، كأنّه غير حاضر ، كقولك للساهي : أيا فلان"[3] .

ومثل ذلك قول الصفدي:

يا قليل الخير موفور الصلف والذي في البغي قد حاز الشرف
كن لئيماً وتواضع تُحتمل أو كريماً يحتمل منك الصلف

في البيت الأول نداء ، والمنادي على الرغم من قربه إلا أنّه نودي بالياء التي تستخدم للبعيد ، نسبة لغفلته وشرود ذهنه .

---

(١) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤، ص٨٠ .

(٢) تمام المتون : ص٢٤٢ . انظر : صحيح مسلم : ج١ ، ص٩٩ .

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٨٠ .

المبحث الأول
التقديم والتأخير

من المعلوم أنّ الجملة العربية لها نظام في ترتيب أجزائها ، فالجملة الأسمية يتصدرها المبتدأ ويليه الخبر ، ثم ما تعلق به . والجملة الفعلية تبدأ بالفعل يليه الفاعل فالمفعول به ، فالمكملات الأخرى.

يقول المراغي: "الألفاظ قوالب المعاني فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي ، ومن البيّن أنّ رتبة المسند إليه التقديم ، وإنّه المحكوم عليه ، ورتبة المسند هو التأخير إذ هو المحكوم به ، وما عداهما فتوابع ومتعلقات تأتي تالية في الرتبة . ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقه التأخير ، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم ، فيشير إلى الغرض الذي يراد ومترجماً عما يقصد منه"[1].

وصف الإمام عبد القاهر الجرجاني باب التقديم والتأخير بقوله: "هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[2].

ومن أسباب التقديم:

أ) التعجيل بالمسرة ، نحو :العفو عنك صدر به الأمر.

---

(١) علوم البلاغة ، للمراغي : ص١٠٠ . انظر : جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص١١٣.

(٢) دلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق دكتور محمود محمد شاكر ، مطبعة مطبعة المدني بجدة، ط٣، سنة ١٤١٣هـ _١٩٩٢م : ص١٠٦ .

ب) التعجيل بالمساءة ، نحو : القصاص حكم به القاضي.

ج) التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعراً بغرابة ،مثلقول المعري[1]:

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

أي : تحيرت الخلائق في المعاد الجسماني والنشور الذي ليس بنفساني بدليل ما قبله .

بان أمر الإله واختلف الناس فداعٍ إلى ضلالٍ وهادٍ

يعني بعض الناس يقول بالمعاد ، وبعضهم لا يقول به[2] .

د) التلذذ بذكر ما هو حبيب إلى النفس ،مثل :هند وصلت .

هـ) التبرك ، نحو :بسم الله أهتديت .

و) سلب العموم (ويكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم)، نحو: لم يكن كل ذلك .

أي : لم يقع المجموع فيحتمل ثبوت البعض ، ويحتمل نفي كل فرد ، لأنّ النفي يوجه إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل ، ويسمي نفي الشمول. وأعلم أن سلب العموم ، يكون النفي فيه للمجموع غالباً.

يقول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن[3]

ز) وعموم السلب (وهذا يكون بتقديم أداة العموم ، مثل : "كل" و"جميع" على أداة النفي)، نحو: كل ظالم لا يفلح أحد الظلمة .

---

(١)أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ، أبو العلاء المعري: فيلسوف، وشاعر مبرز . انظر : الأعلام للزركلي : ج١، ص١٥٧.

(٢) حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م : ج١ ، ص٩٩ .

(٣) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٣٧٠.

ويسمي شمول النفي وعموم السلب ، ويكون النفي فيه لكل فرد.

ح) إفادة التخصيص قطعاً (وذلك إذا كان المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي) نحو: ما زيد فعل هذا. أو (أن يكون معرفة مضمرة بعد نفي)، نحو: ما أنا قلت ذلك . أو (أن يكون نكرة بعد نفي)، مثل: ما طالب حفظ الدرس.

ط) كون المتقدم محط الإنكار والتعجب ،مثل : قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[مريم: ٤٦] . ففي الآية يستنكر آزر على ابن أخيه إبراهيم عليه السلام أن يرغب عن آلهته، ولما كانت الرغبة عن الآلهة هي محط الاستنكار وموضعه قدمت في الكلام.

هذا وهنالك أغراض أخرى لتقديم المسند إليه ، كما أنّ هنالك أغراض تستدعى تقديم المسند الذي من أصله التأخير، مثل:

أ) التخصيص بالمسند إليه،مثل : قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[المائدة: ١٢٠]. أي: أنّ السموات والأرض لله وحده لا شريك له.

ب) التشويق للمتأخر (إذا كان المتقدم مما يشوق لذكره) ،نحو : قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آلعمران: ١٩٠] .

ج) التفاؤل: كما تقول للمريضفي عافية أنت .

د) إفادة قصر المسند إليه على المسند ،نحو : قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[الكافرون: ٦] .

هذا وربما نورد أغراضاً غير تلك الأغراض التي ذكرناها أثناء عرضنا للشواهد البلاغية التي وردت في كتاب تمام المتون.

التقديم والتأخير في كتاب تمام المتون

ذكرالصفدي التقديم والتأخير حينما شرح قول ابن زيدون: **"ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب"**وسماه بالمقلوب .

هذا وقد حاولت أن أذكر أغراض التخصيص والقصر والتشويق وتقوية الحكم وتقريره حينما يكون المخاطب محط الإنكار والتعجب ، بادئاً بكتابة الغرض ، ثم الشواهد التي ذكرها الصفدي ، ثم بعد ذلك قمت بتحليلها ، وذكر المقدم والأسرار البلاغية من تقديمه .

أ)التخصيص بالمسند إليه:

قال ابن زيدون: **"ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب"**[1].

قدم المسند "ولكل أجل" خبر المبتدأ على المسند إليه المبتدأ "كتاب" ، فقد خصص المسند بالمسند إليه وقصره عليه ،والمعنى أنّ لكل أجل قدره الله كتاب أثبته فيه ، لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر .

قال الصفدي: "وقيل هذا من المقلوب الذي جاء في القرآن ، ومعناه لكل كتاب أجل ينزل فيه ، كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾[ق: ١٩] وإنّما هو: "وجاء الحق بسكرة الموت" وكقوله تعالى :﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾[النجم : ٩]وهو كثير في القرآن[2].

وكلام الصفدي يؤكد أنّ مثل هذا الفن من فنون البلاغة أمثلته كثيرة واردة في كتاب الله .

يقول ابن الأثير: وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾[الغاشية: ٢٥ – ٢٦] . وقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ

(١) تمام المتون : ص٨٢.

(٢) المصدر السابق : ص٨٣.

ٱلْحَمْدُ﴾[التغابن: ١] . فإنّه إنّما قدم الطرفين هاهنا في قوله :﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره"[١].

ويورد أمثلة من كلام العرب مثل:"ومن أمثالهم: لكل صباح صبوح" و "لكل غد طعام"[٢].

في المثالين أعلاه نجده قدم المسند وخصصه بالمسند إليه، وتقديم الجار والمجرور هنا يدل على التخصيص .ومثل ذلك أيضاًقول السراج الوراق[٣]:

أراني بطيـــئاً إذا ما كتبت وقد خلقت طينتي من عجل

كأني خالفت نص الكتابفعندي لكل كتاب أجـــل[٤]

وقول أبي الطيب:

وما أنا وحدي قلت ذا الشعركله ولكن شعري فيه من نفسه شعر[٥]

خصص أبو الطيب نفسه بقوله: "وما أنا" أي : لم أقل كل هذا الشعر ، حيث قدم الضمير "أنا" مصدراً جملته بالنفي ، وإذا كان المسند فعلاً منفياً ووسط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في المثال وهو "ما أنا قلت" دل ذلك على التخصيص . أي : أنا لم أقل الشعر وحدي بل شاركني فيه غيري ، لأنّه من الخطأ أن تقول: ما أنا فعلت هذا ولا غيري لأنّمعنى ما أنا فعلت يفيد نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فقولك ولا غيري يكون تناقضاً . ومثل ذلك قوله أيضاً :

---

(١)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار لكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م : ج٢، ص٢٥.

(٢) تمام المتون : ص٨٢ .

(٣) عمر بن محمد بن حسن ، سراج الدين الوراق ، الشاعر المشهور ، أديب ، عارف بالبديع وانواعه ، أجاد فنون الشعر جميعها . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٥ ، ص١٩ .

(٤) تمام المتون : ص٨٣ .

(٥) المصدر السابق : ص٢٩٧ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص١٦٤ .

وما أنا أسقمت جسمي بهولا أنا أضرمت في القلب ناراً[1]

يقول الجرجاني : "المعنى كما لا يخفي على أن السقم ثابت موجود ، وليس القصد بالنفي إليه ، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له ، ويكون قد جره إلى نفسه . ومثله في الوضوح قوله: "وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله" ، الشعر مقول على القطع ، والنفي لأن يكون هو وحده القائل له"[2].

ب) **التشويق للمتأخر**(إذا كان في المتقدم ما يتوق لذكره) :مثل ذلك قول ابن الساعاتي[3]:

ثلاثة منعتهـــا مـن زيـارتنـاإذا دجى الليل فوق الكاشح الحنق

فضوء الجبين ووسواس الحليومـا تبديه مـن عـرق العنبر العبق

هب الجبين بفضل الكم تستره والحلي تنزعه ما الشـأن في العـرق[4]

فقد ذكر ثلاثة موانع، والسامع مشوق لمعرفة هذه الثلاثة التي منعت وحالت دون زيارة الحبيبة للشاعر ، ثم يأتي بعد ذلك ليوضح أنّها نور جبينها ، وصوت حليها ، ورائحة العرق الذي يشبه العنبر في جمال رائحته.

وتقديم الخبر فيما سبق للتشويق إلى ما بعده . يقول الهاشمي: "قدم العدد وهو ثلاثة ، وآخر المعدود ليشوق إليه ، لأنّ الإنسان إذا سمع العدد مجموعاً يشتاق إلى تفصيل آحاده"[5].

ومثل ذلك ما رواه الصفدي: "حضر إعرابي وليمة فرأي نعمةفقال: النعم ثلاث: نعمة حال كونها نعمة ، ونعمة ترجي مستقبلة ، ونعمة تأتي

---

(١) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٢٩١.

(٢) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص١٢٥.

(٣)علي بن محمد بن رستم أبو الحسن بهاء الدين ابن الساعاتي : شاعر خراساني الأصـل ، ولـد ونشأ بدمشق ، وكان أبوه يعمل بالساعات، انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٣٣٠ .

(٤) تمام المتون : ص٢٢٨.

(٥) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص١٢٦.

غير محتسبة ، فأدام الله لك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجوه ، وتفضل عليك بما لا تحتسبه"[1].

فالمخاطب في شوق وتلهف لمعرفة هذه النعم الثلاثة ، فلو أنّه ذكرها أو قدمها في الجملة لما حدث هذا التشويق.

وقال القاضي زين الدين عمر بن الوردي[2]:

لي شهوتان أحب جمعهما لو كانت الشهوات مضمونة

أعنـــاق عــذالي مدقـقةومفـاصل الرقبـاء مدفونــة[3]

قدم قوله: "لي شهوتان" ، قال إنّ له شهوتان يجب أن تجمعا له ، وبذا جعل المخاطب في شوق ولهفة ، لمعرفة هاتين الشهوتين اللتين تحدث عنهما في البيت الثاني بقوله : "دق وقطع أعناق العذال ، ودفن مفاصل الرقباء" ، والغرض من التقديم هو التشويق . ويمكنك أن تحدث تغييراً في تركيب جملة الشاعر ، فتقدم ما أخره وتوخر ما قدمه ، ولكنك لن تجد فيه من التشويق ما وجدته.

يقول الصفدي: "والكفاءة سبعة أمور وهي: الدين والنسب والصناعة والحرية والنقاء من العيوب واليسار على أحد الوجهين ، وألا يكون الزوج مولى الزوجة أو أهلها" [4].

وهنا قدم المسند إليه "والكفاءة سبعة أمور" للتشويق إلى المتأخر ، وهي هذه الأمور التي ذكرها ، لأنّ المتقدم مشعراً بغرابة ، فالمخاطب حينما يسمع أنّ الكفاءة سبعة أمور يشتاق لمعرفة هذه الأمور .

---

(١) تمام المتون : ص٣٩.

(٢)عمر بن مظفر بن عمر بن الوردي المصري الكندي، زين الدين أبو حفص : شاعر، أديب، مؤرخ ، فقيه وقاضي ، له مؤلفات كثيرة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٥ ، ص٦٧.

(٣) تمام المتون : ص٢٢٤ . انظر : علوم البلاغة ، للمراغي : ص١٠٦.

(٤) تمام المتون : ص٢٧٩.

ومثل ذلك قول الشاعر:

شرط الكفاءة ستة قد حررت ينبيك عنها بيت شعر مفـرد

نسب ودين صنعـة حـريــة فَقْد العيوب وفي اليسار تردد[1]

وأيضاً هنا قدم الشاعر المسند إليه "شرط الكفاءة" ، الأمر الذي جعل نفس المخاطب والسامع تتشوق وتتلهفلمعرفة هذه الشروط الستة ، ولو قدم البيت الثاني وآخر الأول لم يتحقق الغرض البلاغي وهو التشويق.

ج)**كون المتقدم محط الإنكار والتعجب** :

قال ابن الخياط الدمشقي:

أبعــد تمسكي بنـداك دهــراًوحبل نداك ليس له انصرام

وكوني من دفاعك في حصون منيعات الذوائــب لا ترام[2]

قدم "أبعد تمسكي" ، لأن هذا موضع الإنكار والاستغراب . وذلك مثل قول الشاعر:

أبعد المشيب المنقضي في الذوائب تحول وصل الغانيات الكواعب

فالغرض من التقديم هو تقوية الحكم وتقريره ، لأنّ المتقدم محط الإنكار والتعجب[3].

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ١٦٤] حيث قدم المفعول لكونه محط الإنكار.

---

(١) تمام المتون : ص٢٧٩.

(٢) المصدر السابق : ص٢٥٤.

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص١١٦.

المبحث الثاني
القصر

القصر لغة: الحبس ، ومنه قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾[الرحمن: ٧٢].

واصطلاحاً: تخصيص أمر بأمر آخر بطريق مخصوص . يقول الهاشمي: "**القصر لغة:** الحبس، **واصطلاحاً:** هو تخصيص أمر بأمر آخر بطريق مخصص. أو هو إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عمّا عداه"[1].

تقسيم القصر من حيث طرفيه:

ينقسم القصر باعتباره طرفيه إلى قسمين:

أ)قصر صفة على موصوف:

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر: ٢٨] . فلما كان العلماء مقصور عليه _ وهو موصوف _لذا كان القصر قصر صفة على موصوف.

ب) قصر الموصوف على الصفة:

نحو قوله تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[المائدة: ٧٥] . والمقصور عليه هنا رسول _ وهو صفة _، وحينما يكون المقصور عليه صفة يكون القصر قصر موصوف على صفة.

تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع:

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين :

أ) قصرحقيقي:

وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه لا يتعداه في الحقيقة والواقع .

---

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص١٥٢.

فإذا قلنا: "إنّما خاتم الأنبياء محمد" ، فهو من حيث الحقيقة والواقع كذلك ، لأنّه لا خاتم للأنبياء غيره . وإذا قلنا: "لا رازق إلا الله" ، فصفة الرزق لا تتعدى الله عز وجل إلى سواه . والملاحظ أنّ كل قصر حقيقي لابد أن يكون قصر صفة على موصوف[1].

ب) قصر إضافي:

ويكون بحسب الإضافة إلى شيء معين ، فإذا قلنا إنّما الشاعر المتنبي ، فصفة الشعر يمكن أن نضيفها إلى المتنبي ونضيفها إلى غيره ، والواقع يؤكد وجود شعراء كثيرين غير المتنبي . وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[آل عمران: ١٤٤] . قصر إضافي ، لأنّ لرسول الله ﷺ صفات أخر غير الرسالة ، فهو نبي ، وقائد ، وزاهد ، وعابد ، وأب رحيم ، وزوج كريم ، وغيرها من صفاته العظيمة التي لا تحصى.

والجدير بالذكر أن كل قصر موصوف على صفة قصر إضافي ، وأما قصر الصفة على الموصوف ، فقد يكون حقيقياً أو إضافياً.

هذا وهنالك تقسيمات أخرى للقصر ليس هذا مجالها ، ولكن نوع القصر الذي يتباري في ميدانه أرباب البلاغة ، وأهل الأدب ، هو القصر الإضافي . يقول دكتور فضل حسن عباس: "للقصر أقسام متعددة ، وذلك لأنّه له اعتبارات مختلفة ، وحيثيات متنوعة ، فمن حيث طرفاه ولفظه له تقسيم ، ومن حيث الواقع له تقسيم ، ومن حيث المخاطب الذي من أجله جئنا بأسلوب القصر له تقسيم ثالث"[2].

---

(١)علوم البلاغة ، للمراغي : ص١٥٣.

(٢)البلاغة فنونها وأفنانها ، دكتور فضل حسن عباس. دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ط ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م : ص٣٧٥ .

طرقالقصر :

أ) **النفي والاستثناء:** مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران: ٧] . وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء . يقول الهاشمي: "الأصل في النفي والاستثناء أن يجئ لأمر ينكره المخاطب ، أو يشك فيه ، أو لما هو منزل هذه المنزلة ، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[فاطر: ٢٣] .

ب) **القصر بإنّما** :مثل قوله تعالى : ﴿ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ ﴾[الحديد: ٢٠] .وهنا يكون المقصور عليه مؤخراً ، وهو "لعب ولهو وزينة وتفاخر" . يقول الهاشمي: "الأصل في إنّما أن تجئ لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره ، وإنّما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة"[(١)]. فقد أراد المولي عز وجل أن ينبه إلى حقيقة الدنيا ، ولذا قدمت ، ولو أخرت لما كان للفظ حسن وجمال .

يقول الجرجاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر: ٢٨]: "وهاهنا كلام ينبغي أن تعلمه ، إلا أنّي أكتب لك من قبله مسألة ، لأنّ فيها عوناً عليه ، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾في تقديم اسم الله عز وجل معنًى خلاف ما يكون له أخر ، وإنّما يبين لك ذلك إذا اعتبرت الحكم في "ما" و"إلا" ، وحصلت الفرق بين أن تقول: "ما ضرب زيداً إلا عمرو" ، وبين قولك: "ما ضرب عمرو إلا زيد"[(٢)].

ج) **العطف "بلا" و"بل" و"لكن"**: مثل قولنا: الأرض متحركة لا ثابتة ، فالمقصور عليه يكون مقابلاً لما بعدها ، فالمقصور عليه "متحركة" ، لأنّها تقابل "ثابتة" ، والنفي بـ"لا" العاطفة لا يجتمع مع النفي والاستثناء ، فلا نقول: ما محمد إلا ذكي لا غبي[(٣)].

---

(١) جواهر البلاغة، للهاشمي: ص١٥٤.

(٢) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص٣٣٨.

(٣) جواهر البلاغة، للهاشمي : ص١٥٥.

العطف بـ"بل" وبـ"لكن" مثل قولنا: ما الأرض ثابتة بل متحركة ، وما الأرض ثابتة لكن متحركة . يقول الهاشمي: "والمقصور عليه مع "بل" أو "لكن" العاطفتين هو الواقع بعدهما ، نحو: "ما الفخر بالمال بل بالعلم" ، ونحو: "ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى"[1].

د) **تقديم ما حقه التأخير**:مثل قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: ٥] . حيث المقدم المفعول به على الفعل والفاعل ، وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه هو المقدم ، وهو لفظ "إياك" . قال الهاشمي:" والمقصور عليه: في تقديم ما حقه التأخير هو المقدم ، نحو: ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾[يونس: ٨٥] "[2].

القصر في كتاب تمام المتون

قسمت القصر في هذا المبحث على أربعة أقسام على عدد طرقه الأربعة ، ابتدأت بالنفي والاستثناء ، ثم إنّما ، فالعطف بلا وبل ولكن ، ثم تقديم ما حقه التأخير ، ثم ذكرت الأمثلة التي تجري في مجري هذه الطرق.

وقد سماه الصفدي بالتخصيص . يقول الصفدي في شرحه لقول ابن زيدون: **"فلك المثل الأعلى ، وهو بك وبي وفيك أولى"** . يقول : "وما أحسن قوله: **"وهو بكوبي ، وفيك أولى"** ، كأنّه يقول: هو بك أولى ، وهو بك كذلك ، إذا كان فيك ، فكلا الحالين مخصوص بك"[3].

والقصر كما هو معلوم تخصيص بأمر آخر بطريق مخصوص ، ولذلك نجد الصفدي ينعته بالتخصيص ، يقول الصفدي: "قال الزمخشري في كشافه: فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم: ٢٧] ، وقدمت في قوله تعالى: ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[مريم: ٩]، قلت: هنالك قصد

---

(١)جواهر البلاغة، للهاشمي : ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق : ص ١٥٥.

(٣) تمام المتون : ص٣٠٧.

الاختصاص ، وهو محزه ، فقيل: هو على هين ، وإن كان متصعباً عندكم أن يولد بين هِم[1] وعاقر، وأما هنا فلا معني للاختصاص ، كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء ، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى"[2]. وما ذكره الصفدي ينطبق على طريق واحد من طرق القصر ، هو تقديم ما حقه التأخير.

أ) النفي والاستثناء:

١) قال ابن زيدون: **"وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائلك"**[3].

أي : أنّ النور الواضح والضوء الذي في النهار ما هو إلا برداً طرزته أنت بفضائلك وإحسانك. فقد قصر لبس الصباح على البرد الذي طرزه الممدوح ، عن طريق النفي والاستثناء ، ونوع القصر باعتبار طرفيه قصر صفة على موصوف ، وباعتبار الحقيقة والواقع فهو قصر إضافي.ومثله قول أبي تمام:

وما السيف إلا زبرة لو تركت على الحالة الأولى لما كان يقطع[4]

حصر السيف في صفة احدة وهي أنه زبرة [5].

وقبل هذا البيت قوله:

فصار اسمه في النائبات مدافعاًوكان اسمه من قبل وهو مدقع

والمعنى: أنّ هذا المدقع لما أعنته صار مدافعاً ، وكان كالزبرة من الحديد

---

(١) الهِم : هو الرجل الفاني . انظر : الكشاف ، للزمخشري : ج٣ ، ص٣٧٥ .

(٢) تمام المتون : ص٣٨٣.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٨٨.

(٤) المصدر السابق : ص ٦٨ . انظر : شرحديوان أبي تمام ، للخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده علام ، دار المعارف، القاهرة ، ط٤ : ج٢، ص٣٣٤ .

(٥) وزُبْرَةُ الحديد : القطعة الضخمة منه والجمع زُبَرٌ ، انظر لسان العرب : ج٤ ، ص٢١٥ .

لما صنعها الصانع وقام عليها صارت سيفاً يقطع ، ولولا ذلك لم يكن لها إلى القطع سبيل، وقد صار هذا البيت مثلاً. فطريقة القصر النفي والاستثناء والقصر قصر صفة على موصوف .قال أبي سعيد الرستمي[1]:

فما لي رجاء في سواك ولا يرى يمـر قريضي عند غيرك أو يَحْـلِي

وهل بارق يشتام إلا من الحيـا وهل عسل يشتار إلا من النحل[2]

في قوله: "وهل بارق يشتام إلى من الحيا"، وقوله: "وهل عسل يشتار إلا من النحل" ، قصر صفة على موصوف . فقد قصر اشتيام البرق على المطر ، واشتيار العسل على النحل فقط.

وقول أبي فراس الحمداني:

ما كنت إلا السيف أخلصه القيـون فـزاد صقـــلاً

يفـــري رؤوس عـــداتـــه ويشلهم بالضرب شـــلا[3]

في قوله: "ما كنت إلا السيف" ، حصر نفسه في صفة واحدة وهي أنّه مثل السيف المصقول ، وهذا قصر موصوف على صفة.

٢) قال ابن زيدون: **"وما نبهتك إلا لأنام ، وسريت لك إلا لأحمد السري إليك"**[4].

يقول الصفدي: "هذا فيه إشارة إلى المثل السائر وهو: "نبه لها عمراً ثم نم"[5]. حتى لا يفهم السامع أنّه نبّه لشيء آخر .

---

(١)محمد بن محمد بن الحسن ، أبو سعيد الرستمي : مـن شـعراء العصـر في الطبقـة الأولى ، يمتـاز شعره بفصاحة البداوة ، وحلاوة الحضارة . انظر : يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج٣ ، ص٢٧٧ .

(٢) تمام المتون : ص٢٦٧. انظر : يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج٣ ، ص٢٩٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٦٨ . انظر: ديوان أبي فراس ، تحقيق دكتور يوسف شكري فرحات، دار الجيـل ، بيروت : ص٢٧٠.

(٤) تمام المتون : ص٣٥٢.

(٥) المصدر السابق : ص٣٥٢.

ب) القصر بإنّما:

قال محمد بن القاسم بن عاصم شاكر الحاكم[1]:

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنّما رقصت من عدله طرباً[2]

قصر صفة على موصوف ، لأنّه حصر سبب رقص الأرض أنّه من عدله ، فهي في طرب.وإن كان تعليله غير بليغ ، لأن الأول مخيف محزن ، والأخير مفرح مطرب .

وقال أبو اسحق الغزي[3]:

فقلت العلا بالمكرمات وإنّما ينم بأسرار السيوف الصواقل[4]

حصر المعرفة بأسرار السيوف في الصياقل فقط ، فهم الذي يجلون السيوف من الصدأ ، ولما كانت المعرفة بأسرار السيف صفة ، وهي المقصور ، والصياقل موصوف، وهي المقصور عليه ، كان القصر قصر صفة على موصوف .

يقول البعيث المجاشعي[5]:

طمعت بليلي أن تريع وإنّما تقطع أعناق الرجال المطامع[6]

هذا وقد أخذ ابن زيدون قوله: **"وأصفح عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال"** من قول البعيث ، وقد أشار الصفدي إلي هذا في شرحه .

---

(١)محمد بن القاسم بن عاصم :المعروف بصناجة الدوح ، شاعر الحاكم صاحب مصر . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ، ص١٩٤ .

(٢) تمام المتون : ص٦٧. انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ، ص١٩٤ .

(٣) إبراهيم بن عثمان بن محمد ، أبو اسحاق الغزي: أحد فضلاء الدهر ، وممن سار ذكره بالشعر الجيد . أنظر : الوافي بالوفيات، للصفدي : ج٦ ، ص٣٥.

(٤) تمام المتون : ص ٦٨.

(٥) خداش بن بشر أبو مالك المجاشعي: لقبه البعيث ، كان أخطب بني تميم إذا أخذ القناة ، وكان يهاجي جريراً . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٩ ص٢٥٠ .

(٦) تمام المتون : ص٣١٣.

وهذا أسلوب قصر ، حيث قصر الشاعر قطع أعناق الرجال على المطامع ، ولما كان قطع الأعناق صفة ، والمطامع موصوف ، كان القصر باعتبار طرفيه قصر صفة على موصوف. أما باعتبار الحقيقة والواقع فهو إضافي ، لأنّ هذه الصفة يمكن أن تضاف إلى المطامع وإلى غيرها ، ولكنّه أدعى أنّ المطامع هي التي تقود الرجال إلى المهالك .

يقول الجرجاني : "وأما مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله:

إنّما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

إدعي كون الممدوح بهذه الصفة ، أنّه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنّها ثابتة لهم ، وأنّهم قد شهروا بها ، وأنّهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد"[1].

ج) العطف بـ"بل" و"لا":

قال الصفدي : "قال محمد بن كثير [2]،يخاطب ابن الزبير [3]، لما حبس محمد بن الحنفية[4] ، في سجن عارم:

تخبر من لاقيت أنّك عائذ بل العائذ المحبوس في بطن عارم"[5]

---

(١) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص٣٣١.

(٢) قائل البيت ليس محمد بن كثير ونسبته إليه تصحيف ، وإنّما القائل هو كثير عزّة ، وقد أورده المبرد في الكامل : ج٣ ، ص١٤٦ ، وأورد بعده قوله :

وصي النبي المصطفي وابن عمه وفكاك أعناقٍ وقاضي مغارم

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أبوبكر : فارس قريش في زمنه ، وأول مولود في الإسلام بالمدينة بعد الهجرة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤، ص٨٧.

(٤)محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو القاسم: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام ، وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، ينسب إليها تمييزاً له عنهما، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١، ص٢٠٧.

(٥) تمام المتون : ص ٢١٧. انظر : ديوان كثير عزة ، شرح عدنان زكي درويش ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م : ص٣١٤ .

نفي أن يكون هو العائذ ، فأتي بأداة العطف "بل" ، وقصر القول على محمد بن الحنفية ، أي : ليس أنت العائذ يا ابن الزبير ، بل العائذ هو.

ومن العطف بـ"لا": قول ابن المنير الطرابلسي :

للقفر لا للفقر هبها إنّما مغناك ما أغناك أن تتوسلا[1]

في قوله: "للقفر لا للفقر" ، نفي الفقر وأثبت القفر، حتى لا يقول قائل أنّه لهما معاً ، وأتي بـ"لا" العاطفة ، حتى يثبت القفر ، وينفي الفقر.

د) تقديم ما حقه التأخير:

١) قال ابن زيدون: **"فلك المثل الأعلى وهو بك وبي وفيك أولى"**[2].

قال الصفدي: "والمثل الأعلى : الصفة العليا ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هي أن ليس كمثله شيء ، أو هي أنّه لا إله إلا هو" . وما أحسن قوله: **"وهو بك وبي ، وفيك أولى"** ، كأنّه يقول: هو بك أولى ، وهو بي كذلك ، إذا كان فيك فكلا الحالين مخصوص بك"[3].

وهذا قصر صفة على موصوف ، حيث قدم شبه الجملة "الجار والمجرور" ، وحصر المثل الأعلى في الممدوح فقط .

ويقول الصفدي : "يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الروم:٢٧] .وهذا أيضاً قصر صفة على موصوف ، وباعتبار الحقيقة والواقع قصر حقيقي.

---

(١) تمام المتون : ص٣٠٧ . انظر : ديوان الطرابلسي : ص١٠٣ . وهذا البيت من قصيدة مطلعها:

أخلى فصد عن الحميم وما اختلى ورأي الحمام يقصة فتوسلا

(٢) تمام المتون :ص٣٠٧.

(٣) المصدر السابق :ص٣٠٧.

وقال محمد بن القاسم بن عاصم:

بالحاكم العادل أضحى الدين معتلياً

نجل العلا وسليل السادة العلماء[1]

في قوله : "بالحاكم العادل أضحى" ، قصر صفة على موصوف ، حيث قصر علو الدين وسموه بفضل الحاكم فقط ، لا يشاركه أحد في هذه الصفة.

٢) قال ابن زيدون:**"وفي كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار"**[2].

واستمجد المرخ والعفار ، أي : استكثر ، وأخذا من النار ما هو حسبهما ، شبهاً بمن يكثر العطاء طالباً للمجد ، لأنّهما يسرعان الورى[3].

قال الصفدي : " ليس في الشجر كله أورى ناراً من المرخ ، وربما كان المرخ متجمعاً ، وهبت الريحفأحتك بعضه ببعض ، فأورى النار ، واحترق كله ، ولم يرى ذلك في سائر الشجر"[4]. وهذا قصر صفة على موصوف.

---

(١) تمام المتون : ص٦٧.

(٢) المصدر السابق : ص٣٤١.

(٣) مجمع الأمثال، للميداني : ج٢، ص٣١.

(٤) تمام المتون : ص٣٤١.

الفصل الأول : التشبيه

المبحث الأول: التشبية المفرد .

المبحث الثاني: تشبه التمثيل .

المبحث الثالث: التشبه الضمني .

الفصل الثاني: المجاز اللغوي.

المبحث الأول: الاستعارة التصريحية .

المبحث الثاني: الاستعارة المكنية .

المبحث الثالث: الاستعارة التمثيلية

المبحث الرابع: المجاز العقلي والمرسل .

الفصل الثالث : الكناية .

المبحث الأول: الكناية عن صفة

المبحث الثاني: الكناية عن موصوف

المبحث الثالث: الكناية عن نسبة

علم البيان

تعريفه :

البيان لغة: الكشف والإيضاح . قال ابن فارس[1]: "وبان الشيء: أتضح وأبان فهو بيِّن ومُبين. **والبيان:** هو الكشف عن الشيء وفلان أَبين من فلان، أي: أفصح وأوضح كلاماً"[2].

واصطلاحاً: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد ، بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس المعنى ، ولابد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً .

يقول الخطيب القزويني: "وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، في وضوح الدلالة عليه ، ودلالة اللفظ[3]. أي: يعرف من عرف تلك الأصول ، كيف يعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة بعضها عن بعض .

فعلم البيان علم يتمكن من إبراز المعنى الواحد بصور متباينة . مثل التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية وغيرها. فالبليغ العارف بعلم البيان يستطيع أن يختار من فنون القول ، وطرق الكلام ، ما هو أقرب لمقصده ، وأليق بغرضه.يقول المراغي: "إن الضليع بهذا الفن إذا حاول التعبير عما يختلج في صدره من المعاني وجد السبيل ممهداً ، فيختار ما هو أليق بمقصده ،وأشبه بمطلبه ، من فنون القول ، وأساليب الكلام ، فإذا حثّ همة الشجعان

---

(١)أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن : اللغوي ، صاحب كتاب المجمل . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٣٧٩.

(٢) مجمل اللغة ، لابن فارس ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة : ج١، ص١٤١.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، مصر : ص١٣٥ .

على اقتحام غمار الوغى ، بهرهم بساحر بيانه ، وعظيم إحسانه ، فإن شاء شبههم بأسود خفان ، فقال: وكأنكم أسود لها في غيل خفان أَشْبُل، وإن شاء استعار ، وقال: "إني أرى هنا أسوداً تتحفز للكر والفر، وتثب لاقتناص فرائسها ، ولها قدم إلى الأخذ بنواصيها ، وحز رؤوسها، وإن أراد كني عن مقصده ، ووري عن مراده ، فقال: ألبسوا لعدوكم جلد النمر ، واقلبوا له ظهر المجن ، فإنّه قد ورم أنفه عليكم ، وداسكم تحت أقدامه ، هنالك تناديه القلوب ، وتتسابق عليه الفرسان قائلة: لبيك لبيك ، نحن أولاء نحمي الذمار ، ونجير الجار ، ونجز الأقران ، ونصرعهم في الميدان ، ونبيع النفوس رخيصة ، ونشترى بها المجد والسؤدد"[1].

يتضح لنا مما سبق أن علم البيان يتيح لك أن تعبر عن الموضوع الواحد بطرق مختلفة ، فقد نجد مثلاً مجموعة من الأدباء كلهم يتحدثون عن الشجاعة ، ولكنهم يعبرون عنها بأساليب مختلفة .

فأنت بمعرفتك لعلم البيان تستطيع أن توضح وتكشف وتبين الفنون البيانية المختلفة ، وتميزها. يقول السيوطي[2]: "وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه ، بان يكون بعض الطرق واضح الدلالة ، وبعضها أوضح ، فخرج معرفة إيراده بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة فقط؟ والمراد بالمعنى الواحد كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته"[3].

---

(١) علوم البلاغة ، للمراغي :ص٢٠٧_٢٠٨.

(٢)عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن الشيخ همام الدين الخضري السيوطي الشافعيجلال الدين . انظر: شذرات الذهب ، لابن العماد : ج٨ ، ص٧٨ .وانظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٥٢.

(٣) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان : ص٧٧ .

الفصل الأول : التشبيه

المبحث الأول: التشبية المفرد .

المبحث الثاني: تشبه التمثيل .

المبحث الثالث: التشبه الضمني .

الفصل الأول
التشبيه

تعريفه :

التشبيه لغة: التمثيل تقول شابه الشيء إذا ماثله. **واصطلاحاً:** عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر ، اشتركا في صفة أو أكثر ، بأداة لغرض يقصده المتكلم ، أو مشاركة أمر لأمر في معنى ، بأدوات معلومة.

قال الجرجاني[1]: "اعلم أنّ الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين، **أحدهما:** أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأويل ،**والآخر:** أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول ، فمثال الأول: تشبيه الشيء من جهة الصورة والشكل ، نحو أن يُشبه الشيء إذا استدار بالكرة وبالحلقة في وجه آخر... ومثال الثاني : وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأويل ، كقولك هذه حجة كالشمس في الظهور ، وقد شُبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها"[2].

ومعنى هذا أنّ تشبيه الشيء بالشيء مثل تشبيه القد بالغصن ، لأنّ كلاهما معتدل وناعم ويتثنى . أو بتشبيه صوت بصوت ، مثل تشبيه صوت المدافع بصوت الرعود . ويمثل له الجرجاني بقوله: "كتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج كما قال:

كأنّ أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج

---

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي : واضع أصول البلاغة، انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد : ج٤ ، ص٣٣.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان : ص٧٢ .

تقدير البيت: كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا ، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: "من إيغالهن" ، ومعنى البيت : أن بعض الرحل يحك بعضه بعضاً ، فيحصل صوت يشبه صوت صغار الدجاج ، ووجه الشبه الاشتراك في النغمة الخاصة . وقد جعله العسكري[1]: ثلاثة أوجه حيث يقول: "والتشبيه على ثلاث أوجه: فواحد منها تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون ، مثل تشبيه الليلة بالليلة ، والماء بالماء ، والغراب بالغراب ، والحرة بالحرة ، والأخر تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل ، كتشبيه الجوهر بالجوهر ، والسواد بالسواد ، والثالث تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما لطافة التعبير ودقة المسلك"[2].

وأسلوب التشبيه من أكثر الأساليب البلاغية ذيوعاً في الشعر العربي ، وبه تقاس مقدرة الشاعر ، وملكته البيانية ، ومهارته في تصوير البيئة التي يعيش فيها ، وهو مرتبط بمقدرة الخيال على الابتكار والإبداع.

يقول الهاشمي: "ومن أساليب البيان أنّك إذا أردت إثبات صفة لموصوف مع التوضيح أو وجه من المبالغة عمدت إلى شيء آخر تكون هذه الصفة واضحة فيه ، وعقدت بين الاثنين مماثلة تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة أو المبالغة في إثباتها ، لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى"[3].

---

(١)الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران أبو هلال العسكري . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص١٩٦.

(٢)الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ،تحقيق دكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ_ ١٩٨٤م : ص٢٤٠.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف السيد أحمد الهاشمي، تحقيق محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، ط١، سنة ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م : ص٢٠٥.

أركان التشبيه وأقسامه

أركانه:

للتشبيه أربعة أركان هي: **المشبه والمشبهبه** وهما طرفا التشبيه ، ولابد من وجودهما حتى يسمى التشبيه تشبيهاً ، **ووجه الشبه** وهو الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به، **وأداة التشبيه** هي الرابط بين المشبه والمشبه به ، مثل الكاف وكأنّ وشبه ومثل وغيرها.

قال المراغي: **"مما سبق نعلم أنّ أركانه أربعة: مشبه ومشبه به، ويسميان بالطرفين ، ووجه شبه وأداة"**(١).

أقسامه:

١)تشبيه صريح : وهو قسمان:

أ)**تشبيه مفرد:** وهو ما يحمل وجه شبه واحد أي أن الصفة المشتركةبين المشبه والمشبه به صفة واحدة. وهو أنواع.

فباعتبار وجه الشبه ينقسم إلى:

١) **مفصل:** وهو ما ذكر فيه وجه الشبه أو ملزومه مثل : حاتم كالبحر في جوده ، ومثل ذلك قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[إبراهيم: ٢٤ _ ٢٥].

فقد شبه القرآن الكريم الكلمة الطبية وأثرها في النفس بالشجرة الطيبة الضاربة بجذورها في أعماق الأرض ، ومع ذلك ترتفع فروعها عالية في السماء ، وأداة التشبيه هي الكاف ، والصفة المشتركة هي الرسوخ والثبات.

٢) **مجمل:** وهو ما حذف منه وجه الشبه ، مثل زيد كالأسد يقول الشاعر:

---

(١) علوم البلاغة، للمراغي : ص٢١٣.

إنّما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت[1]

فوجه الشبه هنا محذوف ، ولكنه ظاهر ومعروف ، وهو الوهن والضعف في كلٍ.

وباعتبار الأداء ينقسم للآتي:

١) **المرسل**: وهو ما ذكرت فيه الأداة . مثل قوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[البقرة: ١٧] .

٢) **المؤكد**: وهو ما حذفت منه الأداة . مثل قولنا حاتم بحر في جوده ، ومثل قول الشاعر:

وتراكضوا خيل الشباب وبادروا أن تسترد فإنّهنّ عوارٍ[2]

٣) **البليغ**: وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه . مثل قول الشاعر:

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء[3]

فذكر الطرفين هنا "لساني، صارم" يوهم اتحادهما ، وعدم تفاضلهما ، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به ، وهذه مبالغة في قوة التشبيه ، وهذا أبلغ وأقوى أنواع التشبيه ، فإذا قلنا زيد أسد ، فحذف الأداة يؤكد الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، وحذف وجه الشبه يؤكد التشابه في كل شيء.

قال الهاشمي: "التشبيه البليغ : ما بلغ درجة القبول لحسنه ، أو الطيب الحسن ، فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر ، كان ذلك أفعل في النفس ، وأدعى إلى تأثرها واهتزازها لما هو مركوز

---

(١)علوم البلاغة، للمراغي : ص٢٢٨.

(٢) المصدر السابق : ص٢٤٢.

(٣) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق دكتور وليد عرفان، دار صادر، بيروت : ج١، ص١٨ .

في الطبع ، مع أنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له ، والاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين ، كان أحلى ، وموقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أحنن وأشفق ، وما أشبه هذا الضرب من المعاني بالجوهر في الصدف"[1].

ب) **تشبيه تمثيل**: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، مثل قول أبي الطيب:

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب[2]

يشبه أبو الطيب صورة جانبي الجيش ميمنة وميسرة والأمير سيف الدولة يتوسطهما ، وما فيهما من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركهما ، ووجه الشبه هنا ليس مفرداً ، ولكنه منتزع من متعدد صُور ، وهو وجود جانبين لشيء في حال حركة وتموج .

وكقوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الجمعة: ٥]. حيث نجد في الآية الكريمة تشبيه هيئة اليهود الذين يحفظون التوراة ولا ينتفعون بها ، بهيئة وحال الحمار الذي يحمل كتباً على ظهره ولا يستفيد منها غير التعب .

قال الخطيب القزويني: "فإنّه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنّه رُوعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحِمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم ، وأنّ الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه"[3].

---

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص٢٢٦.

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٢٠١.

(٣) الإيضاح ، للقزويني : ص١٤٨.

هذا ومن التشبيهات التي تأتي على غير طرق التشبيه الأصلية ، التشبيه المقلوب ، والتشبيه الضمني . فالمقلوب ، مثل قول البحتري[1]:

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها[2]

فالمتعارف عليه تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور ، والقامات بالقُضب فيالاستقامة والتثني ، لكنّه عكس ذلك مبالغة ، وهذا ادعاء بأنّ المشبه أفضل من المشبه به.

وأما التشبيه الضمني ، فيختلف عن باقي التشبيهات حيث نجد أنّ المشبه والمشبه به لا يوضعان في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمحان لمحاً ، ويفهمان من المعنى ، ويكون المشبه به دليلاً وبرهاناً على إمكان ما اسند إلى المشبه . ومنه قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليهما لجرح بميت إيلام[3]

أي: أنّ الذي اعتاد الهوان والذل يسهل عليه تحمله ولا يتألم له ، وليس هذا الادعاء باطلاً ، لأنّ الميت إذا جرح لا يتألم. ونجد هنا تلميح بالتشبيه في غير صراحة ، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة ، وهنا أكد أنّ الحكم المسند إلى المشبه ممكن . ومثله قول الشاعر:

لا تنكري عطل الكريم من الغنىفالسيل حرب للمكان العالي[4]

أي : لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغنى ، فإنّ ذلك ليس عجباً لأن أعالي الجبال لا تستقر فيها مياه السيول ، وفي هذه العبارة يلمح اللبيب

---

(١) الوليد بن عبيد بن يحي الطائي البحتري : أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم وهم : المتنبي وابو تمام والبحتري . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٨ ، ص١٢١ .

(٢)ديوان البحتري ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ_ ١٩٩٥م : ج٢ ، ص٥٤٢ .

(٣) ديوان المتنبي، للعقباوي : ص١٤٠.

(٤)شرح ديوان أبي تمام ، للتبريزي : ج٣، ص٧٧.

الفطن تشبيها غير صريح ، ثم أتى بعد ذلك بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة دليل ، فالكريم لا يستقر المال في يده وهذا هو المشبه ، والدليل على ذلك أنّ السيل لا يستقر في القمم العالية "المشبه به"، وهذا المشبه به جاء برهاناً على الحكم الذي أسند إلى المشبه ، فأنظر إلى تشبيه الرجل الكريم غير الغني بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل بطريقة غير صريحة ، تجدها تبعث في النفس نشوة وسروراً.

التشبيه في كتاب " تمام المتون"

ما مِنْ كتابٍ من كتب الأدب العربي ، أو ديوان لشاعر من الشعراء ، إلا تجد التشبيه يحتل موقعاً مرموقاً ، ومكاناً سامياً بداخله ،وذلك استناداً على ما ذكرت أنّ التشبيه من أكثر الأساليب العربية انتشاراً في الشعر العربي، ومن ثَمَّ نجد أنّ الصفدي قد أورد شواهد شعرية كثيرة في كتابه تحمل في طياتها تشبيهات مختلفة ، لم يقسمها ولذا سنقوم بدارستها وتحليل كل نوع على حدة ، وستكون دراستنا لهذه التشبيهات دراسة موضوعية وهي:

أ) المفرد.

ب) التمثيل.

ج) الضمني. وهو أكثرها وروداً .

وأذكر أولاً ما ورد في الرسالة من تشبيه ، ثم ما ذكره الصفدي من شواهد ، وأقوم بعرضها ودراستها جميعاً.

المبحث الأول
التشبيه المفرد

١) قال ابن زيدون:

"ألست الموالي فيك غر قصائد

هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما"[١]

شبه القصائد في جمالها وحسنها وبهائها وسموها بالأنجم ، فالأنجم جميلة وسامية ووضيئة تبهر من يتأملها ، وكذلك قصائده ، وما يجمع بين قصائده والأنجم في هذا التشبيه البليغ هو الحسن والجمال.

٢) قال ابن زيدون:**"واللبيب يحن إلى وطنه ، حنين النجيب إلى عطنه"**[٢]

أي: أنّ الإنسان العاقل يحن ويشتاق لوطنه مثل حنين النجيب _ وا**لنجيب**: وهو الفحل الكريم من الإبل والجمع نُجب ونَجائب_إلى عطنه . و**العطن**: مفرد جمعه أعطان ومعاطن ، وهو مبارك الإبل .

شبه حنين الإنسان العاقل إلى وطنه بحنين الفحل الكريم إلى مباركه وأعطانه ، فالمشبه هو حنين اللبيب إلى وطنه وبلده ، والمشبه به حنين النجيب إلى عطنه ومبركه ، وهو تشبيه بليغ ، جاء على صورة المفعول المطلق المبين لنوع الفعل .

ومثل هذا النوع من التشبيهات البليغة ورد في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[النمل: ٨٨] . حيث شبه مر الجبال بمر السحاب .

---

(١) تمام المتون : ص ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٠.

٣) قال ابن زيدون :**"وعلمك محيط بأنّ المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة"**[١].

شبه المعروف وما يبذله الإنسان من خير للناس ، بأنّه الفائدة التي يجنيها الإنسان من النعمة التي أنعم الله عليه بها ، وشبه شفاعة الإنسان لأخيه والسعي وراء قبول عذره ، والعفو عنه ، بالفائدة التي يجدها من المروءة.

وكذلك في قوله : **"ثمرة النعمة"** و**"زكاة المروءة"** شبه النعمة بالثمرة وشبه المروءة بالزكاة ، والتشبيهات الأربعة تشبيهات بليغة ، الأول والثاني جاءا على صورة المبتدأ والخبر ، والأخيران جاءا على صورة إضافة المشبه به للمشبه .

يقول الصفدي: وقوله : **"المعروف ثمرة النعمة"** يشير إلى قول الخفاجي رحمه الله :

فدًى لمن لا يزال نائله تخلف جوداً سحائب الديم

يمنح حتى تدوم نعمته إن العطايا تمـائم النعـــم[٢]

ويقول الصفدي : "ومن كلام الحكمة : بذل الجاه أحد المالين ، وشفاعة اللسان أفضل زكاة الإنسان ، وبذل الجاه رفد المستعين ، والشفيع جناح الطالب" [٣].

شبه الشفاعة بالجاه بالشفاعة بالمال ، وبرفد المستعين .

وقالت الخنساء:

وإنّ صخراً لمولانـا وسيدنـا وإنّ صخراً إذا نشتوا لنحار

---

(١) تمام المتون : ص ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق : ص٣٥٩.

(٣) المصدر السابق : ص٣٥٨.

وإن صخـــر لتـأتم الهداة بهكأنّه علـم في رأسه نـــــار[1]

تقول الخنساء في البيت الثاني : إنّ صخراً هو إمام الهداة ، وقائد ركبهم ، وهو معروف ظاهر كأنّه جبل على رأسه نار ، شبهت أخاها صخراً بالجبل فالمشبه صخر ، والمشبه به الجبل ، الذي على رأسه نار ، واستخدمت أداة التشبيه كأنّ ووجه الشبه المحذوف هو اهتداء السائرين بصخر وبالجبل . والخنساء لم ترضَ لأخيها بأن تأتم به جُهال الناس ، حتى جعلته يأتم به أئمة الناس ، ولم ترض تشبيهه بالجبل ، حتى جعلت في رأسه ناراً[2]. والتشبيه مرسل مجمل.

وقال أبو أسحاق الغزي:

مصاحبة المنى خطر وجهلوكم شَرِق تولد من زلال[3]

في قوله: "مصاحبة المنى خطر وجهل" تشبيه بليغ ؛ حيث شبه مصاحبة المنى وما يحدث من الضياع الذي تسببه ، بالخطر والجهل الذي يسببه الضياع لمن يتبعه، وحذف وجه الشبه ، والأداة. ووجه الشبه المحذوف هو الضياع الذي يحدث منها.

وقال ابن سناء الملك[4]:

والملك العظيم فيهـم أسيـراً مستضاماً فأجعل له النار سجنا

يحسب النوم يقظـة ويظن الشخص طوداً ويبصر الشمس دُجُنا

---

(١) تمام المتون : ص٣٢.انظر : ديـوان الخنسـاء ، شـرح وتحقيـق عبـد السـلام الحـوفي ، دار الكتـب العلميـة ، يـروت ، لبنـان ، ط ٣ ، ١٤٢٧هـ _ ٢٠٠٦ م : ص ٤٠ . انظـر : الكامـل ، للمـبرد : ج٤ ، ص٣١٧ .

(٢)خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٣، ص١٧٠.

(٣) تمام المتون : ص٤٦.

(٤)هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله بن هبة الله السعدي أبو القاسم القاضي السعيد: شاعر . انظر : الأعلام ، للزركلي: ج٨، ص٧١.

كـــم تمنى اللقـــاء حتـى رآه فتمنى لـــو أنّـــه مـــا تمنى[1]

وفي هذه الأبيات يمدح الشاعر الملك الناصر ، ويتحدث عن الفرنج ، يقول: قائدهم العظيم صار أسيراً وذليلاً ، ويدعوه بأن يجعل سجن هذا القائد من نار حتى يصبح نومه كاليقظة ، ويرى النار ظلاماً ، والذي أمامه يحسبه جبلاً . ويقول : إنّ ملك الفرنج تمنى لقاء الملك الناصر ، فلما رآه تمنى لو أنّه لم يتمنى لقاءه . وهذه من التشبيهات البليغة التي على صورة الحال وصاحبها . يقول أبو الطيب :

وإذا اهتز للندى كـــان بحـــراً وإذا اهتز للوغى كان نصلاً

وإذا الأرض أظلمت كان شمساً وإذا الأرض أمحلت كان وبلاً[2]

فحرف التشبيه هاهنا مضمر ، وتقديره كأنّه كان بحراً ، وكان كأنّه نصل . وكذلك يقال في البيت الثاني: كان كأنّه شمس ، وكان كأنّه وبل ، فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به ، وهي كما ترى في غاية الحسن والجمال ، وكذلك في الغاية القصوى من التناسب والتلاؤم[3].

وهو مثل التشبيه في أبيات ابن سناء الملك فقوله: "النوم يقظة" ، و"الشخص طوداً" ، و"الشمس دجنا" كلها تشبيهات بليغة ، الأول جاء على صورة المبتدأ والخبر ، والثاني والثالث جاء على صورة الحال ، وما استشهد به الصفدي من كلام ابن سناء الملك يعد من أجمل التشبيهات وأحسنها ، لأنّه جمع عدة تشبيهات كلها حسنة وبديعة.

---

(١) تمام المتون : ص٥٠ . انظر : ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر و د. حسين محمد نصار . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ _ ١٩٦٩م : ج٢، ص٣٤٢.

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٣٢٢.

(٣)المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير : ج١، ص٣٥٨.

وفي قوله: "فأجعل له النار سجناً"[1]. تشبيه مقلوب ، لأنّ وجه الشبه هنا هو شدة العذاب في النار والسجن ، وهو في النار أشد ـ فوجه الشبه في المشبه أقوى منه في المشبه به ، والأصل أن يكون أقوى منه في المشبهبه.

وقال الباخرزي[2]:

هي الآداب حَلي غير أنّي بحرفتهااضطررت إلى الصَّغَار[3]

في قوله: "هي الآداب حلى" تشبيه بليغ ، حيث شبه الآداب بالحلي والدرر ، ووجه الشبه المحذوف هو الحسن والجمال في كلٍ.

وقال أبو تمام:

حسـد القـرابة للقرابة قرحـة أعيت عواندها وجرح أقدم[4]

وهذا البيت من قصيدة مَدح بها مالك بن طوق[5] ، فقد شبه حسد القريب للقريب بالقرحة التي أعيت من يداويها ،وشبهها أيضاً : بالجرح القديم الغائر الذي لا شفاء منه.

وقال أبو ذؤيب الهزلي:

فالعين بعدهم كأنّ حِداقـها سملت بشوك فهي عور تدمع

حتى كأنّي للحوادث مـروة بصفا المشقر كل يوم تقـرع[6]

---

(١) تمام المتون : ص٥٠.

(٢) علي بن الحسن بن علي أبو الحسن الباخرزي . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٢،ص٢٧٢_٢٧٣.

(٣) تمام المتون : ص٦٦.

(٤) تمام المتون : ص٧١.

(٥) مالك بن طوق بن عتاب التغلبي أبو كلثوم: أمير كان من الأشراف الفرسان ، ولي إمارة دمشق للمتوكل ، وكان شاعرا فصيحاً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٥، ص٢٦٢ .

(٦) تمام المتون : ص٦١ . انظر : أبو ذؤيب الهزلي، حياتـه وشـعره، نـورة الشـعلان، شـركة الطباعـة العربية السعودية ، ط١٤٠٠هـ_١٩٨٠م : ص٥٧ . انظر: شرح المفضليات ، للتبريزي : ج٢، ص١٤٠٧.

ففي قوله:" سملت" أي: فقئت بحديد أو ما يجري مجراها ، فإن فقأتها بيدك لم يكن سملاً . وفي البيت الثاني: "كأنّي للحوادث مروة" ، معناه : أنّه صار مطافاً للحوادث تطأه وتدوسه ، فهو في وطئها له بمنزلة تلك المروة.

فقد شبه الألم الذي أصاب عينه ، والقروح التي أصابتها من شدة البكاء على أولاده ، بالألم الذي يحدث لها إذا سملت بشوك ، وما أشدَّ أثر الشوك على العين ! ووجه الشبه هو شدة الألم والأذى الذي يحدث في كلٍ. وهو تشبيه مرسل ، فالصورة الفنية الرائعة تتمثل في تشبيه دموعه المنهمرة وبكائه الدائم ، بتلك الدموع التي تنهمر من عين سملت بشوك . فكلا العينين في دمعٍ منهمر دائم ، وهي من أشد الصور الحزينة المؤثرة في النفس.

وفي البيت الثاني : شبه نفسه بالحجر الصلد الأبيض الذي تقتدح منه النار ، ووجه الشبه قوة التحمل ، فهو يتحمل ويصبر على قرع الحوادث ، والحجر يتحمل قرع الناس له . وهو تشبيه مرسل أيضاً.

وقال سيف الدين قزل المشد:

أنت الحسام إذا ما هاج معترك والرمح أنت إذا ما ضاقت السبل[1]

في قوله: "أنت الحسام" تشبيه بليغ ، جاء على صورة المبتدأ والخبر ، ووجه الشبه المحذوف ، والصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به هو الاحتياج إليهما ساعة الشدة.

وقوله : "الرمح أنت" ، تشبيه مقلوب ، لأنّه جعل المشبه مشبهاً به ، والمشبه به مشبهاً.

وقال ابن الخياط:

فلا تعدل إلى الواشين سمعاًفـإنّ كلام أكثرهم كـلام

وإنّ الـود عنـدهـم نفـاق إذا طاوعتهم والحمد ذام

---

(١) تمام المتون : ص٧٠.

وللأقوال إن سمعت سهامتقصر عن مواقعها السهام[1]

شبه الشاعر وُدَّ النمام في عدم ثباته وتلوينه بالنفاق ، وشبه حمده بالذام ، أي: كأنّه هجاء ، لأنّه يمدحك أمامك ، ويذمك لغيرك . كما شبه أقواله وأحاديثه وهي تفرق بين الأحباب بالسهام التي تفرق بين أضلاع الجسم.

وقال ابن المعتز[2]:

قوم هم كـــدر الحياة وسقمـها عرض البلاء بهم على وطالا

يتآكـلـون ضغيـــنة وخيـــانـة ويرون لحم الغافلين حـــلالا

وهــم فراش المـوت يوم ملمـةيتهـــافتونتعـاشياً وخبـــالا

وهم غرابيل الحديث إذا وعوا سراً تقطر منـهم أو ســـــالا[3]

في البيت الأول : تشبيه في قوله: "هم كدر الحياة" حيث شبههم في شرهم وفسادهم بكدر الحياة ، وسقمها وآلامها.

وكذلك في قوله: "وهم فراش الموت" ، أي: أنّهم في إيذاء الجليس وإهلاكه مثل فراش الموت. وفي قوله: "وهم غرابيل الحديث" ، حيث شبههم في نقلهم الحديث وإفشائه بين الناس بالغرابيل . وكل هذه التشبيهات تشبيهات بليغة في غاية الحسن والجمال.

وقال أبو طالب:

جزي الله رهطاً بالحجون تتابعـوا على ملأ يهدى لحزم ويرشد

---

(١) تمام المتون : ص٢٣٠.

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي : الشاعر المبدع . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص١١٨.

(٣) تمام المتون : ص٢٣٦ . أنظر: ديوان ابن المعتز ، شرح دكتور يوسف شكري فرحان، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ_١٩٩٥م : ص٥٦٧.

قعوداً لدي حطم الحجون كأنّهـم مقاولة بل هم أعز وأمجـد[1]

في البيت الثاني: "تشبيه" حيث شبه قومه وهم قعود بالحجون بمكة بملوك اليمن المقاولة ، ثم استدرك وقال: "بل هم أعز وأمجد" ، أي: أنّهم أفضل وأكرم ، فهو يرى أنّهم أفضل من اليمنيين القحطانيين ، لأنّهم بنو عدنان .

ويقول أيضاً:

جرئ على جل الخطوب كأنّه شهاب بكفي قابس يتوقد [2]

وهنا شبه السيد من قبيلته في انطلاقه وسرعته لنجدة القبيلة بقوة ، ولتحقيق هدفه ، بالشهاب المتوقد.

وقال مروان بن أبي الجنوب في المتوكل[3]:

كـانت خـلافة جعفر كنبوة جـاءت بلا طلب ولا بتبخـل

وهب الإله له الخلافة مثلما وهب الرسـالة للنبي المرسل[4]

في البيت الأول : تشبيه ، حيث شبه خلافته بالنبوة . وفي البيت الثاني : شبه هبة الله تعالى للمتوكل الخلافة ، بهبته لرسوله الرسالة، فالشاعر يريد أن يضفي قدسية وشرف للخلافة ، مثل شرف النبوة وقدسيتها ، فنسبها لله تعالى ، وأنّها تخصيص من الله تعالى للمتوكل ، مثل تخصيص الرسالة للرسل ، وكلا التشبيهين تشبيه مرسل.

---

(١) تمام المتون : ص١٣٩ . انظر : ديوان أبي طالب بـن عبـد المطلـب ، صـنعة أبـي هفـان المهزمـي المصري _ وعلى بن حمزة البصري التميمي ، تحقيق الشـيخ محمـد حسـن آل يسـين ، دار مكتبـة الهلال ، ط١، ١٤٢١ه _٢٠٠٠م : ص٢٣٥ .

(٢) تمام المتون : ص١٤٠ . البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١، ص٥١٥ .

(٣): مروان بن يحي "أبي الجنوب" بن مروان ابن سليمان بن يحي بـن أبـي حفصـة ، كنيتـه أبـو السمط، ويلقب بـ"غبار العسكر" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧، ص ٢٠٩.

(٤) تمام المتون : ص١٨٢.

قال بكر بن حماد[1] يرثي الإمام علي كرم الله وجهه:

وكان في الحرب سيفاً ماضياًذكراًليثاً إذا لقي الأقرانُ أقرانا[2]

ففي قوله: "وكان في الحرب سيفاً" ، تشبيه بليغ ، جاء على صورة الحال وصاحبها ، حيث شبه الإمام علي كرم الله وجهه في الحرب حينما يلاقي الفرسان ، ويحمي الوطيس ، بالسيف الماضي القاطع ، وشبهه أيضاً بالأسد الجسور.وقال الصفدي مستشهداً ببيت شاعر لم يذكر اسمه يقول:

لا عهد لي بغارة مثل السيللا ينجلي قتامها حتى الليل[3]

حيث شبه الجيش المغير في كثافته واندفاعه بالسيل، المشبه هنا الغارة ، والمشبه به السيل ، ووجه الشبه هو قوة الاندفاع ، وأداة الشبه مثل .

وتشبيه الجيش بالسيل شائع عند العرب ، يقول: المفضل النكري[4]:

وجاءوا عارضاً بَرَداً وجئنا كمثل السبيل ضاق به الطريق

حيث شبه الأعداء بالسحاب الكثيف ، وشبه جيشهم بالسيل ، والسيل بالطبع أقوى من السحاب ؛ لأنّه يدفع كل من يقف أمامه.

قال ابن الرومي[5]:

وحديثها السحر الحلال لو أنّه لم يجن قتل المسلم المتحرز[6]

---

(١) بكر بن حماد بن سمك الزناتي : شاعر عالم بالحديث . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٦٣ .

(٢) تمام المتون : ص٢٠١.

(٣) المصدر السابق : ص٢٥. انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٢ ، ص٨٩ .

(٤) المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيبان ، فضلته قصيدته التي يقال لها المنصفة وأولها : ألم تر أنّ جيراننا استقلوا فنيتنا ونيتهم فريق . انظر : طبقات الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق دكتور عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ _١٩٩٧م : ص١٣٩_ ١٤٠ .

(٥)علي بن العباس بن الرومي أبو الحسن . انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٢١٩.

(٦) تمام المتون : ص٢٢٧ . انظر: ديوان ابن الرومي ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا،دار مكتبة الهلال ط١، ١٤١١هـ_١٩٩٠م : ج٣، ص٢٤٧ .

ففي قوله: "حديثها السحر الحلال" ، تشبيه بليغ ، حيث شبه حلاوة حديثها ، وجمال صوتها ومنطقها الرخيم بالسحر ، والسحر يجذب النفس إليه ، ولكنه استدرك فقال : السحر الحلال.قال الصفدي: قال أحدهم:

أحببت جمالاً كبدر الدجي يقول لما عاد عنه السفير[١]

شبه جمال محبوبته بالبدر ، وهذا من التشبيهات الشائعة غير المحصورة في البيان العربي ، حيث نجد الشعراء منذ العصر الجاهلي يشبهون المحبوب بالبدر ، بجامع الحسن والجمال وبينهما.

قال أبو فراس:

وما زالت رياح الشعر شتى فمن ريا الهبوب ومن سموم[٢]

وهذا تشبيه بليغ ، جاء على صورة المضاف والمضاف إليه ، أي : إضافة المشبه به إلى المشبه ، حيث شبه الشعر بالرياح.

قال صفي الدين الحلي[٣]:

فأستجل دراً أنت لجة بحرهوألبس ثناءً أنت ناسج برده[٤]

في قوله "أنت لجة بحره" ، تشبيه بليغ ، حيث شبه الممدوح بالبحر ، ووجه الشبه المحذوف أنّ الممدوح منه العطايا ، والبحر منه الجواهر والدرر.

قال أبو الطيب:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال[٥]

---

(١) تمام المتون : ص١٥٥.

(٢) المصدر السابق : ص٢٩٠.

(٣) عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم صفي الدين الحلي . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤، ص١٧_١٨.

(٤) تمام المتون : ص٣٠٣ . انظر : ديوان صفي الدين الحلي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط١٣٨٢هـ_١٩٦٢م : ص١٤٥.

(٥) تمام المتون : ص٢٩٣ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٣٧٣ .

شبه ذكر الفتى سواء أن كان بالخير أو بالشر بالنسبة للإنسان بالعمر الثاني له غير عمره الحقيقي ، كما شبه فضول العيش بالأشغال ، وكلا التشبيهين تشبيه بليغ.

قال أبو اسحق الغزي:

فشهب الدراري للأفول طلوعها وشهب القوافي ما لهن أفول[1]

والمعنى : أنّ الدراري _ يريد بها الأموال بأنواعها المختلفة _ مصيرها الأفول والزوال ، أما القوافي _ ويريد بها الأشعار _ فإنّها لا تغيب أبداً.

أولاً شبه الدراري بالشهب ، وشبه القوافي أيضاً بالشهب ، لبريقهما ولمعانيهما ، ولكن السحر والجمال يكمن في أنّ الأولى تغيب ، والثانية لا تغيب أبداً . وهو تشبيه بليغ ، جاء على صورة المفعول المطلق.

قال أبو الحسين الجزار:

ولقد كسوتك من قريضي حلة جلت عن التضييق والترقيع

حسنت برقم من خلالك فاغتدت

كالروض في التسهيم والتوسيع[2]

في قوله: "من قريضي حلة" تشبيه بليغ ، حيث شبه شعره الذي مدح به الممدوح في حسنه وبهائه ، وجمال ديباجته ، بالحلة الباهية الجميلة الواسعة . وفي قوله "كسوتك" من أجمل العبارات وأحلاها ؛ لأنه جعل الشعر مثل الحلة يكسى ويلبس ، وقد جاء التشبيه على صورة الحال وصاحبها، ولأنّ شعره ملئ بالألفاظ العذبة ، والمعاني البديعة ، شبهه أيضاً بالروض المليء بالدوح الظليل الوارف ، والزهر الجميل الناضر ، والجمال والحسن هو الصفة المشتركة والجامعة بينهما وهو تشبيه مرسل.

---

(١) تمام المتون : ص٢٩٣.

(٢) المصدر السابق : ص٢٩٣.

قال ابن حيوس:

ولئن شعرت فإنّ أيسر ما أرى مـن مـآثراتك ينطق الجلمـودا

وألفيتهـن جواهــراً منثــورة وعلى القوافي أن يصرن عقودا[1]

في قوله: " ألفيتهن جواهراً منثورة " ، تشبيه بليغ ، شبه مآثر الممدوح وسجاياه الحميدة بالجواهر المنثورة ، ووجه الشبه المحذوف هو أنّ كلاهما ثمين وغالي ونفيس . كما شبه أيضاً قصائده التي مدحه بها في حسنها وجمالها ونفاستها بالعقود ، والجامع بينهما الغاية القصوى في الحسن ، وكلا التشبيهين تشبيه بليغ ، جاء أيضاً على صورة الحال وصاحبها.

واستشهد الصفدي أيضاً بقول النبي ﷺ: " إنّ مِنْ أُمَتِي لَرِجَالاً الإِيمَانُ أَثْبَتُ فِي قُلُوْبِهِمْ مِنْ الجِبَالِ الرَّوَاسِي"[2].

شبه ﷺ ثبات ورسوخ الإيمان في قلوب هؤلاء الرجال من أمته المباركة ، بثبات الجبال الرواسي الراسخات أو أشد . وهو تشبيه بليغ.

وقال الصفدي : "ومن كلام الحكماء: الغريب كالفرس الذي زايل أرضه ، وفقد شِربه"[3].

شبه الإنسان الغريب عن بلاده ووطنه ، وفقد العطف والحنان من أهله ، وهو مشتاق لرؤيتهم ، بالفرس البعيد عن أرضه ، وهو بأرض لم يألفها ، وفقد شِربه . وهذا تشبيه مرسل.

---

(١) تمام المتون : ص٣٠٣ . انظر : ديوان ابن حيوس : ج١، ص١٧١ . والشطر الأول ورد في الديوان: ولئن نطقت فإن أيسر ما أرى .

(٢) تمام المتون : ص٣٢٠ .انظر : كنز العمال ، لعلاء الدين على بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، تحقيق الشيخ بكري حياتي _ صفوت السقا ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، شارع سوريا ، ١٤٠٩هـ_١٩٨٩م : ج١٢ ، ص١٨٢ .

(٣) تمام المتون : ص٣٢١.

قال أبو تمام:

إنّما البشْر روضة فإذا كان ببذل فروضه وغدير[1]

شبه الشاعر استقبال الضيف ببشر وبشاشة وترحاب ، بالروضة (الحديقة)؛ لأنّ كليهما يبعث في النفس السرور والبهجة وهذا هو وجه الشبه ، وشبه البشر والبشاشة مع بذل العطاء له ، ومنحه الهبات بالروضة ومعها غدير الماء . وكلا التشبيهين تشبيه بليغ .

(١) تمام المتون : ص٣٢٦ .

المبحث الثاني
تشبيه التمثيل

١) قال ابن زيدون:**"وأكون كالذُبالة المنصوبة تضي للناس وهي تحترق"**[١].

شبه الشاعر نفسه وهو يخدم الملك ابن جهور ، وقد كان من أحسن خلصائه ، ومع ذلك يسجن ويطرد ولا يجد فائدة من إخلاصه ، ولا يجني ثمرة خدمته ، بينما يستفيد ويقترب الآخرون بالذُبالة ، أي: الفتيلة المنصوبة التي تضئ للآخرين ويستفيدون من نورها بينما هي تحترق. فهذا تشبيه تمثيل لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد صور ، وهي وجود شيء يفيد الآخرين ولا يستفيد منهم ، وهذا يشبه قول العباس بن الأحنف[٢]:

أحـرم منك ما أقول وقد نال به العاشقون ما عشقوا
صرت كأنّي ذُبالة نصبت تضىء للناس وهي تحتــرق[٣]

شبه الشاعر نفسه وهو محروم من وصال حبيبته منقطع عنها ، بينما نجد بقية العشاق لا يحرمون من الوصال ، شبه هذه الهيئة والصورة بصورة أخرى وهي صورة الذُبالة المنصوبة التي تضىء للناس وهم منتفعونمن ضوئها ، وهي لا تستفيد منه بل تحترق. ويعد هذا من أفضلأنواع التشبيه .

قال الصفدي : "قال : الرياشي : وقد ذُكر عنده العباس بن الأحنف : والله لو لم يقل إلا هذين البيتين لكفاه"[٤].

---

(١) تمام المتون : ص٣٠٥.

(٢) العباس بن الأحنف ، من بني حنيفة ويكنى أبا الفضل : كان ظريفاً كيساً ، حلو النادرة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١١ ، ص٤٠٠ .

(٣) تمام المتون : ص٣٠٦ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٠٦ .

وهذا المعنى : أقصد التشبيه بالذُبالة أخذه شعراء كثيرون ، والصفدي يفاضل بين هؤلاء الشعراء في أقوالهم ، ولكنّه يفضل ابن المظفر محمد بن عليّ الواعظ الدوري[1] يقول: وما أحسن ما قاله ابن المظفر محمد بن عليّ بن الواعظ الـدوري:

يتوب علي يدي قوم عصاة أخافتهم من البــاري ذنـوب
وقلبي مظلم من طول ما قد جنى فأنـا عـلى يد من أتوب
كـأنّي شمعة مـا بيــن قـوم تضيء لهـم ويحرقهـا اللهيب
كأنّي مخيط يكســو أنـاسـاًوجسمي من ملابسهم سليب[2]

فالعصاة يتوبون من ذنوبهم على يديه ، وهو يرتكب الذنوب ، ويتساءل من الذي يمكن أن يتوب على يده؟ فهو يشبه حالته التي يفيد فيها الناس ولا يستفيد هو بالشمعة التي تضئ الطريق للقوم وتحترق هي ، كما شبهها أيضاً بالمخيط (الإبرة)يكسو الناس ملابسهم وجسمه عارياً، وهذا من أجمل تشبيهات التمثيل ، لأنّ الشاعر شبه صورة واقعية أمامه بصورة تخيلها ، وهي تحكي نفس المشهد الماثل أمامه . وهذه المعاني التي ذكرها الشعراء جميعاً مأخوذة من قوله ﷺ: (العَالِمُ بِغَيْرِ عَمَلٍ كَالمِصْبَاحِ يَحْرِقُ نَفْسَهُ وَيُضِيءُ لِلنَّاسِ)[3].

شبه النبي ﷺحال العالم الذي يعلم الناس ويرشدهم للطريق المستقيم ، ولكنّه لا يعمل بعلمه ، بحال المصباح الذي يضئ للناس ويحرق نفسه . ووجه الشبه هو وجود شيء مفيد لغيره غير مفيد لنفسه .

---

(١) محمد بن علي بن نصر أبو المظفر الدوري : الواعظ ، سمع الحديث الكثير ، وقرأ الفقه والأدب ، وحفظ المجالس . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ، ص٦٢ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٠٦ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ، ص٦٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٠٧ . انظر: كنز العمال ، للمتقي الهندي : ج١٠، ص٢١٠.

وهذا الحديث الشريف يشابه في معناه قوله ﷺ أيضاً:

"مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ"[1].

٢) قال ابن زيدون: **"تم ما قِران السعد للكواكب أبهي أثراً ، ولا أسنى خطراً ، من اقتران غني النفس به ، وانتظامها نسقاً معه"**[2].

يقول الصفدي : وأما قول ابن زيدون رحمه الله تعالى : **"ثم ما قران السعد للكواكب أبهي أثراً"** : مأخوذ من قول أبي الفتح البستي[3]:

وأتم الأشياء نوراً وحسناً بكـــر شكرٍ زوجت إلى صهر برٍ

ما قران السعدين في الجو أبهـىمنظراً من قران برٍ وشكرٍ[4]

قارن وماثل بين الجمال والحسن الكامل في زفاف فتاة بكر من الشكر ، إلى صهرٍ من بر وإحسان ، شبه هذه الصورة الجميلة بصورة قران السعد للكواكب وما فيها من حسن وتفاؤل . فوجه الشبه هو اجتماع شيئين كلاهما حسن وجميل، والشيئين في الصورة الأولى هي "بكر شكر زفت إلى صهر بر" ، والصورة الأخرى هي : "قران السعدين" فقران الكواكب اجتماعهما وفيه تفاؤل ؛ لأن السعد بمعنى اليمن والنعمة والخير وهو ضد الشقاء ، فوجه الشبه منتزع من متعدد صور .

٣) قال ابن زيدون : **"فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به"**[5].

---

(١) تمام المتون : ص٣٠٧. انظر : كنز العمال ، للمتقي الهندي : ج١٠ ، ص١٨٦.

(٢) تمام المتون : ص٣٢٢.

(٣) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف ، أبو الفتح البستي : شاعر عصره، وكاتب ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤، ص٣٢٦.

(٤) تمام المتون ، ص٣٢٢ . انظر : يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج٤ ، ص٢٣٤ .

(٥) تمام المتون : ص٤٥.

قال أكثم بن صيفي[1]: "ومن فسدت بطانته كان كمن غص بالماء"[2].

يقول الصفدي معلقاً على حديث أكثم بن صيفي : "لأنّ الغاص بالطعام يرجع إلى الماء ، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له ، فكذلك بطانة الرجل وأهله إذا خانوه فسد حاله"[3].

شبه الحاكم صاحب البطانة الفاسدة بالذي يغص بالماء ، وهو تشبيه صورة بصورة ، أو هيئة بهيئة ، حيث شبه صورة الوالي وحوله بطانته والضرر والمصائب تأتي منهم ، وهم الذين عينهم وقربهم لحمايته والدفاع عنه، والمصائب أصلاً تأتي من الأعداء الأباعد ، بصورة الإنسان الذي غصه الماء ، لأن الغاص بالطعام يرجع إلى الماء ، وهو الأقرب إليه .

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس: ٢٤].

حيث شبه حال الدنيا في سرعة زوالها ، وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه بعدما ألتف وتكاثف وزينت الأرض . وهو أيضاً تشبيه صورة بصورة[4]. ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو وجود شيء له بريق ولمعان ولكنه يزول وينطفي سريعاً.

---

(١) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث التميمي : حكيم العرب في الجاهلية أدرك الإسلام ولم ير النبي ﷺ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٦ .

(٢) تمام المتون : ص ٤٨ . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص٦ .

(٣) تمام المتون : ص ٤٨ .

(٤) المثل السائر ، لابن الأثير : ج١، ص٣٨٧.

قال الشريف الرضي[1]:

يقول رم تلق الذي أنت طـالب فإن العواقي دونـــه والمهـــالك

وكم سعي ساع جر حتفاً لنفسه

ولولا الخطأ ما شاك ذا الرِجْل شائك[2]

شبه الشريف الرضي من يسعى لتحقيق ما يرومه في حياته مـن مجـد وسمو ومعالي ، ويجد دون ذلك صعاب وأمام هدفه ومرماه الذي يريده جبال وعرة وطرق شائكة ومخيفة ربما أدت إلى هلاكه وموته . شبه هذه الحالة بحالة الذي يسعى ويقوده سعيه للموت ، ووجه الشبه وجود شيء نفيس وغالي ولكن تحقيقه قد يؤدي إلى الموت. أراد أن يقول : أنّ من يسعى لتحقيق ما تصبو إليه نفسه تقف أمامه عقبات صعاب . والذي لا يسعي ولا يبارح مكانه لا يصيبه أذي ، فالرِجْل إذا لم تسع لن تصاب بأذي ، فالشائك الذي شاكها كان بسبب الخُطي .

وقال إبراهيم بن المدبر وقد حبس:

وما أنا إلا كالجـــواد يصونه مقومه للسبق في طي مضمار

أو كالدرة الزهراء في قعر لجة فلا تجتلي إلا بهول وأخطـار[3]

شبه الشاعر نفسه وهو محبوس في السجن ، والسجن يزيده قوة وثباتاً وسمواً بعد ما خرج منه بالجواد الذي يحبسه صاحبه ويصونه ويهتم بتربيته حتى يخرج للسباق وهو أقوى وأشد وسابق لغيره من الخيول . وشبهها أيضاً بالدرة البيضـاء الثمينة تكون محبوسة في قـاع البحر ، ولكن حينما تستخرج

---

(١)محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن الشريف الرضي العلوى الحسيني الموسوى : أشعر الطالبيين على كثرة المجيدين منهم . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج٦، ص٩٩.

(٢) تمام المتون : ٤٩ . انظر : ديوان الشريف الرضي لمصنفة أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى، وزارة الإرشاد الإسلامية إيران ، ط١ ، رجب ١٤٠٦هـ : ج٢، ص ١١٠.

(٣) تمام المتون : ص٧١ .

تكون أغلى وأثمن . وهذا تشبيه تمثيل ووجه الشبه منتزع من متعدد صور وهو وجود شيء محبوس بعيد عن أعين الناظرين ، ولكن حينما يظهر ويبدو يكون أفضل وأحسن.

قال أبو الطيب:

وما أنا غير سهم في هواء يعود ولم يجد فيه امتساكا[1]

شبه الشاعر نفسه في خروجه عن بلده وعودته مرة أخرى بدون فائدة ، بالسهم الذي يرسل في الهواء ثم يعود مرة أخرى من غير فائدة.

يقول الصفدي: "وقد اختلف أهل النظر في هذا الموضوع فقال قوم : إنّ السهم والحجر وغيرهما إذا رمي به وصعد وتناهي صعوده كان له في آخر صعوده لبثه ثم يتصوب منحدراً وقال آخرون : لا لبث له هناك وإنّما أول وقت حدوره وأخر وقت صعوده والأول ذهب إليه الرئيس أبو علي بن سينا وقد أوضحت هذا في شرح لامية العجم في قوله : "والدهر يعكس آمالي"...البيت"[2].

وسواء لبث السهم أو الحجر مدة في الهواء أو لم يلبث ، فلن يأتي بفائدة ما دام إرساله كان في الهواء ، وهذا ما أراده أبو الطيب.

وقال الصفدي:

قنعت بالعود إلى منزلـي وذلك دأب المـرء في خيبته

كالحجر الملقي إلى صاعد ليس له هم سـوى عودته[3]

شبه الشاعر خروجه من منزله وعودته إليه مرة أخرى دون فائدة بالحجـر الذي يلقي إلى أعلى ولا خيـار أمـامه سـوى العودة إلى الأرض دون

---

(١) تمام المتون : ص٧١ . انظر: ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٤٤١ .

(٢) تمام المتون : ص٣٧٢.

(٣) المصدر السابق : ص٣٧١.

فائدة ، فالشاعر شبه صورته وهو عائد إلى منزله دون فائدة بصورة الحجر الذييصعد ثم يعود لمكانه مرة أخرى . وهذا تشبيه تمثيل ووجه الشبه صورة شيء يرتفع إلى أعلى ثم يعود من حيث أتى ، ولكن ليس كل من يخرج من منزله ثم يعود إليه يعود خائباً من غير فائدة فهناك كثير من الناس يغيبون عن ديارهم ، ثم يعودون وهم غائمون رابحون كاسبون.

ويقول الصفدي : إنّه أخذ هذا المعنى من بيت أبي الطيب السابق هذا في مجال تشبيه الحالة ووجه الشبه المأخوذ من عدة صور.

أما من ناحية المعنى فقد أخذه من قول أمرئ القيس[1] "رضيت من الغنيمة بالإياب" ، وقد أكد الصفدي هذا بقوله : "وقلت أنا في معني قول أمرئ القيس : "وقنعت من الغنيمة بالإياب"[2].

قال كمال الدين بن النَّبيه[3]:

ألم ترني بين السماطين منشداً كأنّي على شاه أرمن أنثر الدرا[4]

شبه الشاعر نفسه وهو بين السماطين في قصر الملك ينشد شعره السامي كأنّه هو واقف على شاه أرمن ينثر الدرا ، فهذا تشبيه حالة يراها أمامه بحالة يتخيلها. في الحالة الأولى وقوفه أمام الممدوح ينشد هذا الشعر والحالة الثانية وقوفه ينثر الدرا ، فهنالك وجه شبه بين وقوفه ينشد ، وقوفه ينثر ، ووجه شبه بين شعره البديع وبين الدر الثمين ، ولما كان وجه الشبه فيه

---

(١)امرؤ القيس بن حجر الكندي من أهل نجد ، من الطبقة الأولى ، قال لبيد بن ربيعة : أشعر الناس ذو القروح ، يعني امرأ القيس . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص٥٥ .

(٢) تمام المتون : ص٣٧١.

(٣)علي بن محمد بن الحسن بن يوسف أبو الحسن كمال الدين بن النبيه:شاعر من أهل مصر ، مدح الأيوبيين ، وتولي ديوان الإنشاء . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤، ص٣٣١.

(٤) تمام المتون : ص ٢٨٤ . انظر : ديوان ابن النبيه المصري، تحقيق عمر محمد الأسعد،دار الفكر،ط١، يناير ١٩٦٩م : ص٢٩١.

صورة منتزعة من متعدد كان التشبيه تشبيه تمثيل.

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي:

دع الحرص وأقنع بالكفاف من الغنى

فرزق الفتى ما عاش عنه بعيشـــه

وقد يهلك الإنسان كثــرة مــاله

كما يذبح الطاوؤس من أجل ريشه[1]

وهذا تشبيه تمثيل المشبه صورة الإنسان الغني صاحب الأموال الكثيرة والذي يقتله اللصوص من أجل ماله طمعاً ، فيكون المال سبباً في هلاكه فهو لم يقتنع ، طمع وأمَّل وأراد الزيادة فهلك . والمشبه به هو صورة الطاوؤس الذي يخرج متبختراً بجمال ريشه فيذبح طمعاً في ريشه ويكون الريش سبباً في ذبحه ، ووجه الشبه وجود شيء جميل حسن يؤدي إلى هلاك صاحبه ، فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد.

وغرض الشاعر تحذير الناس من الطمع والجشع والتطلع وراء الآمال والطموحات الكبيرة التي تؤدي إلى الهلاك . ويستشهد الصفدي بحديث الأصمعي[2]. يقول : "وقال الأصمعي: سمعت إعرابياً يقول : إنّ الآمال قطعت أعناق الرجال كالسراب غر من رآه وأخلف من رجاه"[3]. يقول الصفدي أيضاً : وفي المثل : الطمع الكاذب يدق الرقبة"[4].

---

(١) تمام المتون : ص٣١٥ . انظر : يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج٤ ، ص٢٩٤ .

(٢)عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٤، ص ١٦٢ .

(٣) تمام المتون : ص٣١٤.

(٤) المصدر نفسه : ص٣١٦.

المبحث الثالث
التشبيه الضمني

١) يقول ابن زيدون: **"ومشرفي ألصقه في الأرض صاقله ، وسمهري عرضه على النار مثقفه"**[١].

ويشرح الصفدي هذا بقوله : "أنا سيف وضعه على النار من يجلوه من الصدأ ، وإن كان محمله على الكتف ، ورمح عرضه على النار مقومه وذلك لمصلحة تعود على السيف والرمح فما أعد ذلك شيئاً غريباً"[٢].

ومن الشواهد التي تتناول هذا المعنى وفيها تشبيهات ضمنية ، استشهد بها الصفدي قول ابن سناء الملك:

جاريت هذا الدهر لكن ما وجدت عليه نصرا
من أجل حربي قد أعدّ وقد أحدّ شَبَـاً وظفـراً
والقوس يحني والمهنـد ينتضى والسهم يبرى[٣]

وقول القاضي أبو الفتح نصر بن سيار الهرمزي السهرودي[٤]:

عزاءك إنّ حبست فليـس عيبا فتلك الراح تحبـس في الدنان
وهـذا الورد قـد يـزداد طيـبـاً إذا حبسـته أطــراف البنــان
وضربك إن ضربت فليس عاراً كما قد يضرب السيف اليماني
ومثلك مـن تعـانده الليـــالي وتجمـع نحــوه نوب الزمــان[٥]

---

(١) تمام المتون : ص٦٧.

(٢) المصدر السابق : ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٩ . انظر : ديوان ابن سناء الملك : ج٢، ص٥٤٣.

(٤)نصر بن سيار القاضي أبو الفتح الأسدي السهرودي: قال الباخرزي له شعر كاسم ابيـه بحـوافر الاجادة سيار ، وبقوادم الاصابة طيار . انظر : دمية القصر ، للباخرزي : ص٣٢١.

(٥) تمام المتون : ص٧٠ .

يقول الشاعر: "ليس عيباً أن تحبس في السجن فالسجن يزيدك قوة وبهاءً وهذا هو المشبه ، ثم أتى بأكثر من مشبه به ليؤكد به صحة المشبه ، وهو أنّ الخمر تكون معتقة حين تحبس في الدنان ، والورود حينما تحبس بين الأطراف تزداد عبقاً وطيباً ، ووجه الشبه جاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء محبوس والحبس لا يزيده إلا حسناً.

وفي البيت الثالث تشبيه ضمني آخر حيث يقول له : ليس عيباً أن تضرب فالضرب لا يزيدك إلا ثباتاً وعزيمة وإصراراً ، والدليل على ذلك أنّ الضرب يفيد السيف ويزيده ألقاً وورنقاً وقوة.

٢) قال ابن زيدون:**"هذا العتب محمود عواقبه"**[١].

ومعنى هذا أنّ عتابك _والخطاب لابن جهور من ابن زيدون _ يعود بالعواقب الحميدة ، والعواقب جمع عاقبة وهي آخر كل شيء . أي: أنّ لومك خاتمته وآخره خير.

يقول الصفدي معلقاً على حديث ابن زيدون السابق : "وهو يشير إلى قول أبي الطيب :

لعل عتبك محمود عواقبُــه وربما صحت الأجسام بالعلل

وهذا من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة بن حمدان ، وكان في نفس سيف الدولة بقية من موجدة عليه"[٢].

ومعنى هذا إنّ عتابك رغم ما فيه من مرارة وشدة إلا أنّ عاقبته محمودة غير مذمومة ، والأمراض على الرغم من أنّها تنهك الجسم وتؤلمه إلا أنّ بعضها تصح منه الأجسام.

---

(١) تمام المتون : ص٧٣.

(٢) المصدر السابق : ص٧٣ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٢٧٣.

في البيت تشبيه ضمني فالمشبه : العواقب المحمودة التي تأتي من جراء العتاب والعقاب ، والمشبه به : صحة الأجسام وسلامتها التي تأتي بعد الأسقام والعلل.

فالمشبه به جاء مؤكداً لصحة المشبه ، ووجه الشبه جاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء مؤلم يعود لصاحبه بالخير والصحة. وهذا البيت من الأبيات التي جرت مجرى المثل لما فيه من حكمة ووصف جميل.

٢) قال ابن زيدون : **"وهذه النَبْوَة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع"**[١].

شبه المصيبة التي ألمت به بالغمرة ، أي : الشدة التي تزول سريعاً ، وشبه النكبة التي أحلت به ، بسحابة الصيف التي تنقشع سريعاً أيضاً .

ومن اللطائف ما ذكره الصفدي وهو : "قال أبو حاتم : زعموا أن صبياً من العرب نظر إلى قوم يأكلون فأرادهم ، فجاء سيل فحال بينه وبينهم فألقي نفسه في الماء ثم جعل ينغط مرة ، ويرتفع مرة أخرى ، ويقول : "غمرات ينجلين" حتى تخلص ووصل إليهم[٢].

ومن التشبيهات الضمنية التي تدور حول هذا المعنى وذكرها الصفدي قول شرف الدين المبارك مستوفي أربل[٣]:

وما السجن إلا ظل بيت سكنته أُرَفَــه في أَفْيَــائه وأُنَعــم
فكم من طليق أَوْثق الذل نفسه وآخر مـأسور يُعـز ويكـرم

---

(١) تمام المتون : ص٧٤.

(٢) المصدر السابق : ص٧٥.

(٣)سليمان بن بَنَيمان بن أبي الجيش بن عبد الجبّار بن بنيمان شرف الدين المباركأبو الربيع الهمداني ثُمَّ الإربلي:أديب ، شاعر محسن ، سائر القول ، لَهُ نوادر. انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٠ ، ص٣٨٦ .

وقـد شحـذ الهندي وهـو مطبـق وقد ثقف الخطي وهو مقوم

ومـا هي إلا غمــرة ثم تنجــلي سريعـاً وألا نبوة تتصـرم[1]

شبه نفسه وهو في السجن ولكنه معزز ومكرم وحينما يخرج منه يخرج قوياً بالسيف الذي في غمده وقد شحذ أي : صار حاداً[2]. فالسيف في غمده أشد عزيمة وأقوى حداً منه وهو خارج الغمد . وكذلك الرمح يوضع في الثِقاف[3] فيصير مقوماً . وتشبيه نفسه بالسيف والرمح أتى ليؤكد صحة إسناد الحكم إلى المشبه.

قال أبو فراس الحمداني:

قد كنت عُدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منك بغيــر مـا أملتـه والمـرء يشـرق بالزلال البـارد[4]

يقول : إنّك كنت سلاحي الذي أسطو به على الأعداء ، ويدي وساعدي التي اعتمد عليها عند الشدة ، ولكنني رُميت من ناحيتك وأصابتني السهام من قِبلك ولا عجب فالإنسان قد يغص ويشرق من شرب الماء الزلال البارد . ففي البيت تشبيه ضمني والمشبه هو إصابة الإنسان بضرر من جهة كان لا يأتيه منها إلا الخير . والمشبه به : هو أن يشرق الإنسان بالماء الزلال الذي لا يؤمل أحد أنّه يشرق به ، والمشبه به هنا أكد صحة المشبه ، ووجه الشبه جاء مضمناً وهو حدوث ضرر من جهة لا يأتيك منها إلا النفع والفائدة والخير.

---

(١) تمام المتون : ص٧٥.

(٢)الشحذ : التحديد شحذ السكين والسيف ونحوهما يشحذه شحذا أحده بالمسن . لسان العرب ، لابن منظور : ج٣ ، ص٤٩٣ .

(٣)الثقاف : حديدةتكونمعالقوّاسوالرمَّاحيقومبهاالشيءالمعوج . لسان العرب ، لابن منظور : ج٩ ، ص١٩ .

(٤) تمام المتون : ص٤٦ . انظر: ديوان أبي فراس ، رواية ابن خالويه : ص٧٨.

ومثل هذا أيضاً قول أبي اسحق الغَزي :

مصاحبة المنى خطر وجهل وكم شَرَق تولد من زلال[1]

والمعنى أنّ مصاحبة الأماني والآمال والاعتماد عليها يقود للأخطار والمصائب وللجهل ، وهذا هو "المشبه"، مثلما الشرق قد يحدث من الماء الزلال ، وهو "المشبه به" ، فالمشبه به في الشطر الثاني جاء مؤكداً ومبرهناً على صحة المشبه في الشطر الأول.

ثم يأتي الصفدي بعد ذلك يعدد من الشواهد لتأكيد هذا المعنى السابق مثل :

قول ابن سناء الملك:

وإنّي لا خضر من ذكـــره فإني إلى كبدي أصطلي

وإني لأذكر منه الرضاب فأشرق بالبارد السلسل[2]

وقول ابن حيوس :

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي بما بذلوه عن ذل السؤال

وها أنا بعدهم في الناس أبغـي كريماً يشتري شكري بمال

أرى الأكـدار يشرق شـاربوهـا فوا شرقي من الماء الزلال[3]

قال الخطيب البغدادي[4]:

ولا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها ولا بلذة وقت عجلت فرحا

فالدهر أسرع شيء في تقلبـــه وفعله بين الخلق قد وضحـا

---

(١) تمام المتون : ص٤٦.

(٢) المصدر السابق : ص٤٦.

(٣) المصدر السابق : ص٤٧ . انظر : ديوان ابن حيوس : ج٢، ص٤٦٨.

(٤)أحمد بن علي بن ثابت ، أبوبكر الخطيب البغدادي الحافظ ، صاحب تاريخ بغداد . انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٤٩٧.

كم شاربـاً عســلاً فيه منيـته وكم تقلد سيفاً من به ذبحـا[1]

وهذا تشبيه ضمني ؛ حيث شبه الخطيب البغدادي صاحب الدنيا المبهور بزخرفها الكاذب ، وبلذتها الفانية ، وفرحتها العجلي ، وهو غافل لا يدري أنّ وراء هذه اللذة نكبة ومصيبة بالذي يشرب عسلاً ويحس باللذة ولا يدري أنّ هذا العسل سيكون سبباً في موته ، وأنّ هذه النشوة والفرحة سيعقبها موتاً . أو كالذي تقلد سيفاً ليحمي به نفسه فهو يحمله ويشعر بالزهو والفرح ، ولا يدري أنّه سيذبح بهذا السيف.

فالمشبه به جاء دليلاً وبرهاناً لتأكيد صحة المشبه ، ووجه الشبه جاء مضمناً وهو وجود شيء لذيذ وجميل تنجذب نحوه النفس ولكن تحدث بعده مصيبة .

ومن القصص التي تدور حول هذا المعنى ما ذكره الصفدي قال : "ذكر عند المتوكل أمر السيوف ، فقال بعض من حضر : يا أمير المؤمنين وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ، ليس له نظير فكتب يطلبه من البصرة ، فاشتراه بعشرة آلاف درهم وسر المتوكل به سروراً كثيراً ، وقال للفتح بن خاقان : أطلب لي غلاماً تثق بنجدته وشجاعته وأدفع إليه السيف ليكون واقفاً به على رأسي في كل يوم ما كنت جالساً ، فلم يتم المتوكل حديثهحتى دخل باغر التركي فدعا به المتوكل ودفع إليه السيف ، وأمره بما أراده منه وزاد مرتبته . قال البحتري : فوالله ما انتضاه باغر ولا سله إلا في قتله المتوكل على ما هو مشهور في واقعته مع المتوكل[2].

قال الباخرزي:

هي الآداب حلي غير أنّــي بحرفتها اضطررت إلى الصغار

---

(١) تمام المتون : ص٥١.

(٢) المصدر السابق : ص٥٢.

كذاك لمعصم الحسناء صبـر على ضيق الخناق من السـوار[1]

في البيتين تشبيه ضمني ، حيث يشبه الشاعر حاله رغم أنّه أديب وعالم إلا أنّه باحترافه للآداب مضطر إلى تصغير نفسه وإذلالها وسط ملوك وأمراء لا يعرفون قيمة الأدب، بمعصم الحسناء الذي حوله السوار ، فهو يشكو من ضيقه ، ولكنه مضطر إلى الصبر عليه . فالآداب قادت الشاعر للصبر على ضيق الخناق ، فالمشبه به جاء ليؤكد صحة المشبه ، ووجه الشبه هنا وجود شيء جميل يقود صاحبه إلى الألم والمشنقة .

قال ابن الساعاتي:

وما ابْيَضَّ وجه الخائض الحرب في الوغي

بصـارمه لو لا سواد القســـاطل

يزيد النضار الطلق بالنـــار رفعـــة

ويذهـــب بالتثقيـــف زيغ العوامل

وكـــذاك سيـــوف الهنـد يركبها الصدى

فتكســـبها حســـناً أكف الصياقل[2]

فالشاعر يثبت ويبرهن لنا بالدليل أنّ ابيضاض وجه المحارب في الوغي ما هو إلا من السواد الناتج من المعركة ، وذلك لأنّ النضار _وهو الذهب الخالص _ ترتفع قيمته وتزداد نضارته ويظهر ألقه وبهاؤه بالنار . وأيضاً سيوف الهند حينما تصدأ لا تكسب الحسن والبريق إلا بأكف الصياقل . وهنا طرفا التشبيه يلمحان لمحاً من طرف خفي ، لأنّ التشبيه غير مصرح به وإنّما يلمح ضمن الكلام وهذه من مزايا التشبيه الضمني .

---

(١) تمام المتون : ص٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ص٦٩.

قال أبو العلاء[1]:

فأضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقــل طفــل غــير محتلــم

فرب شــق برأس جـر منفعـة

وقس على شق رأس السهم والقلم[2]

يقول أبو العلاء : "إنّ ضرب الوليد لتأديبه حتى ولو أدى ذلك إلى شق رأسه ربما يأتي له بمنفعة وفائدة ، هذا هو المشبه ، ثم أتى بعد ذلك بالمشبه به ليؤكد به صحة المشبه ، فقال : إنّ الشق الذي في رأس السهم والقلم يعود على صاحبهما بالنفع والفائدة. والمعنى المستفاد هو : توجيه الأولاد على هذا المبدأ إن لم يكن بالوعظ فبالضرب ، فالقلم لا يصلح للكتابة إلا بعد شق رأسه.

قال أبو تمام:

يايهــا الملك النـــــائي برؤيـــته وجـوده لمراعـي جــوده كـثـب

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إنّ السماء ترجي حين تحتجب[3]

وضح الشاعر أنّه مؤمل ومنتظر لعطاء وكرم الممدوح رغم الحجاب الذي بينهما وهذا هو المشبه، ثم أتى بالمشبه به ليؤكد به صحة المشبه ، وهو أنّ السماء حينما تحتجب عن الناس بالسحب والغيوم يرجو الناس منها المطر والخير ، ووجه الشبه جـاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء لا

---

(١)أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعري، شاعر فيلسوف . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١، ص١٥٧.

(٢) تمام المتون : ص٧٣، انظر : لزوم ما لا يلزم مما يسبق حرف الوري لأبي العلاء المعري ، شرح وتحقيق د. كمال اليازجي ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢م : ج٢ ، ص٣٤٧. و في الديوان:اضرب وليدك وادله على رشد ولا تقل هو طفل دون محتلم

ورب شق برأس جر منفعة وقس على نفع شق الرأس في القلم

(٣) تمام المتون : ص ٧٩ . انظر: شرح ديوان أبي تمام ، للتبريزي : ج١، ص١٣٦.

تراه ولكنّه يأتي لك بالنفع والفائدة.

وهذه من المعاني الرائعة والحسنة التي ابتدعها أبو تمام يقول ابن الأثير[1]. في حديثه عن ابتداع المعاني وعن هذين البيتين : "وقد قيل إنّ أبا تمام أكثر الشعراء الآخرين ابتداعاً للمعاني وقد عُدَّت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى"[2]. وذلك لإبتداعه هنا معنى آخر لاحتجاب الملك.

وقريب من هذا قول ابن قلاقس[3]:

رب ضحك جنيته من عبوس ونعيم ألفيــته بيــن بؤس

وإذا ما السحاب قطب وجهاً كـان في طيه حيـاة النفوس[4]

يقول : ربما أكون عابساً مكفهر الوجه ومع ذلك يجد الضحك إليّ سبيلاً ، وربما أكون عائشاً في بؤس وأجد النعيم والسعادة في ذلك البؤس والفقر ، ولا عجب في ذلك فالسحاب إذا أسود وقطب وجهه نزل المطر فكثرت البركات . انظر إلى هذه الصورة البديعة في قوله : "وإذا ما السحاب قطب وجهاً" كيف اختارها بدلاً عن أسود السحاب وغيره من الألفاظ التي تحمل نفس المعنى ، ولكن الصورة التي اختارها الشاعر والتي فيها تشخيص تعد من أجمل الصور البلاغية . وقريب من هذا قوله أيضاً :

ولي رسم عليــك ولا دفاعلديك يصد عنه ولا مطــال

---

(١)نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، أبو الفتح، ضياء الدين ، ابن الاثير الجزري : وزير، من العلماء الكتاب المترسلين . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص٢٥.

(٢)المثل السائر ، لابن لأثير : ج٢، ص٦١.

(٣)نصر الله بن عبد الله بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي ، أبو الفتوح : شاعر نبيل . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٨ ، ص٢٤_٢٥.

(٤) تمام المتون : ص ٧٩ . انظر : ديوان ابن قلاقس ، تحقيق الدكتورة، سهام الفريح ، مكتبة المعلا ، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م : ص٤٥٤.

ولما أن تأخر طاب عيشاً فقد تستبطأ السحب الثقال

قال أبوبكر الخوارزمي:

وعليك بإظهار التجلد للعدا ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا

ألست ترى الريحان يشمم ناضرا ويطرح في الميضا إذا ما تغيرا[1]

في البيت تشبيه ضمني ، حيث نجد الشاعر يأمر المخاطب بإظهار التجلد والصبر أمام الأعداء ، ولا يظهر الضعف فيحتقره الناس ، وهذا هو المشبه ، ثم أتى بالمشبه به ليبرهن به على صحة المشبه ، وهو أن الريحان يشمم إذا كان ناضراً ، ويطرح ويهجر إذا تغير لونه ، فالشاعر لم يأتِ بالتشبيه صريحاً ولكنّه أتى به مضمناً ليؤكد أنّ صحة الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكناً.

يقول القاضي الفاضل:

لا تلن للخطوب وأصلب فمن لا ن توالي عليه قرع الخطوب

إن ضرب الحديد ما كان إلا حين أبدي لينا لحر اللهيب[2]

فالشاعر يؤكد أنّ من يلين ويضعف تنزل عليه المصائب ، وتتوالي عليه قرع الخطوب ، وتحل في داره الأهوال ، والدليل على ذلك أنّ الحديد يضرب إذا صار ليناً أمام النار .

قال البحتري:

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشى سقت حمزة الردى وموت على من حسام ابن ملجم[3]

---

(١) تمام المتون : ص٦٥ . انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج٢ ، ص٣٠٤ .

(٢) تمام المتون : ص٦٥ . انظر: شرح ديوان البحتري ، للفاخوري : ج٢ ، ص ٣٦٤ . وفي الديوان: وحتف علي في حسام بن ملجم.

(٣) تمام المتون : ص٢٠٢.

وهذا تشبيه ضمني فالمشبه : الكلاب التي تظفر بالأسود وتقتلها ، ثم أتى بالمشبه به ليؤكد به صحة المشبه ، وهو قتل وحشي لسيد الشهداء حمزة رضي لله عنه ، وقتل ابن ملجم للإمام على كرم الله وجهه ، وهذه صورة بديعة رائعة وهي تشبيه هذين السيدين الجليلين حمزة وعلي (رضي الله عنهما)بالأسود وتشبيه هذين بكلاب الحي[1] وكل هذا ليؤكد أنّه يمكن ويجوز للكلب أنّ يبطش بالأسد ، ولا عجب فوحشي وابن ملجم قتلا هذين الفارسين ، ووجه الشبه جاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء ضعيف حقير يهزم شيئاً قوياً عظيماً.قال حسان بن المصيصي الشبلي[2]:

وجـدت معاليك أهـلاً لشعــري وهل ينظم الدُر لولا النِصـاح

لك الفضل إن طاب شكري ونشري

بطيب الرياض تطيب الريـاح[3]

وهذا أيضاً تشبيه ضمني ، والمشبه هو جمال شعره في الممدوح وذلك في قوله : وجدت معاليك أصلاً لشعري" ثم أتى بالمشبه به ليؤكد صحة المشبه وهو أنّ الدُر لا يكون منظماً من غير النصاح أي من غير السلك الذي ينظم الخرز فكما أنّ شعره لا يصلح إلا على الممدوح ، كذلك الدُر لا يصلح إلا على النصاح ، لذا نجد أنّ الحكم الذي اسند إلى المشبه ممكناً.

قال ابن الشبل البغدادي[4]:

ملك تُعين المادحين صفــاته فيصيب قائلهم بغير تقوّل

---

(١) وهذا التشبيه على جماله وروعته لا يليق بوحشي لأنّه صحابي جليل .

(٢)حسان بن المصيصي من شلب ، أبو الوليد : الوزير الكاتب ، كان كاتب سر المعتمد وصاحب أكثر أمره . انظر : الذخيرة ، لابن بسام : القسم الثاني ، ج١ ، ص٤٣٣.

(٣) تمام المتون : ص٢٩٠. انظر : الذخيرة ، لابن بسام : القسم الثاني ، ج١ ، ص٤٤٥ .

(٤)محمد بن الحسين بن عبد الله بن الشبل البغدادي أبو علي : شاعر حكيم من أهل بغداد ، وكان ظريفاً نديماً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص١٠٠.

والسيف لولا جوهر في حده لم تبد منه فضيلة للصيقل[1]

وفي هذا البيت تشبيه ضمني حيث شبه الملك بالسيف . وقال : إنّ صفات الملك الحميدة ومكارمه تساعد الملحدين له حيث يأتون بالقول الصحيح من غير تكلف أو من غير مبالغة ، ثم أتى بالمشبه به ليكون برهاناً ودليلاً على المشبه ، فقال : إنّ السيف جوهره في حده ولولا هذا لم تظهر فضيلة الصيقل فحد السيف ساعد وأعان الصيقل على صقله.

قال صفي الدين الحلي:

فأستجلِ دراً أنت لجة بحره وألبس ثناءً أنت ناسج برده

يزداد حسناً كلما كررتـه كالتبر يظهر حسنه في نقده[2]

في البيت الثاني وضح الشاعر أن ثناءه ومديحه للمدوح يزداد حسناً وجمالاً كلما كرره وأعاده وهذا المشبه ، ولكي يؤكد صحة ما يقوله قال إنّ الذهب يظهر حسنه وجماله في نقده . وهو مثل قوله أيضاً:

لا فضل لي في نظامي در فضلكم بقيمة الدر لا بالسلك يعتبـر

لم تـزه صنعـته إلا بصنعـتكـم تزهي الخمائل أنَّى يهطل المطر[3]

يرى الشاعر أنّ فضائل الممدوح وهو ينظم هذا الدر أي : الشعر الذي يشبه الدر ويقول أنّ القيمة في الدر لا في السلك وهذا مشبه ، ثم أتى بالمشبه به ليبرهن به على صحة المشبه وهو أنّ الخمائل تزهي وتزدان بهطول الأمطار.

---

(١) تمام المتون : ص٣٠٠ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٠٣ . انظر : ديوان الصفي الحلي : ص١٤٥.

(٣) تمام المتون : ص٣٠٣ . انظر : ديوان الصفي الحلي : ص٢٠٥ . وفي الديوان:

لأفضل لي في نظامي در وصلكم بقيمة الدر لا بالسلك يعتبر

قال محمد بن الحداد المغربي[1]:

ومنك أخذنا القول فيك جلالة وما طاب ماء الورد إلا من الورد[2]

وهذا تشبيه ضمني ، حيث شبه أخذهم للقول من الممدوح وجمال وجلال القول مع جمال القائل وهو المشبه ، ثم أتى بالمشبه به ليدلل ويبرهن به على صحة المشبه فقال : وما طاب ماء الورد إلا من الورد أي : أنّ ماء الورد لا يكون طيباً إلا إذا أخذ من الورد.

قال ابن المنير الطرابلسي:

إذا الكريم رأي الخمول نزيله في منزل فالحزم أن يتحولا

كالبدر لما تضاءل جد في طلب الكمال فحازه متنقلاً[3]

وهذا تشبيه ضمني حيث شبه الكريم الذي يهجر منزل الخمول والانحطاط ، ويتحول إلى مكان أسمى وأرفع بالبدر الذي بدأ يتحول من كونه هلالاً ضيئلاً إلى بدر ساطع ، فهو أيضاً قد تحول إلى مكان أسمى وأرفع فالمشبه به جاء مؤكداً لصحة المشبه.

وقال أيضاً :

سفهاً لحلمك إن رضيت بمشرب رنق ورزق الله قد ملأ الفلا

فارق ترق كالسيف سل فبان في متنيه ما أخفي القراب وأخملاً[4]

وفيهأيضاً تشبيه ضمني ، المشبه وهو استقرار الإنسان في مكان واحد وهو خامل فقير ، وبعد فراقه لوطنه يجد الرزق الواسع والرفاهية ، والمشبه به

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن الحداد ، أبو عبد الله القيسي الأندلسي : شاعر مشهور له ديوان كبير . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١ ، ص٣٥٣ .

(٢) تمام المتون : ص٣٠٣.

(٣) المصدر السابق : ص٣١١ . انظر: ديوان الطرابلسي : ص٢ .

(٤)تمام المتون : ص٣١٢ . انظر: ديوان الطرابلسي : ص١٠٢ .

وجود السيف داخل غمده وهو مهمل لا ترى فائدته وحينما سل من غمده ظهر فضله وبان شرفه . يريد أن يؤكد أنّ الانتقال من مكان إلى آخر أفضل من الإقامة على الفقر والخمول ، فوجه الشبه وجود شيء خامل وفقير وحينما انتقل من مكانه صار معروفاً ومشهوراً.

وهذ يشبه قول الصفدي:

سافر تنل عزاً فما مسك الورى إلا دم في سـرة الغـزلان

والرمح لما فارق الوطن اغتدى بذؤابة خفقت وتاج سنان[1]

وهو أيضاً تشبيه ضمني يؤكد نفس المعنى السابق وهو فائدة الانتقال والسفر وعدم الاستقرار في مكان واحد . وللصفدي عدة أبيات من شعره تحمل نفس هذا المعنى منها قوله:

سافر تنل رتب المفاخر والعـــلاكالدر سار فصار في التيجان

وكذا هلال الأفق لو ترك السرىمـا فـارقته معرة النقصـــان[2]

حيث شبه حال الذي يسافر فينال المجد والمعالي بحال الدر ينقل من مكانه فيكون في تيجان الملوك ، فالحال الأولى هي المشبه ، والحال الثانية هي المشبه به ، وهما لم يوضعا في صورة من صور التشبيه الصريحة بل يلمحان في التركيب ووجه الشبه هو ازدياد جمال الشيء بعد انتقاله من مكان لآخر. ومثله أيضاً قوله:

سافر فإن الليث لما غاب عن غابٍ حواه أشبـــع الأشبالا

والسيف لو لزم المقام بجفنه مـا راع أعداء وراق صقالا[3]

---

(١) تمام المتون : ص٣١٣. انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج٢ ، ١١٢ .

(٢) تمام المتون : ص٣١٣. انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج٢ ، ١١٢ .

(٣) تمام المتون : ص٣١٣.

والصفدي يأتي هنا بأمثلة من عنده يؤكد نفس المعني السابق ، وهو أنّ الفائدة والخير والسعادة في الانتقال من مكان لآخر وهي افضل من الإقامة في بلد علي الفقر والذل والهوان ، ويؤكد هذا المعنى بقوله : إنّ الأسد إذا لم يترك أشباله ويخرج من عرينه لن يستطيع إطعامهم. والسيف لو لم يخرج من غمده وقِرابه لن تهابه الأعداء ، والبدر لو لم ينتقل من مكانه لأبصره الناس هلالاً .

وهذه المعاني كلها تؤكد الفوائد التي يجنيها الإنسان من سفره ، ووجه الشبه جاء أيضاً مضمناً لأنّ التشبيه كلما دق وخفي كان أفضل وأبلغ أثراً في النفس ، وهذه المعاني على الرغم من أنّ الشعراء طرقوها كثيراً ولكنها بديعة وبليغة .

الفصل الثاني: المجاز اللغوي.

المبحث الأول: الاستعارة التصريحية .

المبحث الثاني: الاستعارة المكنية .

المبحث الثالث: الاستعارة التمثيلية

المبحث الرابع: المجاز المرسل والعقلي .

المجاز اللغوي
الاستعارة

تعريفها :

عرفها البلاغيون بأنها كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. يقول أبو هلال العسكري : " الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ"[١]. يقول الجرجاني : "إنّ الإستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوى معروفاً تدل الشواهد على أنّه اختُص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هنالك كالعارية"[٢]. ويقول أيضاً : "فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجئ إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً"[٣].

وقال ابن أبي الأصبع المصري معرفاً الاستعارة: "هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي : كقول الله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وكقوله سبحانه: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾وكقوله عزوجل:﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ ولابد في الاستعارة من اعتبار ثلاثة

---

(١)الصناعتين ، للعسكري : ص٢٧٤ .

(٢)أسرار البلاغة ، للجرجاني : ص٤١ .

(٣) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص٦٧.

أشياء أصول مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار في الآية الأخيرة الاشتعال ، والمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار لبياض الشيب ، وحكمته وصف ما هو أخفي بالتشبيه لما هو أظهر"[1].

وتنقسم الإستعارة إلى:

أ) **تصريحية**: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه . كقول المتنبي:

وأقبل يمشى في البساط فما دري

إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي[2]

شبه سيف الدولة أمير حلب بالبحر ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه سيف الدولة بجامع العطاء في كلٍ ، علي سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة "فأقبل يمشى" . وشبهه في الشطر الثاني بالبدر ، بجامع الرفعة والسمو ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، على سبيل الإستعارة التصريحية ، والقرينة "فأقبل يمشى". والمعنى: أقبل رسول الروم يمشي إلى الأمير سيف الدولة بين السماطين ، فغشيته الهيبة ، فاحتار إلى البحر يذهب أم إلى البدر يصعد، لعظم ماشاهد ورأى من جلال الممدوح .

ب) **مكنية**:وهي ما حذف منها لفظ المشبهبه ، ورمز له بشيء منلوازمه ليدل عليه . كقول الشاعر:

لا تعجبي يا سَلمُ من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي[3]

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثروبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الأصبع زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المصري ، تحقيق دكتور حنفي محمد شرف، أشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ، طبعة القاهرة، ١٣٨٣هـ : ج٢، ص٩٨.

(٢) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٣ ، ص٥٦ .

(٣) ديوان دعبل الخزاعي : ص٢٤٩.

شبه المشيب بإنسان وحذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بشيء منلوازمه ، على سبيل الإستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الضحك للمشيب. ومنها أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[مريم: ٤] . حيث شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر باشتعال النار ، وحذف المشبه به النار ورمز له بشيء من لوازمه "الاشتعال" ، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس[١].

ج) **الاستعارة التمثيلية**:عرفها البلاغيون بأنّها تركيب مجازي استعمل في غير معناه الحقيقي ، والعلاقة بين معناه الحقيقي ومعناه المجازي المشابهة، وكل من المشبه والمشبه به في الإستعارة التمثيلية صورة مركبة تتألف من أجزاء متعددة ، حيث يحذف المشبه وتنقل صورة المشبه به إليه، وتكون القرينة المانعة من إرادة المعني الأصلى في الاستعارة التمثيلية حالية. والاستعارة التمثيلية إذا استعملت كثيراً تحولت إلى مثل شاع استعماله بين الناس .

مثل قولهم: "قطعت جهيزة قول كل خطيب"[٢] وهو تركيب يتمثل به في كل موطن يؤتي فيه بالقول الفصل .

وقول أبي الطيب :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا[٣]

---

(١) أساس البلاغة ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م : ص٢٣٢.

(٢) مجمع الأمثال ، للميداني : ج٢ ، ص٥٣ .

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري المسمي بـ"التبيان في شرح الديوان" وضع فهارسه مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان : ج٢، ص ٢٢٨.

هنا يوضح لنا حال المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مراً ، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى ، بل استعمله فيمن يعيبون شعره ، وينتقصون من قدره لقلة فهمهم ، وعدم قدرتهم على تذوق الشعر ، وضعف إدراكهم الأدبي ، وحسهم البلاغي، فالبيت فيه مجاز قرينته حالية ، والعلاقة علاقة مشابهة ، والمشبه هو حال الذين يذمون شعره ، والمشبه به هو حال المريض الذي يجد الماء الزلال مراً.

يقول الجرجاني: "لو كان سَلَك بالمعني الظاهر من العبارة كقولك : إنّ الجاهل الفاسد يتصور المعنى بغير صورته ، ويخيل إليه في الصواب أنّه خطأ، هل كنت تجد هذه الروعة"[1].

وهذه الاستعارة تسمي بالمجاز المركب ، وعلاقته المشابهة وذلك لأنّ المجازالمركب نوعان[2]:

أ) الاستعارة التمثيلية ، أو المجاز المركب الذي علاقته المشابهة .

ب) المجاز المركب الذي علاقته غير المشابهة ، ويسمى مجازاً مركباً مرسلاً ، مثل الخبر المستعمل في الإنشاء كقولنا: "رحمه الله" والمعنى "اللهم أرحمه" ومن الإنشاء المستعمل في الخبر كقوله ﷺ : (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"[3]. أي : يتبوأ فهو لا يأمر بدخول النار وإنّما سيقع. والإنشاء الذي خرج عن معناه الأصلى إلى معنى إنشائي آخر كقول امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوي بين الدخول فحومل[4]

---

(١) أسرار البلاغة ، للجرجاني : ص١٠٣ .

(٢) علم البيان ، للشيخ عثمان أبو النصر، مطبعة أبو الحسن ، نمرة ٦ ، ١٣٥٧هـ_ ١٩٣٨م : ص ١٦٣_ ١٦٤.

(٣) صحيح البخاري : ج١ ، ص٣٧ .

(٤) أشعر الشعراء الستة الجاهلين ، ليوسف سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتري ، شرح وتعليق دكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢١هـ _ ١٩٩٢م : ج١ ، ص٢٩ .

يقصد به الالتماس.

هذا ومن أجمل الاستعارات التي يجمل أن نذكرها هنا هي التي وردت في قول أبي الطيب المتنبي[1]:

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

في قوله: " ومن قصد البحر استقل السواقيا "أراد أن يقول إنّ من يذهب لكافور يستغنى عن غيره ، فيرسل العبارة كأنّها مثل ، ويصور لنا أنّ من قصد كافوراً ترك واستغني عن غيره من الملوك، كما أنّ قاصد البحر لا يهتم بالجداول ، فيعطينا استعارة تمثيلية لها روعة وفيها سحر وجمال ، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً ودليلاً على صدق دعواه ، وتؤيد الحال التي يدعيها . يقول المراغي: "فصور لك ما يلقاه قاصدوا ممدوحه من الغنى والثروة وأنّه من لا يبغي سواه ، كما أنّ من قصد البحر تأبى همته أن ينظر إلى الجداول والغدران . وهي استعارة تمثيلية لها أثرها من البهجة والجمال الذي تحس به وتتذوقه[2].

هذا وقد تباري العلماء في تقسيم الإستعارة إلى أكثر من ذلك ، أصلية وتبعية ، ومرشحة ومجردة ومطلقة ، وقد قسمها السكاكي باعتبار المستعار له والمستعار منه ، إلى خمسة أقسام[3]:

١) **استعارة محسوس لمحسوس في أمر محسوس**: مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ يقول السيوطي : المستعار النار ، والمستعار له الشيب

---

(١) شرح ديوان أبي الطيب لأبي لعلاء المعري "معجز أحمد"، تحقيق دكتور عبد المجيد دياب، ط٢، سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار المعارف : ج٤، ص ٢٤ .

(٢) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣١٦.

(٣) مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت : ص١٨٣.

والوجه الانبساط ومشابهة ضوء النار لضوء الشيب وكل ذلك محسوس[1].

٢) **استعارة محسوس لمحسوس للمشاركة في أمر عقلي**: مثل قوله تعالى :﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾[يس: ٣٧] ، يقول السيوطي: "المستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة ، والمستعار كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حسِيان والجامع ما يعقل من ترتيب أمر على آخر ، وحصوله عقب حصوله ، كترتب ظهور اللحم على الكشط ، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتيب على أمر عقلي"[2].

٣) **استعارة معقول لمعقول للمشاركة في أمر عقلي** : مثل قوله تعالى : ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾[يس: ٥٢]. يقول السيوطي: "المستعار منه الرقاد أي : النوم ، والمستعار له الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي"[3].

٤) **استعارة محسوس لمعقول للمشاركة في أمر عقلي**: كقوله تعالى : ﴿ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾[البقرة: ٢١٤]. يقول السيوطي : "استعير المس _ وهو حقيقة في الأجسام _ وهو محسوس ، لمقاسات الشدة ، والجامع اللحوق وهما عقليان"[4].

٥) استعارة معقول لمحسوس للمشاركة في أمر عقلي : مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، ط٢، ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م : ج٢، ص٥٢.

(٢)المصدر السابق: ج٢ ، ص٥٣.

(٣) المصدر السابق : ج٢ ، ص٥٣.

(٤)المصدر السابق : ج٢ ، ص٥٣.

لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾[الحاقة: ١١] . يقول السيوطي : "المستعار منه التكبر وهو عقلي ، والمستعار له كثرة ِالماء ، وهو حسي والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضاً"[١].

الاستعارة في كتاب تمام المتون

النصوص التي أوردها الصفدي في شرح الرسالة نجد الاستعارة فيها كغيرها من الفنون البلاغية متناثرة ، فحينما يورد نصاً يحوي استعارة وتعجبه يقول: "وهذه استعارة حسنة"[٢]، وأخرى تعجبه جداً فيقول: "وهذه من أجمل الاستعارات"[٣]. ويفاضل ويقارن بين استعارة وأخرى ، فيقول: "وأجمل من هذاقول الشاعر" أو "وما أحسن قول هذا الشاعر" ،"وذلك في غاية الحسن"[٤]. "وهذه استعارة جيدة"[٥].

هذا وسنورد هذه الاستعارت على ثلاثة أنواع هي:

- ❖ الاستعارة التصريحية.
- ❖ الاستعارة المكنية.
- ❖ الاستعارة التمثيلية.

---

(١)الإتقان ، للسيوطي : ج٢ ، ص٥٤.

(٢) تمام المتون : ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق : ص٢٩٠ .

(٤) المصدر السابق : ص٤٠.

(٥) المصدر السابق : ص٢٧٩.

المبحث الأول
الاستعارة التصريحية

١) قال ابن زيدون:"**إن سلبتني _أعزك الله _ لباس إنعامك ، وعطلتني من حلي إيناسك**"[١]

يقول الصفدي: "وقد استعار الاستلاب للباس ، والعطل للحلي ، وهي استعارة حسنة ، كأنّ إنعامه كان بمنزلة اللباس ، فارتجعه وسلبه ، وكأنّ إيناسه له ، كان بمنزلة الحلي له ، فعطله منه ، وترك جيده بلا قلادة عارياً من حلي الأُنس"[٢].

ومعنى حديث ابن زيدون أنّك أخذت مني ما أنعمت به علي من ملبس الإنعام ، وارتجعته مني وتركني بعيداً عنك ، لا استطيع الأنس معك ، مثل الجيد الذي أصبح عاطلاً من الحلي.

الاستعارة: شبه إنعام وإحسان الملك عليه باللباس ، وحذف المشبه "الإحسان" ، وصرح بلفظ المشبه به "اللباس" ، وشبه الإيناس بالحلي ، وحذف المشبه "الحلي" ، وصرح بلفظ المشبه به "إيناسك" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة في الاستعارة الأولى "سلبتني" ، وفي الثانية "عطلتني" ، لأن الاستلاب يستخدم للباس ، تقول سلبت الثياب إذا نزعتها واختلستها . يقول الصفدي: "إن أخذت مني ، واختلست ما كان لك عليّ من لباس الإنعام ، وتركتني عاطلاً من حلي أنسك بي ، وأنسي بك وهو الأولى"[٣]. يقول : "**واللبس**: ما يوارى الجسد . **والإنعام**: المنة واليد

---

(١) تمام المتون : ص٣٩.

(٢) المصدر السابق : ص٣٩.

(٣) المصدر السابق : ص٣٩.

.**والتعطيل**: خلو جيد المرأة من القلائد . يقال امرأة معطال إذا كانت عارية من الحلي"[1].

ومن تعليق الصفدي على قول ابن زيدون السابق نلاحظ اهتمامه بقيمة المبالغة في الاستعارة ،وشرط المناسبة فيما بين المستعار له والمستعار منه ، لما له من قيمة جمالية وفنية رائعة.

قال الإمام أبو الفضل طاهر بن الفقيه المحدث[2]:

أشـــارت إلـــى بعُنـــــابة مخضبة مـــن دم الأفئـــدة

وقالت: على العهد يا سيدي فقلت إلى الحشر يا سـيدة[3]

معني البيت أنّ محبوبة الشاعر أشارت إليه بطرف بنانها الذي يشبه العُنابة في لونه ، وكلاهما لونه أحمر.

ويربط الشاعر بين ألم الوجد والبين الذي يلاقيه الأحباب ، فكأنّ هذا الخضاب ليس من الحناء ، وإنّما من طعنها لقلوب الأحباب الذين يرومون الوصل بحبلها ولم ينالوه ، وهذه صورة شيقة وخيال خصب.

في قوله: "بعُنابة" استعارة تصريحية ، حيث شبه طرف البنان بالعنابة ، وحذف المشبه "طرف البنان" ، وصرح بلفظ المشبه به "عنابة" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، بجامع الحسن والجمال في كل ، والقرينة "مخضبة". وتشبيه أطراف البنان بالعناب كثير في الشعر . يقول الشاعر:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد[4]

---

(١) تمام المتون : ص٣٩.

(٢)طاهر بن بركات بن إبراهيم بن الفقيه ، أبو الفضل القرشي الدمشقي : الإمام المحدث . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١١ ، ص٢٥٧ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٦ .

(٤) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٢٤٦.

شبه الدمع باللؤلؤ ، والعين بالنرجس ، والخدود بالورد ، والبنان بالعناب ، والأسنان بالبَرَد ، وحذف فيها جميعاً المشبه ، وصرح بلفظ المشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية .والملاحظ هنا حذف المستعار له ، وهنا يكمن الحسن والإبداع ، فلو أنّه ذكر المستعار له لكان الكلام غثاء غير بليغ.

٢) قال ابن زيدون:**"وأظمأتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك"**[١].

والمعني أي : أظمأتني وأعطشتني إلى برود إغاثتك ، وطرحتني من كف حوزك . يقول الصفدي : " وقد استعار الظمأ وهو شدة العطش ، إلى برد الإسعاف . ونفض الكف من الإحاطة به والحوزة له ، وذلك في غاية الحسن "[٢].

وهذه استعارة تصريحية فالظمأ يكون للإنسان لا إلى برد الإسعاف ، حيث استعار لفظ "الظمأ" للاحتياجفقال : "وأظمأتني" بمعنى "أحوجتني" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾[الروم: ١٩] . فالإحياء هو إيجاد الروح ،وهو يناسب الحيوان لا الأرض . والذي يناسب الأرض هو "التزيين والأخضرار" ، فيُشبه حينئذ تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضارة ، بالأحياء في الحسن والانتفاع . ثم استعار لفظ "الإحياء" بعد التناسي والادعاء للتزيين ، ثم اشتق من الإحياء بمعني التزيين "يحي" بمعني "يزين" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

قال صفي الدين الحلي:

---

(١) تمام المتون : ص٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٠ .

استجل دراً أنت لجة بحره وألبس ثناء أنت ناسج برده

يزداد حسناً كلمـا كررتـهكالتبر يظهر حسنه في نقده[1]

في كلمة "در" استعارة تصريحية ، حيث شبه شعره بالدر ، بجامع الحسن والجمال ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو "الدر" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة "استجل" . وهو شبيه بقوله:

لا فضل لي في نظامي در فضلكم بقيمة الدر لا بالسلك يعتبر[2]

يتحدث الشاعر عن فضائل الممدوح وهو ينظم هذا الشعر الذي هو كالدر ، ولكن بحذفه للمشبه صار الحديث أبلغ ، أي : هو در . وهاتان استعارتان تصريحيتان حيث شبه شعره بالنظام ، وفضل وإحسان الممدوح بالدر ، وحذف المشبه الأول الشعر ، والمشبه الثاني الفضل، وصرح بلفظ المشبه به الأول ، والمشبه به الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية .

قال ابن التعاويذي[3] يمدح القاضي الفاضل:

فاستجل أبكـار المديح عرائسـاً أبدين زينتهن غير عواطـل

أبرزتهـن عـلى عـلاك سوافـراً وجعلتهن إلى نداك وسائلي

فأجلس لها وارفع حجابك دونها وأسمع إلى إنشادها وتطاولي

وأعرف لهـا تأميلهـا يا مـن يرى كرماً على المأمول حق الآمل[4]

---

(١) تمام المتون : ص٣٠٣. انظر : ديوان الصفي الحلي : ص١٤٥.

(٢) تمام المتون : ص٣٠٣ . انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٣، ص١٠٧ .

(٣)محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، أبو الفتح ابن التعاويذي: شاعر العراق في عصره ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها ، ولي بها الكتابة في ديوان المقاطعات ، وهو سبط الزاهد أبي محمد بن التعاويذي، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١، ص٢٦٠ .

(٤) تمام المتون : ص٢٦٧ . انظر : ديوان ابن التعاويذي ، تحقيق د. س. مرجليوث ، مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩٠٣م : ص٣٣٥.

في البيت الأول استعارة تصريحية في كلمة "عرائساً" ، حيث شبه قصائده بالعرائس بجامع الحسن والجمال في كلٍ ، وحذف المشبه "قصائده" ، وصرح بلفظ المشبه به "عرائساً" ، على سبيل الاستعارة التصريحية . ومثل هذا قول أحمد شوقي[١] في مدحه للنبي ﷺ:

لي في مديحك يا رسول عرائسٌ تُتَيَّمْنَ فيك وشاقهن جلاء[٢]

فهو أيضاً شبه قصائده التي مدح بها النبي ﷺ بالعرائس ، بجامع الحسن ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو "عرائس" ، للمشبه وهو "القصائد" ، على سبيل الاستعارة التصريحية . والقرينة "لي في مديحك" ، وهي قرينة لفظية.

ثم يواصل ابن التعاويذي وصفه لقصائده بالحسان السوافر ، اللائي جعلهن وسائلاً لنيل كرم وإحسان الممدوح. ويطلب منه أن يرفع الحجاب ويسمع لها ، ويعرف لها حقها ويتأملها ؛ لأنّها تستحق المكافأة والنوال.

٣) يقول ابن زيدون:" **حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بحليها وملايها** "[٣].

يقول الصفدي : "وقد أدعى ابن زيدون أنّه قد زف إليه عروساً من نظمه ، وهي القصيدة الميمية في أثوابها وحليها وملايها . أراد بالثياب ألفاظها ، لأنّه تخير لها ألفاظاً فصيحة عذبة التركيب ، عرية من الألفاظ الغريبة الحُوشية التي ينبو عنها السمع . وأراد بالحلي المعاني التي قصدها فإنّها بليغة ، كأنّها أنواع الجواهر التي يضمنها الحلي" [٤].

---

(١) أحمد شوقي بن علي ، أمير الشعراء . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١، ص١٣٦.

(٢) ديوان الشوقيات ، لأحمد شوقي، السياسة والتاريخ والاجتماع : ج١، ص٢٩.

(٣) تمام المتون : ص٣٩٠.

(٤) المصدر السابق : ص٣٩٠.

أقـول وهذه استعـارة تصريحية ، وهي من أجمـل الاستعارات ، لأنّه شبهقصيدته في جمال ألفاظها وبديع معانيها بالعقد المرصع بالجواهر واللآليوحذف المشبه "القصيدة" ، وصرح بلفظ المشبه به "العروس" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، بجامع الحسن والجمال في كلٍ . وهو نفس المعني الذي طرقه ابن التعاويذي في تشبيهه لقوافيه بالعرائس. وتشبيه القصائد الغراء بالعرائس الحسان كثير في الشعر العربي . يقول الصفدي: "وقد جرت عادة الشعراء أن يسموا مدائحهم عروساً بديعة الحسن ، وأنّ سوقها إلى ممدوحهم زفاف ، وأنّ مهرها الإقبال على شاعرها"[1].وابن زيدون يريد من الملك ابن جَهْوَر أن يقبل عليه ، ويعفو عنه ، لأنّه قدم إليه عروساً حسناء. وقال أبو طالبيمدح النفر الذين مزقوا الصحيفة:

أعان عليها كل صقر كـــأنّه إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد[2]

في كلمة "صقر" استعارة تصريحية ، حيث شبه السيد من قريش الذي ساعد على تمزيق الصحيفة بالصقر ، وحذف المشبه "السيد" ، وأتى باللفظ الدال على المشبه به "الصقر" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة لفظية.

٤) قال ابن زيدون:"**وإن كنت لم أكسك سليباً ، ولا حليتك عطلاً ، ولا وسمتك غفلاً**"[3].

يقول الصفدي: "**الوسم**: العلامة، تقول: ووسمته وسماً وسمة إذا أثرت فيه بسمة أو كي، **والغفل** يقال : أرض غفل لا علم بها ، ولا أثر عمارة ، ودابة غفل لا سمة عليها ، وقد أغفلتها إذا لم تسمها"[4].

---

(١) تمام المتون : ص٣٩٠.

(٢) المصدر السابق : ص٤٠. انظر : ديوان أبي طالب : ص٢٣٦.

(٣) تمام المتون : ص٢٩٦.

(٤) المصدر السابق : ص٢٩٦.

ويقول الصفدي أيضاً : موضحاً الصورة البيانية: "وقد استعار الكسوة والتحلية للنساء ، والعطلة والإغفال له ، وهي استعارة جيدة"[1].

ويستشهد الصفدي على صحة حديثه بقول أبي الحسين الجزار[2]:

ولقد كسوتك من قريضي حلـة
جلت عن التضييق والترقيــع
حسنت برقم من خلالك فاغتدت
كالروض في التسهيم والتوشيع[3]

شبه ما كتبه من قوافي بالحلة الزاهية ، وانتقل من أسلوب التشبيه إلى أسلوب الاستعارة ، ولو قال كسوته شعراً كان أسلوباً غير مستساغ ، فإنّ ما يكتبه في الأصل حلة زاهية جلت عن التضييق والترقيع ، فالشاعر شبه شعره بالحلة وحذف المشبه ، وصرح بلفظ المشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال ابن الساعاتي:

وكم لي فيك من عذراء زفت لفهمـك فـي غدوٍ أو رواح[4]

شبه قصيدته بالغادة العذراء الحسناء العروس التي زفت إلى بيت الزوجية ، بجامع الحسن والجمال في كلٍ . ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو "عروس" للمشبه وهو القصيدة ، على سبيل الاستعارة التصريحية .

---

(١) تمام المتون : ص٢٩٧.

(٢) عبد الله بن محمد بن الجزار أبو الحسين: عالم العربية من تلاميذ المبرد، انظر الأعلام ، للرزكلي : ج٤،ص ١١٩.

(٣)تمام المتون : ص٢٩٧.

(٤) المصدر السابق : ص٢٨٥.

المبحث الثاني
الاستعارة المكنية

١) قال ابن زيدون:**"وغضضت عني طرف حمايتك"**[١].

يشرح الصفدي حديث ابن زيدون بلاغياً بقوله: "وقد استعار الطرف للحماية لما كان الذي يحميك ويقيك كأنّه ناظر إليك يحفظك من كل ما يهمك أمره، لا جَرَم أنّه حسن استعمال الغض عنا لطرف الحماية وهي استعارة حسنة "[٢].

والمعنى هو : أنّك خفضت طرف حمايتك عني ، فتركتني غرضاً لنكبات الدهر.

والاستعارة : في قوله: **" حمايتك"** شبه الحماية بإنسان ، وحذف المشبه به **"الإنسان"** ، ورمز له بشيء من لوازمه **"طرف"** ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الطرف للحماية.

قال بكر بن النطاح[٣]:

وكم ترحة لم احتسبها لقيتها وكم فرحة جاءت على غير موعد[٤]

أي: كم حزن لم أتوقعه وجدته ، وكم فرحة ومسرة أتتني من غير موعد. وفي قوله: "فرحة" استعارة مكنية ، حين شبه الفرحة بفتاة زائرة ، وحذف المشبه به "الفتاة" ، ورمز لها بشيء من لوازمها ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات المجيء للفرحة.

---

(١) تمام المتون : ص٤١.

(٢)المصدر السابق :ص٤١.

(٣)بكر بن النطاح الحنفي، أبو وائل : شاعر غزل من فرسان بني حنيفة: انظر الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٧١ .

(٤) تمام المتون : ص٥٥ .

ويتجلى جمال الاستعارة في جعل "الفرحة" ، وهي أمر معنوي أمراً محسوساً يأتي من غير موعد . يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٤]. فالغضب أمر معنوى ، ولكنّه صار محسوساً بكلمة "سكت" ، فأصبح اللفظ بليغاً جميلاً يهز النفس ، بما فيه من روعة وحسن . يقول القزويني : "كأنّ الغضب كان يغريه على ما فعل ، ويقول له: قل لقومك كذا ، وألق الألواح ، وجر برأس أخيك إليه ، فترك النطق بذلك ، وقطع الأغراء ، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم ، وذوق صحيح إلا لذلك "[(١)].

وقال أبو ذؤيب الهزلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع [(٢)]

حيث شبه الموت بحيوان مستوحش ، وحذف المشبه به "الحيوان" ، ورمز له بشيء من لوازمه "أظفارها" ، والقرينة إثبات الأظافر للمنية. وقوله: "ألفيت كل تميمة لا تنفع" جواب شرط ، والشرط قوله: "إذا المنية أنشبت" وقبل هذا البيت قوله:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع

هذين البيتين من عدة أبيات رثي فيها أولاده ، يؤكد فيها حقيقة الموت ، وعدم رده ودفعه إذا حضر ، وذكر التمائم _وهي من اعتقادات الجاهلية _ التي يرون أنّها تدفع عنهم المصائب والأهوال ، وأبو ذؤيب يقول: إنّ هذا التمائم لا تستطيع أن تدفع الموت. والجمال يتمثل في أنّه استعار الموت ليدل به على حيوان مفترس ، وهو الأسد ، وصار الموت في تصوره وخياله مثل الأسد الذي هو في الأصل مشبه به، وتخيل وتصور أنّللموت أظفار. والمعنى

---

(١) الإيضاح : للقزويني : ص١٩٥.

(٢) تمام المتون : ص٦١ . انظر : شرح المفضليات ، للتبريزي : ج٥، ص١٤٠.

أنّ الموت عبارة عن سبع ينشب أظفاره ، فإذا جاء لا تنفع التمائم . يقول الجلال السيوطي: "وحينما نقول أنشبت المنية أظفارها نريد بالمنية السبع ، بادعاء السبعية لها ، فنثبت لها ما يخص السبع "المشبه به" وهو "الأظفار"[١].

وقال الصفدي قال الشاعر:

إذا مت مات الجود وانقطع الندى من الناس إلا من قليل مصرد[٢]

شبه الجود بإنسان ، وحذف المشبه به "الإنسان" ، ورمز له بشيء من لوازمه "مات"، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الموت للجود.

وقال ابن قلاقس:

وإذا ما السحاب قطب وجهاً كأن في طيه حياة النفوس[٣]

شبه السحاب بإنسان وحذف المشبه به "الإنسان" ، ورمز له بشيء من لوازمه "قطب وجهه" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات تقطيب الوجه للسحاب ، فالحسن والجمال تجده في تشخيص السحاب ، حيث جعل له وجه قاطباً ، والمقارنة بينه وبين المستعار له المحسوس.

وقال الصفدي قال الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكـــله أنــاخ بآخــرينـا

فقل للشامتين بنا أفيــقوا سيلقي الشامتون كما لقينا[٤]

في البيت الأول شبه الدهر بالبعير ، ثم حذف المشبه به "البعير" ورمز إليه بشيء من لوازمه "كلاكله" ، على سبيل الاستعارة المكنية . يقول

---

(١) شرح عقود الجمان ، للسيوطي : ص ٩٩.

(٢) تمام المتون : ص٦٢.

(٣) المصدر السابق : ص٧٩ . انظر: ديوان ابن قلاقس : ص٤٠٤ .

(٤) تمام المتون : ص٥٨ .

دكتور بدوي طبانة: "شبه الدهر والمراد نوازله وأحداثه بالبعير ، ولم يصرح بلفظ المشبه به بل حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه من الكلاكلوالإناخة ، تنبيهاً على البعير ، وهو المشبه به المحذوف"[1]. وتشبيه الدهر بالبعير ، ورد أيضاً عند امرئ القيس في وصفه لليل يقول:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتـلي

فقلت له لمـا تمطـــي بصـــلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل[2]

حيث استعار لليل صلباً وأردافاً وكلكلاً ، وشبهه بالبعير، فأمرؤ القيس وصف أحوال ليله الطويل وشخصه ، ونقله من شيء معنوى إلى شيء حسي . يقول ابن الأثير: "إنّ امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وسطه ، وتثاقل صدره ، وترادف أعجازه ، فلما جعل له وسطاً ممتداً وصدراً ثقيلاً وأعجازاً رادفة لوسطه ، استعار له اسم الصلب وجعله ممتطياً من أجل امتداده ، واسم الكلكل وجعله نائباً لتثاقله ، واسم العجز من أجل نهوضه"[3].

وقال ابن حيوس:

ولئن شعرت فإنّ ايسر ما أرى من مأثراتك ينطق الجلـــودا[4]

في قوله: "ينطق الجلمود" استعارة مكنية ، حيث شبه الجلود بإنسان وحذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات النطق للجلمود.

---

(١) علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية : ص١٣٦.

(٢) شرح المعلقات العشر ، للشنقيطي : ص٣٣.

(٣) المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير : ج١، ص ٣٦٩.

(٤) تمام المتون : ص ٣٠٣ . انظر: ديوان ابن حيوس : ج١، ص١٧١.وفي الديوان : ولئن نطقت فإن أيسر ما أري .

أي: أنّه لا عجب إن كتبت فيك شعراً ، وذكرت مآثرك وفضائلك وإحسانك لي نظماً ، فإنّ إحسانك ونوالك وجودك وكثرة فضائلك تنطق الصخر ، ولأنّ الإحسان والعطاء الذي يجعل الصخر الأصم ينطق ، فإنّه بلا شك يجعل الإنسان ينطق ويتحدث ويثنى وهو مؤهل للنطق.

وقال الأصمعى:

"سمعت إعرابياً يقول: إنّ الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب غر من رآه ، وأخلف من رجاه"[1].

في قوله : "الآمال" استعارة مكنية ، حيث شبه الآمال بسيف ، وحذف المشبه به "السيف" ، ورمز له بشيء من لوزمه "قطع الأعناق" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات القطع للآمال.

هذا والطمع والجشع من الصفات المذمومة عند العرب في الجاهلية والإسلام . ومن الشواهد التي ذكرها الصفدي وهي تدور حول هذا المعني ، قول ابن نباتة السعدي[2]:

أرضى وأقنع بالآمـال كـاذبـة
فما يضـرك لو ألقيت أطمـاعي
قد كان يعرف وجه الذل في نظري
ويظهر العجز والتقصير في باعي[3]

وكذلك القول المنسوب للإمام علي كرم الله وجهه:

إذا عوفي المـرء في جسـمه وخـوله الله قلبـاً قنوعـاً

---

(١) تمام المتون : ص٣١٤ .

(٢) عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي ، أبو نصر : من فحول شعراء عصره ومجيديهم . انظر : يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج٢ ، ص٣٦٠ .

(٣) تمام المتون : ص٣١٤.انظر : يتيمة الدهر : ج٢ ، ص٣٧١ .

وألقي المطامع عن نفســـه فذاك الغني ولو مات جوعاً[1]

ففي قول ابن نباته: "الآمال كاذبة" ، و"وجه الذل" وقوله الإمام عليّ كرم الله وجهه: "وألقي المطامع".

استعارات مكنية ، فالآمال لا تكذب ، ولكنه حذف المشبه به الإنسان ، وأدعى أنّها تكذب ؛ لأنّه يتخيل ويقارن بين الطمع والكذب ، فالطمع لا يعود على صاحبه بفائدة وكذلك الكذب. ومثلها قول الإمام عليّ كرم الله وجهه فالمطامع لا تلقى ، وقول ابن نباته أيضاً : حيث جسد الذل ، وهو شيء معقول بشيء محسوس وهو الوجه. فالاستعارة تبهرك بسحرها وتجعلها تتناسي أحد طرفي التشبيه . يتحدث القزويني عن جمال الاستعارة في الآية الكريمة :﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾[النحل: ١١٢].فيقول: حيث قال أذاقها ، ولم يقل كساها ، فإنّ المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس ، كأنّه قال: فأصابها الله بلباس الجوع والخوف"[2].

وقال سراج الدين الوراق:

كتم الزيارة في الدجى فضياؤه وحليه وشذاه كل قد فشـي

وكتمت وجدى فيه لو لا أدمع نمّت بما أخفيه حتى قد فشا[3]

شبه الحلي والشذى كليهما بإنسان نمام ، بجامع الأذى وانتشار الخبر ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "وَشَىَ" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الوشي للحلي والشذى .

وقال البحتري:

ألنت لي الأيام من بعد قســـوة وعاتبت لي دهرى المسيء فأعتبا

---

(١) تمام المتون : ص٣١٤.

(٢) الإيضاح ، للقزويني : ص١٩٢.

(٣) تمام المتون : ص٢٢٩.

وألبستني النعمى التي غيرت أخي

عليّ فأمسي نازح الود أجنــبا[1]

في هذين البيتين مجموعة من الاستعارات المكنية هي "الأيام" و"دهري" و "النعمى" حيث جعل الأيام تلين ، والدهر يعاتب ، والنعمى تلبس . ففي الأولى : شبه الأيام بالحديد ، وحذف المشبه ورمز له بشيء من لوازمه "ألنت" على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة هي إثبات اللين للأيام.

وفي الثانية : شبه الدهر بإنسان ، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو "عاتبت" ، والدهر لا يعاتب على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات العتاب للدهر.

وفي الثالثة : شبه النعمي بكساء ، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه "ألبستني" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات اللباس للنعمي .

وقال ابن الساعاتي :

أردد لحــظ ظني في وجــوه من الآمـال كــاسفة الصباح

وقد أعدت جفون الغيد حظى وليست بالمراض ولا الصحاح[2]

في البيت الأول : استعارة مكنية في قوله : "لحظ ظني" حيث شبه الظن بإنسان ، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات اللحظ للظن . ومثلها قوله "وجوه من الآمال" حيث جعل وأدعى أن للآمال وجوه ، والجمال يتجلى في أنّه جعل المعنويات محسوسات.

---

(١) تمام المتون : ص٢٨٢ . انظر: شرح ديوان البحترى ، للفاخوري : ج١، ص١٢٢.

(٢) تمام المتون ، ص٢٨٥ .

٢) قال ابن زيدون:**"وهل لبس الصباح إلا بُرداً طرزته بفضائلك"**[١]

شبه الصباح بإنسان يلبس ويرتدي ، ثم حذف المشبه به "الإنسان" ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات اللباس للصباح . يقول الصفدي : "قد جرت العادة بين البلغاء وفرسان البيان ، وأرباب النثر والنظم ، أن يستعيروا للثناء ، وهو شيء يدرك بالسمع ، أشياء تدرك بحاستي البصر والشم ، فيقولون : ثناء كأنّه المسك الأذخر ، أو زهر الروض الأنضر ، أو كالنجوم الزاهرة ، أو البُرود المرقومة ، أو كأنفاس النسيم السَّحرية . ومن هذا وأمثاله لأنّهم يريدون المبالغة فيما وصفوه[٢].

والاستعارة كما هو معلوم استعمال كلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مشابهة بين الطرف المذكور والطرف المحذوف ، وإثبات المحذوف للمذكور لأجل المبالغة في التشبيه . فابن زيدون جعل لون الصباح عبارة عن بُرد مطرز بفضائل الممدوح . يقول الصفدي : فقول ابن زيدون رحمه الله تعالى : **"وهل لبس الصبح إلا بُرداً طرزته بفضائلك"**، من هذا الباب الذي قدمته وكذلك إلى قوله : **"وبث المسك إلا حديثاً أذعته من محامدك"**[٣].

ووجه تشبيه الثناء بالمسك وبأنفاس الرياض في السحر ، هو أنّ الثناء الحسن يقال فيه فلان طيب الثناء ، فاستعاروا له رائحة المسك وأنفاس الرياض ، فقالوا : ثناء كالمسك ،وهذا ما أراده ابن زيدون .

يقول الصفدي : "قال الإمام فخر الدين : **"الاستعارة**: ذكر الشيء باسم غيره ، وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه". ووجه تشبيه الثناء بالبرود المرقومة ، هو أنّ الثناء الحسن يقال فيه : فلان يحوك أوصاف فلان ،

---

(١) تمام المتون : ص ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق : ص٢٨٩.

وينسجها على منوال غريب ، ويرقم برودها ، وما يريدون بذلك إلا المبالغة ، لأنّه صار بحيث يدرك بعد حاسة السمع بحاستي البصر والشم . وما أحسن قول محمد بن غالب الرصافي:

أجرى حديثك ثم أعلم أنّه قول يقال وعرفه مشموم"[1].

فالنفس تهتز فرحاً ، وتزداد بهجة وتطرب وتنتشي حينما تعرف أنّ الثناء يلبس ، والصباح يرتدي برداً ، والفضائل تطرز وتنسج .

وقال ابن عُنين[2]:

يهدي إليك من السناء ملابساً تضفو وتصفو من قذي الأطماع

مصقولة الألفاظ يلقاها الفتى من كل جارحه بسمع واع[3]

حيث جعل مديحه وثناءه يأتي ويصاغ في عبارات بديعة ، وألفاظ مصقولة . فهو يهدي له ملابساً من الثناء ، وهذه لعمري من أجمل الاستعارات وأحلاها ؛ لأنّها تجعلك تسرح وتمرح في واد من الخيال خصب.

٣) قال ابن زيدون:**"من أبقاه الله ماضي حد العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهد النعمة"**[4].

هنا يمدح ابن زيدون ابن جهور بقوله **"ماضي حد العزم"** ، شبهه في عزيمته بالسيف النافذ . والعزيمة أمر معنوى ولكنّه جعل لها حداً . وقوله **"وارى زند الأمل"** جعل للآمل زنداً ناره تخرج ساعة الاقتداح ، أي : أنّ من يؤمل فيه ، ويرجو منه طلباً يجده وقت الطلب . وقوله : **"ثابت عهد النعمة"**

---

(١) تمام المتون : ص٢٨٨.

(٢) محمد بن نصر بن مكارم بن الحسين بن عنين ، شرف الدين الحوراني الدمشقي الأنصاري ، أبو المحاسن: أعظم شعراء عصره، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧، ص٣٨.

(٣) تمام المتون : ص٢٨٨.

(٤) المصدر السابق : ص٣٨.

أي : أنّ نعمته ثابتة لا تتغير . يقول الصفدي : "فهذه الجمل واقعة موقع الحال ، وفيها ثلاث استعارات ، وهي المضاء لحد العزم ، كأنّه لا يعزم على شيء إلا أمضاه ونفذ فيه حده . ووارى زند الأمل ، كأنّه لا يؤمل شيئاً إلا وهو يرى نوره . وثبات عهد النعمة ، أي : لا تُغير له ذمة نعمة بل هي محفوظة أبداً عليه"[1].والاستعارات الثلاث مكنية ، وفيها من التناسب والتلاؤم والحسن ما لا خفاء به .

٤) قال ابن زيدون: **"وهل أنا إلا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به إكليله"**[2]

في قوله : **"وجبين عض به إكليله"** استعارة مكنية ، حيث شبه الإكليل بإنسان ، وحذف المشبه به الإنسان ، ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات العض للإكليل. وقال ابن المعتز:

يتأكلون ضغينة وخيانة ويرون لحم الغافلين حلالا[3]

استعار الأكل للضغينة والخيانة ، وهما معنويان لا يؤكلان لأنّ الأكل من المحسوسات ، ويناسب قوله : "لحم الغافلين" حيث شبه الضغينة والخيانة بطعام ، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه "يتأكلون" ، على سبيل الاستعارة المكنية .والمعنى أنّهم قوم كل همهم النميمة والحقد على الناس فهم يغتابون الناس ويذمونهم ويخونونهم ويرون ذلك من الحلال . والمعنى مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾[الحجرات: ١٢].

---

(١) تمام المتون : ص٣٨.

(٢) المصدر السابق : ص٦٥.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٦.

المبحث الثالث
الاستعارة التمثيلية

١) قال ابن زيدون:**"ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته"**[١].

قال الصفدي : **"ويؤتى الحذر من مأمنه"** معناه في القرآن العظيم وهو قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً** ﴾[الأنعام: ٤٤]**"**[٢].

شبه هيئة الذي يجد الحذر والخوف في موضع مأمنه ، ويجد الموت في أمنيته ، بهيئة من يجد الشر والسوء في مكان لا يأتيه منه إلا الخير والأمن ، والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شيء معروف فيه الخير والأمن والسلامة فيأتي فجأة منه السوء والضرر . ثم استعار المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد تناسي التشبيه ، وادعاء الاتحاد والتماثل ، على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية .وهذا أشبه بقول أبي العتاهية:

وقد يهلك الإنسان من باب مأمنهوينجو بإذن الله من حيث يحذر[٣]

وقول أبو الحسين الجزار:

وحقك ما لي من قدرة على كشف ضر إذا مسنى
فكم أخذتني عيون الظباءِ بعد الإنابة في مأمني[٤]

ومثل ذلك ما ورد في خطبة عتبة بن أبي سفيان[٥]: "... ورب متمن

---

(١) تمام المتون : ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٤٩ . انظر : ديوان أبي العتاهية وأشعاره وأخباره ، تحقيق دكتور شكري فيصل : ص١٥٣ . وقد وردت في الديوان "وينجو لعمر الله " بدل " بإذن الله".

(٤) تمام المتون : ص ٤٩ .

(٥) عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية : أمير مصر ، وليها من قبل أخيه معاوية ، كان عاقلاً فصيحاً ، مهيباً ، من فحول بني أمية . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٢٠٠ .

حتفه في أمنيته" [1]. ومن الشواهد التي تؤيد هذا المعنى ، واستحسنه قول أبي محمد عبد الله بن محمد الخفاجي[2]يقول الصفدي : وما أحسن قول أبي محمد عبد الله بن محمد الحفاجي رحمه الله :

كم طالب أمراً وفيه حمامه وسائرة تسعى إلى ما يضرها[3]

وكلها استعارات تمثيلية متشابهة في المعنى . ومن الطرائف التي حكاها الصفدي عن الشاعر المؤمل بن أميل[4] وهي أنّه تمنى أن لا يكون له نظر ، فتحققت أمنيته وفقد بصره . قال: "وكان المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة وأولها:

شف المؤمل يوم الحيرة النظرليت المؤمل لم يخلق له نظر

ونام فرأي في منامه رجلاً أدخل أصبعه في عينيه ، وقال هذا ما تمنيت فأصبح وهو أعمي "[5].هذاوقد منع الإسلام دعاء الإنسان على نفسه ، ونهى عن التشاؤم وحث على التفاؤل.

٢)قال ابن زيدون:**"فلا غرو قد يَغَصُّ بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفى به"**[6]

يقول الصفدي شارحاً قول ابن زيدون السابق : "هذه الفاء جواب

---

(١) تمام المتون : ص٥٥.

(٢) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي: شاعر ، صاحب "سر الفصاحة" انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص١٢٢.

(٣) تمام المتون : ص٥٥ .

(٤) المؤمل بن أسيل بن أسيد المحاربي: شاعر ، من أهل الكوفة ، أدرك العصر الأموي ، وأشتهر في العصر العباسي . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٧،ص٣٣٤ .

(٥) تمام المتون : ص٥٥. انظر : نكت الهميان في نكت العميات ، للصفدي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م : ص٢٨٤ .

(٦) تمام المتون : ص٤٥.

الشرط في قوله أول الرسالة: **"إن سلبتني ..."** وما بعد من الجمل ، بعد ما نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، فلا غرو أي: فلا بدع ولا عجب قد يغص بالماء شاربه ، وهذه **"قد"** التي تدخل على الجمل للتقليل ، مثل : قد يكبو الجواد ، وقد ينبو الحسام ، وقد يصدق الكذوب ، وقد يبخل الجواد**"**[1].

وحينما نربط بين الجملتين يكتمل المعنى والجملة السابقة لهذه الجملة قوله : **"إن سلبتني أعزك الله لباس إنعامك ، وعطلتني من حلي إيناسك"**[2].

"... فلا غرو قد يغص بالماء شاربه" والمعنى : يقول ابن زيدون مخاطباً الملك : إن أنت سلبتني ثوب النعمة ولباس الإحسان الذي كسوتنيه ، وحرمتني من لذة الأنس بك ، وطيب الجلوس معك ، وأنا أقرب الناس إليك وأكثرهم إخلاصاً لك ، فلا غرو ولا عجب في ذلك ، فقد يغص الشارب بالماء . والماء يحتاج إليه الإنسان إذا غص بالطعام ، فكيف إذ غص به الماء ؟ وهو أقرب الناس للملك وهو الذي يحميه ، فكيف إذا أتت العقوبة منه ؟ يقول الشاعر:

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غُص بالماء[3]

وقال آخر أيضاً:

إلى الماء يسعى من يُغَـص بأكلـة فقل: أين يسعى من يغص بالماء[4]

قال الصفدي: **"**وفي المثـل: يـا مـاء لـو بغـيرك غصصـت**"**[5].ومعنـى العبارة: أنّك غصصت بالماء ، فلو أنّك غصصت بالطعام كـان دواؤك بالمـاء ، ولكن أن تغص بالماء فلا دواء لك.

---

(١) تمام المتون : ص٤٥.

(٢)المصدر السابق :ص٣٩.

(٣) المصدر السابق : ص٤٥.

(٤) المصدر السابق : ص٤٥.

(٥) المصدر السابق : ص ٤٨، انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج٢، ص٤٤٨.

شبه هيئة الذي يناله الأذى من أقرب الناس إليه بهيئة الذي يغص بالماء . وهو أقرب إلى قولهم: ويقتل الدواء المستشفي به " فالإنسان حينما يمرض يحتاج للدواء ليستشفي به ، ولكن إذا كان الدواء هو سبب القتل فلا سبيل لدوائه وشفائه. والجامع الهيئة الحاصلة من الضرر الذي يأتي من جهة ديدنها دفع الضرر لا جلبه. ثم استعير المركب الموضوع للمشبه بعد التناسي والإدعاء على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية . وقد صار مثلاً يضرب لمن دُهي من حيث ينتظر الخلاص والمعونة . ومثل ذلك قول ابن حيوس:

أرى الأكدار يشرق شاربوها فواشرقي من الماء الزلال[1]

وقول أكثم بن صيفي : "من فسدت بطانته كان كمن غصبالماء"[2]. وذلك لأنّ الغاص بالطعام يرجع إلى الماء، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له، فكذلك بطانة الرجل وأهله ، أو بطانة الحاكم ووزرائه ، إذا خانوه فسد حاله.

٣) قال ابن زيدون: **"والحَين قد يسبق جهد الحريص"**[3].

وهذه استعارة تمثيلية ، ومثل يضرب أيضاً للإنسان الذي يطلب شيئاً ويجتهد في طلبه فيموت ، فحينئذ يقال له: "والحين يسبق جهد الحريص".

هذا ويذكر الصفدي مثلاً مقارباً له وهو : "سد ابن بيض الطريق" ، يقول : "ومما ضربت به العرب المثل في أنّ الحاجة تطلب فيحول دونها حائل قولهم: سد ابن بيض الطريق"[4]. وله قصة طريفة ذكرها الصفدي وهي: " إنّ ابن بيض لما حضرته الوفاة قال لابنه: لا تقارب لقمان في أرضه ، فَسِر

---

(١) تمام المتون : ص٤٧.

(٢) المصدر السابق : ص٤٨.

(٣) المصدر السابق : ص٥٦.

(٤) المصدر السابق : ص٥٦ . انظر : شرح المفضليات ، للتبريزي : ج١ ، ص١٨٨.

بأهلك ومالك ، حتى إذا كنت بثنية كذا فاقطعها وضع فيها للقمان حقه ، فإنّ له عندنا في كل عام حلة وجارية وراحلة ، فإن قبله فهو حقه عرضناه له لإجارته وخفارته ، وإن هو لم يقبله وبغى أدركه الله ببغيه ، ففعل الفتى ما أمره به أبوه. فأتى لقمان الثنية وأخذا حقه وانصرف ، وقال:(سد ابن بيض الطريق) ، وفي هذا يقول عمرو ابن الأبرد :

سددنا كما سد ابن بيض سبيلهافلم يجدوا عنـد الثنية مطلعا"[1]

٤)قال ابن زيدون:" **وهل أنا إلا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به إكليله**"[2].

هذه الجملة تمثل حال الإنسان الذي يسئ إلى من يحسن إليه . فهي استعارة تمثيلية . يقول الصفدي: " وما أنا إلا يد أدماها سوارها الذي تحلت به ، وتزينت به ، وجبين عض به تاجه الذي وضعه فوقه ليتجمل به ، ويتحلي بجواهره ، فما ألوم أحداً فعل بي ذلك"[3].أي: أنّ الأذى والألم أصابه ممن يبره ويحسن إليه.

٥) قال ابن زيدون:"**وهذه النَبْوَة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع**"[4].

وهاتان استعارتان تمثيليتان ، تمثلان حال الذي يكون في حالة من المتوقع أن لا تدوم معه سريعاً . واستشهد الصفدي على توضيح هذه الحقائق بقوله: "وقال المبرد: كان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة ، قال: سحابة صيف عن قليل تقشع"[5].

---

(١) تمام المتون : ص٥٧.

(٢) المصدر السابق : ص٦٥.

(٣) المصدر السابق : ص٦٦.

(٤) المصدر السابق : ص٧٤.

(٥) المصدر السابق : ص٧٦.

شبه ابن شبرمة هيئته وهو مصاب بمصيبة يتوقع زوالها بهيئة سحابة الصيف التي لا تدوم سريعاً ، وعن قليل تقشع ، والجامع الهيئة الحاصلة من الزوال والانقشاع بسرعة ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه بعد التناسي والادعاء ،على سبيل الاستعارة التمثيلية. ومثل ذلك قول الأمير شمس الدين ابن جعفر بن شمس الخلافة[1]:

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها وأسًى يبشر بالسرور العاجل
وإذا نظرت فإنّ بؤساً عاجلاً للمرء خير من نعيم زائل[2]

وقول شرف الدين مبارك مستوفي أربل:

وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً وإلا نبوة تتصرم[3]

ويقول الصفدي: "مر بلال بن أبي بردة الأشعري بخالد بن صفوان في موكب عظيم ، فقالخالد: سحابة صيف عن قليل تقشع ، فسمعه بلال ، فقال: والله لا تقشع حتى يصيبك منها شُؤبوب بَرَدٍ، وأمر بضربه بالسياط وحبسه"[4]. وهذه من الاستعارات التي شاعت حتى صارت مثلاً مشهوراً بين الناس.

هذا وعكس ذلك قول أبي القاسم هبة الله بن الفضل الطبيب[5]:

يا معشر الناس النفير النفير قد جلس الهِردَبُّ فوق السرير
وصار فينا آمراً ناهياًوكنت أرجو أن لا يصير

---

(١) جعفر بن محمد "شمس الخلافة" بن مختار ، ابو الفضل : شاعر من أهل مصر ، له ديوان شعر ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص١٢٨ .

(٢) تمام المتون : ص٧٥.

(٣) المصدر السابق : ص٧٦.

(٤) المصدر السابق : ص٧٦.

(٥) هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز ، أبو القاسم القطان : الشاعر ، وكان الغالب على شعره الهجاء . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٦ ، ص١٥٢ .

وكلما قالوا غداً ينجلي وظلمة عما قليل تنير

فتحت عيني فإذا الدولة الدولة والشيخ الوزير الوزير ![1]

فإن كانت الشواهد السابقة تمثل هيئة الحالة التي تزول سريعاً ، فإنّ هذا الشاهد الأخير يمثل الحالة التي لا أمل في زوالها .

ومن الاستعارات التمثيلية التي استشهد بها الصفدي قوله: "وفي المثل الطمع الكاذب يدق الرقبة"[2].وهو من الاستعارات التمثيلية التي شاعت وصارت مثلاً . ويمثل هيئة وحالة الإنسان الذي لم يقتنع بما عنده ويطمع فيما عند غيره فيفقد كل شيء حينها.

وقصة هذا المثل كما أوردها الصفدي: "قاله خالد بن صفوان لأنّه كان قد بني دكاناً مربعاً لا يسع غيره ، ولا يصل الراجل إليه ، وكان إذا تغدي قعد عليه وحيداً يأكل لبخله ، فجاء إعرابي على جمل ساوى الدكان ومد يده إلى طعامه ، فبينما هو يأكل إذْ هبت ريح فحركت شيئاً هنالك فنفر البعير فأندقت رقبته، فقال خالد الطمع الكاذب يدق الرقبة"[3].

ومنها قوله : "أغر من الدباء" ، وذلك لأنّ إعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً وكان حاراً فأحرق فمه ، فقال: "لا يغرنك الدباء وإن كان نشؤه في الماء" ويضرب للرجل الساكن ظاهراً ، الكثير الغائلة باطناً. وقوله : "وأغر من سراب" لأن الظمآن يحسبه ماء ، و"أغر من الأماني"[4].

وكل هذه الاستعارات تمثيلية ، تمثل حالة الإنسان الذي لا يقتنع بواقعه ، فيطمع فيما عند غيره فيفقد كل شيء . ومن يتابع الأماني تغره

---

(١) تمام المتون : ص٧٦.

(٢) المصدر السابق : ص٣١٦.

(٣) المصدر السابق : ص٣١٦.

(٤) المصدر السابق : ص٣١٧ . انظر: مجمع الأمثال ، للميداني : ج٢، ص١٧.

وتخدعه ، والدهر ليس له أمان يوماً يسر ويوماً يضر . والـذي يحـاول الطمـع يجد الندم . قال الشاعر:

إنّ الأمـــاني غرر والدهر عرف ونكـــر

ومن سابق الدهر عثر[1]

ويقول الصفدي: "ويقال أيضاً : أغر من ظـبي مقمـر" ، لأنّ الخِشْـف _الظـبي حـديث الـولادة_ يغـتر بالليـل المقمـر ، فـلا يحـترز حتـى تأكلـه السباع"[2].

٦) قال ابن زيدون:"**وأنفع الحيا ما وافق جدباً ، وألـذ الشـراب مـا أصـاب غليلاً**"[3].

هذا التركيب استعمل في غير معناه الأصلي ، فهو يريـد أن يقـول: إنّ تأخير عطاء الملك عنه لن يريبه ولن يقلقه ، فترك هذا التعـبير وأتـى بتعـبير آخر على سبيل الاستعارة التمثيلية ، وهو "أنفع الحيا وما وافق جدباً" ، أي : أنّ أنفع المطر وأبركه مـا جـاء بعـد جـدب وجفـاف . وبالمثـل أنفـع العطـاء وأفضله ما جاء بعد حاجة.

ويقول الصفدي: "أنفع المطر ما صادف محلاً ، وألذ الشراب ما صادف حرارة العطش ، ولا شك أنّ المطر لـلأرض الممحلـة أنفـع وأوفـق لهـا مـن الأرض المخصبة، وكذلك لذة الماء عنـد الظمـآن أشـد وقعـاً ممـا يكـون عـن الري"[4].

وابن زيدون في هذا المعنى ذكر عدة تعابير تصلح أن تكون استعارات

---

(١) تمام المتون : ص٣١٧ . انظر: مجمع الأمثال ، للميداني : ج٢، ص١٧.

(٢) تمام المتون : ص٣١٧.

(٣) المصدر السابق : ص٨٠.

(٤) المصدر السابق : ص٨٠.

تمثيلية منها: **"أثقل السحاب مشياً أحفلها"**[1]، أي: أنّ السحب الثقيلة المشي المشي ، والبطيئة في حركتها هي المليئة بالماء ، وهي تمثل هيئة من يأتيك بالخير ولكن ببطء.و**"أبطأ الدلاء فيضاً أملؤها"**[2]، أي : أن الدلو التي تتأخر في البئر تكون ملأى بالماء ، غير تلك التي تعود بسرعة . وهذا مأخوذ من قول ابن المعتز:

قلت وقد ضج رافعاً يده دعوا البرايا فالله يكلؤها

واستيقنوا بالدواء منه كما أبطأ وخير الدلاء أملؤها[3]

"وألذ الشراب ما أصاب غليلاً"[4]، أي: أنّ ألذ الشراب وأحلاه ما صادف إنساناً عطشاناً ؛ لأنّه يجد لذة للشراب لا يجدها عندما يكون في حالة غير ذلك. وكل هذه التعابير تؤكد الحالة السيئة التي يمر بها ابن زيدون ، ومع ذلك ظنه الحسن وتفاؤله الواضح بالفرج القريب . وهذا يشبه قول ابن حيوس:

وإن ألذ القرب ما كان قبلهنوًى أحلى وصال ما تقدمه جهد[5]

وقال سيف الدين قزل المشد:

فلا تبال بأمر جاء على قدر فالسيف يضرب والخطى يعتقل[6]

في قوله: "فالسيف يضرب والخطى يعتقل"استعارة تمثيلية ؛ حيث شبه حال الرجل الفارس الذي يحبس في السجن وهو صامد مستبسل ويخرج من سجنه أشد ثباتاً بحال السيف الذي يضرب فيصير سيفاً ماضياً ، وبالرمح الذي يثقف ويعتقل فيصير رمحاً مقوماً معتدلاً ، فالعلاقة المشابهة.

---

(١) تمام المتون : ص٧٨.

(٢) المصدر السابق : ص٧٨.

(٣) المصدر السابق : ص٧٩.

(٤) المصدر السابق : ص٨٠.

(٥) المصدر السابق : ص٨١.

(٦) المصدر السابق : ص٧٠.

قال إبراهيم المدبر وقد حبس:

فلا تنكري طول المداراة للعدا فإن نهايات الأمور قصار [1]

وفي قوله: "إن نهايات الأمور قصار" استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال من يكون في حالة ضيق ، وينتظر فرجاً قريباً ، بحال الأمور التي في نهايتها والتي ستؤول لإقصار قريباً ، بجامع أنّ كلا منهما ينتظر أمراً سيؤول إلى نهايته قريباً ، ثم استعير التركيب الدال على حال المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية . وبعد هذا البيت قوله:

لعل وراء الغيب أمراً يسرنا يقدره في علمه الخالق الباري[2]

وقال ابن المعتز:

يتآكلون ضغينة وخيانة ويرون لحم الغافلين حلالاً[3]

استعارة تمثيلية ؛ حيث شبه حال الذين يغتابون الناس ويقضون كل وقتهم في الحديث عن عيوب غيرهم ومثالبهم ، بالذين يتآكلون ضغينة وخيانة ، وكأنّهم يأكلون وينهشون لحم غيرهم ، فأنت إذا رأيت رجلاً نماماً يغتاب الناس وتريد أن تعبر عن حاله ، فحينها تقول هؤلاء "يرون لحم الغافلين حلالاً .

٧) قال ابن زيدون: **" كل الصيد في جوف الفَرا"**[4].

وهذه استعارة تمثيلية ، وهي من الاستعارات التمثيلية التي استعملت كثيراً حتى صارت مثلاً شاع استعماله بين الناس . يقول الصفدي: "وأصل المثل أنّ ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً

---

(١) تمام المتون : ص٧١. انظر : فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر : ج ١ ، ص ٤٦ .

(٢) تمام المتون : ص٧١.

(٣) المصدر السابق : ص٢٣٦.

(٤) تمام المتون : ص٣٣٧. انظر : الكامل ، للمبرد : ج١ ، ص٢٣٩ .

والثالث حمار وحش ، فأشتبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا ، وتطاولا عليه، فقال الثالث: "كل الصيد في جوف الفرا"، أي: هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل ما عندكما ، وذلك لأنّه ليس مما يصيده الناس أعظم من حمار الوحش"[1]. هذا وقد استشهد النبي ﷺ حينما أستأذنه أبو سفيان وحجبه قليلاً ثم أذن له ، فقال له النبي ﷺ: يا أبا سفيان أنت كما قيل: "كل الصيد في جوف الفرا" ، أي: أنّه أفضل من أنداده . يقول الصفدي بعدما ذكر هذه القصة، يتآلفه على الإسلام ، وقال أبو العباس: "معناه إذا حجبتك قنع كل محجوب ، يضرب لمن يفضل على أقرانه"[2].

وتظهر الاستعارة التمثيلية في أنّ حمار الوحش يفضل على الأرنب والظبي ، وكذلك أبو سفيان يفضل على غيره من سادات مكة يومها. هذا وقد ورد هذا المعني في شعر عدد من الشعراء ذكرهم الصفدي منهم:

أ) شرف الدين بن عنين :

نسخت خلائقه الكريمة ما أتي في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
لا تسمعن حديث ملك بعده يروى فكل الصيد في جوف الفرا[3]

ب) ابن المعلم[4]:

طوي الورى شعري عني وانثنى يقول: كل الصيد في جوف الفرا[5]

٨) قال ابن زيدون:**"والبدل منك أعور ، والعوض لفاء"**[6].

---

(١) تمام المتون : ص٣٣٧.

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٧.

(٣) المصدر السابق : ص٣٣٨.

(٤) محمد بن محمد بن النعمان العكبري بن المعلم ، محقق إمامي ، انتهت إليه رئاسة الشيعة ، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص٢١.

(٥) تمام المتون : ص٣٣٧.

(٦) المصدر السابق : ص٣٣٩.

يقول الصفدي: "أصل هذا المثل أنّ يزيد بن المهلب لما صُرِفَ عن خراسان بعتبة بن مسلم الباهلي _ وكان شحيحاً وشيخاً أعور _ قال الناس: هذا بدلٌ أعور ، فصار مثلاً لكل من لا يرتضى به بدلاً من الذاهب"[1]. فالمشبه حال يزيد بن المهلب يعزل ويؤتي بدله بشيخ شحيح أعور ، وهذه الحالة محذوفة، شبهت بحالة الشريف يؤتي بدله بالوضيع . واللفاء هي الشيء الخسيس. يقول الصفدي: وفي ذلك يقول الشاعر:

كانت خراسان أرضاً إذا يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح

حتى أتانا أبو حفص بإمرتـــه كأنّما وجهه بالخـل منضوح[2]

وفي المثل" أعطاني اللفاء" يضرب لمن يبخسك حقك ، ويظلمك فيه . يقول أبو الطيب:

ومـــا لاقنـــي بلد بعدكـــمولا اعَتضْتُ من رب نعماي رب

ومن ركب الثور بعد الجـوا د أنكـــــر أظـــــلافه والغبب[3]

قال الصفدي: "ولهم في المثل: "اليوم خمر وغداً أمر" أول من قاله امرؤ القيس . كان حجر أبو امرئ القيس قد طرد ابنه هذا لشعره وغزله ، لأنّ الملوك كانوا يأنفون من ذلك ، فلحق امرؤ القيس بأرض اليمن ، ولم يزل بها حتى قتل بنو أسد بن خزيمة حجراً ، فجاءه الأعور العجلي فأخبره بمقتل أبيه ، فقال: "ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ، ولا شرب غداً ، اليوم وخمر ، وغداً أمر"، ثم شرب سبعة أيام ، ولما أصبح في اليوم الثامن ارتحل ، وقام يسعي لأخذ الثأر"[4]. ومعنى المثل أي: يشغلنا

---

(١) تمام المتون : ص٣٣٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٩ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج١، ص١٢٤.

(٣) تمام المتون : ص٣٤٠ . انظر: مجمع الأمثال ، للميداني : ج٢، ص٤٩٦.

(٤) تمام المتون : ص٨٣ _٨٤ .

اليوم خمر ، وغداً يشغلنا أمر ، يعني أمر الحرب ، أو اليوم خفض ودعة ، وغداً جد واجتهاد . وفي هذا استعارة تمثيلية ؛ لأنّه تشبيه حالة بحالة ، وصار مثلاً يضرب في تنقل الدهر بحالاته . يقول الصفدي مستشهداً بقول ابن العفيف التلمساني[1]:

قالوا غداً تندم من لثمه في ثغرة إذا يغلب السكر

فقال لي مبسمه : دعهم اليوم خمـــر وغداً أمـــر[2]

وذكر الصفدي عدداً من الشواهد التي تؤيد هذا المعنى وتؤكده.

٩) قال ابن زيدون: **"خامري أم عامر"**[3].

وهذا التركيب يمثل من عرف الحياة وتقلباتها ، وأن لا أمان لها فقد يكون الإنسان غنياًآمناً، ويطمئن على ذلك ، ولا يأخذ حِذره ، وفجأة تنقلب عليه الدنيا ، ويكون على أسوا الأحوال . وقد يكون عكس ذلك . وهذه استعاره تمثيلية .

يقول الصفدي: "وهذا من الأمثال المضروبة تقول العرب: "خامري حضاجر ، أتاك ما تحاذر _وحضاجر اسم للضبع، يقع على الذكر والأنثى_ ،ومن أسجاعهم في مثل هذا :لم ترع يا حضاجر ، كفاك ما تحاذر ، ضبارم مخاطر ، ترهبهم القساور _ الأسود _ . وهذا جعل مثلاً لمن عرف الدنيا في نقضها عهود الأمور ، بإيراد البلايا عقيب الرخاء ،ثم يسكن إليها مع علمه بأنّ من عادتها أن تسلب ما وهبت ، كما تغتر الضبع ، بقول القائل: خامري أم عامر

---

(١) سليمان بن علي بن عبدالله العفيف التلمساني أبوالربيع : الشاعر المتقن في علوم النحو والأدب والفقه والاصول ، له ديوان شعر . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٠، ص٤١٩ .

(٢) تمام المتون : ص٨٤. انظر : ديوان الشاب الظريف ابن العفيف التلمساني ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٤م : ص١٥٧ .

(٣) تمام المتون : ص ٣١٨.

، وأم عامر كنية الضبع ، وهي من أشهر كناها"[1]. وهي من الأمثال التي تضرب للغافل المغرور.

وخامري أي : تستري لأنّ العرب تعتقد أنّ الضبع من أحمق الحيوانات ، لأنّ الصيادين إذا أرادوا صيدها رموها بحجر فتخرج لتأخذه ، فيصطادونها . لأنّها حينما تخرج تحسب أن الحجر شيئاً يصاد ، فتصاد هي.

يقول الصفدي : وذكرت هنا لي بيتين نظمتهما في معني اقتضته الحال وهما :

وغـانية علقتها ظبية ومـــذ غدت ضَبُعاً سلبتها من ضمائري

فبا الأمس كان أم عمرو جميلـةفمـا بالهـا قد أضحت أم عامــر![2]

١٠) قال ابن زيدون : **"في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار "**[3]

والمعنى: أنّ شجر المرخ والعفار أفضل من باقي الشجر ، لأنّه إذا أحتك ببعضه أوري ناراً . وهو يمثل حالة من يفضل على أخيه . ويقال استمجد المرخ والعفار ، أي : استكثرا، وأخذا من النار ما هو حسبهما ، شبهاً بمن يكثر العطاء طلباً للمجد ، لأنّهما يسرعان الورى . يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض.

---

(١) تمام المتون : ص٣١٨ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج١، ص٣٣٢.

(٢) تمام المتون : ص٣١٩ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٤١ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج٢، ص٣١.

المبحث الرابع
المجاز العقلي والمرسل

تعريف المجاز العقلي :

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي . ويعرفه الجرجاني: "كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول فهي مجاز"[1]. أي : كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في الفعل ، بضرب من التأويل ، كإسنادنا الفعل أو ما يقوم مقامه إلى غير ما هو له. مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[الأنفال: ٢]. فهنا نسبت الزيادة التي هي من فعل الله تعالى إلى الآيات لكونها سبباً فيها[2]. ومن ذلك قولنا: شيدت الحكومة عدداً من معاهد العلم في العاصمة. فالحكومة لم تبنِ معاهد العلم بنفسها ولكنها أمرت ، ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية. ويعرفه السكاكي: "بأنّه الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطة، مثل قولك : أنبت الربيعُ البقلَ" [3].ومن المجاز العقلي إسناد المبنى للفاعل إلى المفعول ، أو إسناد المبني للمفعول إلى الفاعل. فالأول : مثل قوله تعالى :﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾[هود: ٤٣]. المعنى لا معصوم . والثاني : مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[الإسراء: ٤٥]. بدلاً من ساتر ، أي : استعمل المفعول بدل الفاعل. وبمعنى أوضح أسند الوصف المبنى للمفعول للفاعل. ومنه إسناد الفعل إلى زمانه ، كقول أبي الطيب مخاطباً كافوراً :

---

(١) أسرار البلاغة ، للجرجاني : ص٣٣٥.

(٢) أسرار البيان، لعلي محمد حسن العماري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣١٥هـ _١٩٦٥م : ص٣٣٩.

(٣) مفتاح العلوم، للسكاكي : ص١٨٥.

أبا المسك أرجو منك نصراً على العدا وآمل عزاً يخضب البيض بالدم

يومـــاً يغيظ الحـــاســـدين وحـــالة أقيم الشقا فيها مقـام التنـــعم

في قوله: "يوماً يغيظ الحادسين" مجاز عقلي ، علاقته الزمانية ، فإسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي ، غير أن اليوم هو الزمان الذي يكون فيه الغيظ . ومنه إسناد الفعل إلى مصدره مثل قول أبي تمام:

تكاد عطاياه يجن جنونها إذا لم يعوذها بنغمة طالب[1]

وإسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي علاقته المصدرية ، وللمجاز العقلي قرينتان لفظية ومعنوية[2].

تعريف المجاز المرسل :

من المجاز اللغوي له علاقات كثيرة ، ليست المشابهة من بينها ، وسمي بالمجاز المرسل لعدم تقيده بعلاقة واحدة[3]. أو هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ، لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين . يقول الشيخ أحمد مصطفي الطرودي التونسي: "ثم أعلم أن العلماء حصروا بالاستقراء طرق الاتصال في خمسة وعشرين نوعاً[4]: ومن علاقته على سبيل المثال:

١. اعتبار ما كان: مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴾[طه: ٧٤ – ٧٥].

٢. اعتبار ما يكون ، قال تعالى:﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ ﴾[يوسف: ٣٦].

---

(١) كتاب أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله دراسة تحليلية ، لعمر فروخ بيروت ١٣٨٤هـ_١٩٦٤م : ص١٦٨.

(٢)أسرار البيان، لعلي العماري : ص١١٣.

(٣) الإيضاح ، للقزويني : ص٢٣٣.

(٤) جامع العبارات في تحقيق الاستعارات ، لأحمد مصطفي الطرودي التونسي ، دراسة وتحقيق دكتور محمد رمضان الحربي ، ط١ ١٣٩٥هـ _ ١٩٨٦م : ج١، ص ٢٣٠.

٣. المحلية: كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾[العلق:١٧ _ ١٨]. حيث أطلق المحل النادي وأراد الحال.

٤. الحالية : قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٧]. رحمة الله مجاز أريد بها الجنة ، لأنّ الرحمة حالة فيها أطلق الحال وأراد المحل[١].

٥. الآلية: كقوله تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾[الشعراء: ٨٤]. حيث أطلق اللسان وهو الآلة التي يذكر بها ، فكلمة لسان مجاز لأنّه لم يريد آلة الذكر اللسان بل أراد الذكر نفسه فالعلاقة آلية .

٦. الضدية: أي تسمية الشيء باسم ضده، كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠]. كتسمية الأسود أشقر.

٧. الزيادة: أن يكون المعنى المجازي مبنياً على الزيادة . ومنه قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى: ١١]. على القول بصلة الكاف لأنّ معناها مثل ونفي المثل يوهم إثبات المثل لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً فوجب زيادة الحرف.

٨. المجاورة : أي تسمية الشيء باسم مجاوره ، كتسمية قضاء الحاجة بالغائط لأنّه في الأصل اسم للمطمئن من الأرض ، أي : المنخفض . ومنه طيب الله ثراه . حيث أطلق الثرى ، أي : التراب على الميت لمجاورته.

٩. حذف المضاف: سواء أقيم المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾[البقرة: ٩٣]. أي : حبه . أو عكسه ، مثل: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ، أي : ابن رجل ، وضح أمره.

١٠. الإطلاق والتقييد: كقوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[المجادلة : ٣]. أي : مؤمنة بدليل التقييد بالإيمان في آية أخرى.

---

(١) الإيضاح ، للقزويني : ص٢٣٧.

١١. إطلاق النكرة في موضع الإثبات للعموم: كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾[التكوير: ١٤]. أي : كل نفس ، وإنّما عدو ذلك من المجاز ، لأنّها لا تكون للعموم إلا في سياق النفي ، أو شبهه ، فصدق عليها حينئذ حد المجاز لاستعمالها في غير ما وضعت له. ومن علاقات المجاز المرسل الجزئية والكلية والسببية والمسببية واللازمية والملزومية وغيرها. والقرينة المانعة من إرادة المعني الحقيقي إما لفظية أو حالية تفهم من سياق الحديث[١].

المجاز في كتاب تمام المتون

المجاز العقلي :

ورد المجاز في كتاب "تمام المتون" عند شرح الصفدي لقول ابن زيدون : **"وهل أنا إلا يد أدماها سوراها ، وجبين عض به إكليله "**[٢]، حيث قال : "والعض معروف ، وإذا كان حقيقة فهو بالأسنان ، ويكتب بالضاد المعجمة ، وإذا كان مجازاً عظ الزمان ، وعظت الحرب ، كتب بالظاء القائمة"[٣]. فقوله عظ الزمان مجاز عقلي ، وعظّت الحرب أيضاً مجاز عقلي .

قال أبوبكر بن أحمد الصنوبري[٤]:

فما تسمع لي قولاً وما تقبل لي عذراً

وما لي فيك إلا الصبرساء الدهر أو سرا[٥]

في قوله: "ساء الدهر أو سرا" مجاز عقلي ، فالدهر لا يسيء ولا يسر ، بل الإساءة والسرور تأتيان من الناس . والفعل هنا أسند إلى غير ما هو له ، والذي

---

(١) جامع العبارات، للطرودي : ص٢٣٢_٢٤٣ .

(٢) تمام المتون : ص٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ص٦٥ .

(٤) احمد بن محمد بن الحسن الصنوبري الحلبي أبوبكر : شاعر اقتصر شعره على وصف الرياض والأزهار ، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٢٠٧ .

(٥) تمام المتون : ص٤٠، انظر: ديوان الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الضبي ، تحقيق دكتور إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م : ص٦٠_٦١.

سوغ ذلك الإسناد المسند إليه ، وهو زمان الفعل ، فالعلاقة الزمانية.

قال أبو فراس:

قد كنت عُدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي[1]

مجاز عقلي ، فالزمان لا يشتد ، بل يشتد من فيه من الناس . فالفعل هنا أسند إلى غير ما هو له ، والذي سوغ ذلك الإسناد المسند إليه ، وهو زمان الفعل فالعلاقة الزمانية. أي: أنت الذي اعتمد عليه عند الشدة ، وأنت الذي ادخرك لنوائب الدهر.

قال القاضي أبو الفتح نصر بن سيار الهرمزي السهرودي[2]:

ومثلك من تعانده الليالي وتجمع نحوه نوب الزمان[3]

في قوله: "من تعانده الليالي" مجاز عقلي ، فالليالي لا تعاند ، بل يعاند من فيها ، ولكنّه أسند الفعل إلى زمان الفعل.ومعنى تعانده الليالي : تَسُوء حاله ، وتحيط به المصائب من كل مكان ، وهذا كله بيد الله ، ولكنّه أسندها كما قلنا لزمان الفعل ، فالعلاقة الزمانية . قال صفي الدين الحلي:

ليس لي من صفات مجدك فخر هي أبدت لنا بديع المعاني

كلما أبدعت سجاياك معنًىنظمت فكرتي وخط بناني[4]

وهذه من ضمن الأبيات التي أرسلها الشيخ صفي الدين للصفدي ليجيزها. هنا يوضح الشاعر أنّ أخلاق الممدوح الفاضلة ، وصفاته الحميدة ، وسيرته العطرة ، أظهرت لنا المعاني البديعة ، وكلما أبدعت واقترعت سجاياه وصفاته معنًى نظمتها شعراً وكتبتها.في قوله: "أبدعت سجاياك" مجاز عقلي ؛ لأنّ

---

(١) تمام المتون : ص٤٦.

(٢)نصر بن سيار القاضي أبو الفتح الأسدي السهرودي: قال الباخرزي له شعر كاسم ابيه بحوافر الاجادة سيار ، وبقوادم الاصابة طيار . انظر : دمية القصر ، للباخرزي : ص٣٢١.

(٣)الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٦ ، ص٣٤ .

(٤) تمام المتون : ص٣٠٣ . انظر : ديوان الصفي الحلي : ص٢١٠.

الفعل أبدع أسند إلى غير فاعله ، ولأنّ السجايا لا تبدع وإنّما يبدع صاحبها ، ولكن لما كانت السجايا سبباً في الإبداع أسند الفعل إليها فالعلامة السببية.

أي : أن كل المعاني البديعة التي أنظمها شعراً لا فضل لي فيها ، فأنت صاحب الفضل ، لأنّ خلالك الشريفة وسجاياك العطرة هي التي تقودني لذلك.

المجاز المرسل :

قال ابن زيدون : **"ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه"**[1].

ففي قوله : **"يد الله"** مجاز مرسل ؛ حيث أطلق اليد التي هي سبب في نعمة البركة ، وأراد العطايا والنعم التي هي سبب في البركة ، فالعلاقة سببية .

يقول أبو فراس:

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي[2]

في قوله: **"يدي وساعدي"** مجاز مرسل ، والمراد باليد: العطايا والهبات ، واليد الحقيقية سبب في إيصالها للقاصدين والطالبين ، فالعلاقة هي السببية .

قال أبو تمام:

لقد زدت أوضاحاً امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرض من الأرض مجهلا

ولكن أيــاد صادفتني جسامــها أغــر فالفــت بي أغر مجهــلا[3]

أي: إنّك أكرمتني وزدت في شرفي وقدري ، وهي مثل قولهم بيض فلان وجهي إذا فعل بي حسناً وخيراً . أو لقد زدتني شهرة على شهرتي وذكر الأوضاح لأنّ الخيل التي بها أوضاح أشهر من تلك البلق ، ولذا قال لم أكن بهيماً ؛ لأنّ البهيم هو الذي لا يخالط لونه لون غيره . بمعنى أوضح : أنّ الممدوح وجده أغر .

قال أبو فراس الحمداني:

أما أياديك عندي فهي واضحةمــا إن تزالُ يدٌ منهــا تسوقُ يدا

لم لا أمد يدي حتى أنال بهــا مدى النجوم إذا ما كنت لي عضدا[1]

---

(١) تمام المتون : ص١٨٧ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٦.

(٣)المصدر السابق : ص ٢٩٩.

في كلمة "أياديك" مجاز مرسل أطلق الأيادي وأراد النعم التي حباه بها الممدوح ، والعلاقة بين كلمة "أيادي" وبين النعم أنّ اليد الحقيقية هي التي تمنح النعم ، فهي سبب فيها ، فالعلاقة هي السببية . يقول أبو الطيب:

له أياد على سابغة أعـــد منها ولا أعددها[٢]

حيث أراد أبو الطيب ذكر نعم الممدوح وأفضاله المتعددة عليه ، فلم يعبر عنها بشكل مباشر ، ولكنّه قام بذكر سبب هذه النعم وهي الأيدي التي تبذل الهبات للناس ، وتجزل العطاء وتمنح الأموال ، وأراد المسبب عنها ، وجمع الأيدي يدل على كثرة النعم التي يصعب حصرها وعدها ، فالعلاقة أيضاً السببية.

وحينما شرح الصفدي قول ابن زيدون : **"وبث المسك إلا حديثاً أذعته في محامدك "**[٣]، تحدث عن الثناء والذكر الحسن قائلاً : "قال أبو الطيب :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاله ، وفضول الناس أشغال

وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾، أي : ثناءً حسناً"[٤]. ففي قوله تعالى : ﴿لِسَانَ ﴾مجاز مرسل ، فاللسان سبب في الذكر ، وقد أطلق السبب وأراد المسبب ، فالعلاقة سببية . والثناء هو العمر الثاني المديد الباقي . وقال أبو اسحق الغزي:

فشهب الدراري للأفول طلوعهاوشهب القوافي ما لهن أفول[٥]

ففي قوله: "القوافي" مجاز مرسل ، لأنّه أراد بالقوافي الأشعار والقوافي جزء منها ، أي: أطلق الجزء وأراد الكل.

---

(١) تمام المتون : ص٢٨٢ .

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ١٩.

(٣) تمام المتون : ص٢٩١ .

(٤) المصدر السابق : ص٢٩٣ .

(٥) المصدر السابق : ص٢٩٣.

والمعنى : أنّ المال يفنى ويزول ، والثناء الحسن يتناقله الناس عبر الأجيال ، فكم من ملك أو أمير مات وماتت معه دراهمه التي وهبها للشعراء ، ولكن بقيت تلك الأشعار سجلاً حافلاً عبر الأزمان .

قال الصفدي: "وقال معاوية ﷺ لابن الأشعث بن قيس: ما كان جدك قيس بن معدي كرب أعطي الأعشى؟فقال: أعطاه مالاً وظهراً ورقيقاً وأشياء نسيتها. فقال معاوية : لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى"[1]. أي : أنّه ترك لكم ذكراً حسناً أبد الدهر. ويشبه هذا قول عمارة اليمني[2]:

وأين الثياب المذهبات قشيبةولي مذهبات فيك ليست بأسمال
سيبلي على قرب الجديد فعالكموتبقي علي سر الجديدين أقولي
ويعطل جيدي من حلي نداكموجيد معاليكم أبداً حالي[3]

يقول : إنّ مدحهم بثياب مذهبات ليست قديمة أو بالية ، أي : قصائد غراء مثل الثياب المذهبات إلا أنّ الفرق بينهما أنّ ثيابكم تبلى وتتمزق ، ولكن قصائده تبقي أبد الدهر . وما زينتم به جيدي من حلي سيزول ، أما ما زينت به جيدكم فسيبقي أبداً ، وحقيقة أنّ الأشعار التي يمدح بها العظماء تبقى أما الأموال التي يبذلها العظماء للشعراء فإنّها تبلى وتنقطع.قال الخفاجي:

ولي فيك من غر القوافي قصائد تقبل أفواه الرواة لها رشفا
ينم بها طيب النسيم إذا هفا وينشرها نور الرياض إذا رفا
وما أدعى هذا الكلام لأنّه صفاتك إلا أنني أحسن الوصفا[4]

---

(١) تمام المتون : ص٣٩٣.

(٢)عمارة بن علي بن زيدان ، ابو محمد نجم الدين اليمني الشافعي : كان شاعراً فصيحاً بليغاً، اديباً ماهراً . انظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٤ ، ص ٧١١ ـ ٧١٢ .

(٣) تمام المتون : ص٢٩٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٠٠.

أي : أنّ قصائدي من حسنها وإبداعها أن الرواة يقبلونها رشفاً ، والرشف يدل على اللذة والتمتع بها ، والنسيم الطيب ينقل خبرها بين الورى ، وينشرها نور الرياض ، وهذا الحسن لم يأتِ إلا لأنّ صفات الممدوح هي التي جعلت هذا الوصف يأتي أفضل وأجمل . هذه الأبيات استشهد بها الصفدي في شرح قول ابن زيدون **"بل وجدت آجراً وجصاً فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت"**. يقول الصفدي: "يعني أنّه لا فضل لي في مدائحك لأنني فيها كمن وجد آجراً وجصاً فبني بيتاً من ذلك ، وشيد مكاناً ولكن لي في ذلك بعض فضل"[1].

في قوله " القوافي" مجاز مرسل ، حيث أطلق القوافي وأراد بها القصائد ، والقوافي جزء من القصائد ، فهو أطلق الجزء، وأراد الكل فالعلاقة الجزئية.

قال أبو الطيب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم[2]

أراد الشاعر أن يعبر عن أدبه الذائع الصيت ، والمشهور والمنتشر في كل بقعة ، والذي بلغ في الشهرة مبلغاً جعل من لا علم له بالأدب ينظر إليه ويعلمه ، ومن لم يسمع شعراً يسمع كلماته ويدركها ، وقد عبر الشاعر بـ"الأعمى"و"الأصم" وأراد من لا معرفة له بالأدب ، ولا علم عنده ولا يجيده ، والعلاقة بين المعنيين السببية ، فإن السمع والبصر من أسباب العلم بالأشياء وإدراكها ، والعمى والصمم من أسباب الجهل بها ، والقرينة قوله: "نظر، وأسمعت" فإنّه يستحيل أن يبصر الأعمي شيئاً ، أو أن يسمع الأصم حديثاً.

وقال ناصر الدين شافع بن عليّ[3]:

أرانا يراع ابن الوحيد بدائعاً تشوق بما قد أبهجته الطرق

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٠٠.

(٢) تمام المتون : ص٤٢ . انظر: ديوان المتنبي ،للعقباوي : ص٢٦٧.

(٣) ناصر الدين بن شافع بن عليّ ، الكناني العسقلاني ، كاتب مؤرخ ، باشر ديوان الإنشاء بمصر زماناً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص١٥٢ .

بها فات كل الناس سبقاً فحبذا يمين له قد أحرزت قصب السبق[1]

في قوله: "يراع" مجاز مرسل ، لأنّ اليراع هو آلة الكتابة والإبداع والفنون ، ولما كان اليراع هو الآلة التي يكتب بها كانت العلاقة هي الآلية.

وقال البحتري:

أصغ تستمع حر القوافي فإنّهاكواكب إلا أنّها سعود

ولا تمكن الإخلاق منها فإنّما يلذ لباس البُرْدِ وهو جديد[2]

في قوله: "حر القوافي" مجاز مرسل ، أطلق القوافي وأراد القصائد ، والقوافي جزء من القصائد فالعلاقة الجزئية . أي : استمع إلى قصائدي أول كتابتي ونظمي لها ، ولا تؤخر استماعها حتى تصير قديمة خلقة ، فإنّ البرد واللباس يستحسن ويلذ لباسه إذا كان جديداً . وقال حسان:

ضحوا بأشمط عنوان السجود يُقَطِع الليل تسبيحاً وقرآنا[3]

في قوله: "عنوان السجود" مجاز مرسل أطلق السجود وأراد به الصلاة ، أي: أنّ سيدنا عثمان ﷺ كان كثير الصلاة والقيام ، فالعلاقة جزئية لأنّ السجود جزء من الصلاة.قال الصفدي: "كتب الوزير أبو بكر بن سعيد بن القبطرية البَطَلَيُوسي إلى الوزير أبي الحسين بن سراج : ولو لا عوائق الزمان لطرت إليه بجناح ، أو لامتطيت إليه أعناق الرياح"[4].

في قوله: "بجناح" مجاز مرسل ، لأنّه لا يطير بجناح ، وإنّما أطلق الجزء وأراد الكل ، فالعلاقة الجزئية.

---

(١) تمام المتون : ص٤٦.

(٢) المصدر السابق : ص٢٨٧ .

(٣) تمام المتون : ص١٩١ . انظر: شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق البرقوقي : ص٤٦٩.

(٤) تمام المتون : ص ٢١٨.

في قوله: "وإذا الديار تنكرت" مجاز مرسل ، فالديار لا تتنكر ، وإنّما المقصود سكان هذه الديار وأهلها ، فهذا مجاز مرسل حيث أطلق المحل "الديار" وأراد "الحال" سكانها وأهلها فالعلاقة المحلية.

الفصل الثالث
الكناية

تعريف الكناية :

في اللغة: أن تتكلم بالشيء وتريد غيره . وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة على معنى آخر لازم له ، أو مصاحب له ، أو يشار به عادة إليه ، لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه . يقول المراغي: "الكناية لغة أن تتكلم بشيءوتريد غيره ، وقد كنوت بكذا عن كذا ، أو كنيت إذا تركت التصريح به"[1].

وعرفها البلاغيون بأنّها لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي .

والمعنى الاصطلاحي واللغوي متقاربان في المعنى . يقول الجرجاني: "والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكنّه يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه فيؤمي إليه ، ويجعله دليلاً عليه"[2].

فمثلاً لفظ "طويل النجاد" كناية والمراد به طول القامة ، وقد يراد به المعني الأصلى أي : طول علاقة السيف. وهذا هو سبب اختلاف الكناية عن المجاز ، ففي الكناية يجوز إرادة المعنى الحقيقي ، وهذا خلاف للمجاز الذي لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته . وهي ثلاثة أنواع:

---

(١) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٠١ .

(٢) دلائل الأعجاز ، للجرجاني : ص٦٦.

أ) **كناية عن صفة**: مثل : فلان كثير الرماد ، والمراد صفة الكرم . لأنّ كثرة الرماد تدل على كثرة الإحراق ، ومنها إلى كثرة الضيوف . ومثل هذه الكناية تعد كناية بعيدة لأنّه ينتقل منها إلى المطلوب بواسطة . يقول المراغي: "ونظيره قول الآخر:

وما يك في من عيب فإنّي جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن الذهن ينتقل من جنب الكلب عن الهرير في وجه من يقصد داراً هو مقيم على حراستها ، والعكس دونها مع أنّ ذلك ليس من طبعه إلى أنّه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجري عادته ، ثم إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً أثر وجوه ، ومن ذا إلى كونه ملجأ للقاصي الداني ، ومن ذا إلى أنّه مشهور بحسن وقرى الأضياف"[1].

والكناية الأخرى هي القريبة وهي التي ينتقل منها إلى المطلوب بلا واسطة .يقول القزويني: "هي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بلا واسطة"[2]. ويستشهد لها بقوله: "ومنها قول الحماسي :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهوراً"[3]

ب) **كناية عن موصوف**: مثل قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[القمر: ١٣]. والمعنى : المراد هو السفينة حيث وضع صفتها موضع تسميتها . يقول المراغي : "شرطها الاختصاص بالمكنى عنه ليحصل الانتقال منها إليه"[4].

ج)**كناية عن نسبة**: ويراد بها نسبة أمر لأخر إثباتاً أو نفياً ، فالمكنى عنه نسبة . مثل قول البحتري:

أو ما رأيت المجد ألقى رحلهفي آل طلحة ثم لـم يتحـــول[5]

---

(١) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٠٣.

(٢) الإيضاح ، للقزويني : ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠٤.

(٤) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٠٣.

(٥) شرح ديوان البحتري ، للفاخوري : ج٢ ، ص٢٧٦ .

حيث نسب المجد إلى آل طلحة ، فأبرز المجد وهو معنوى في صورة شخص يلقي رحله ويقيم ، كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً ، بعناية الوضوح .

يقول القزويني: "المطلوب بها نسبة ، كقول زياد الأعجم:

إنّ السماحة والمرؤة والندىفي قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنّه حين أراد ألا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة ، تنبيها بذلك على محلها ذو قبة وجعلها مضروبة عليه ، لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له ، بطريق الكناية . ونظيره قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه"[1].

وإنّها تضع المعاني في صورة المحسوسات . مثل قول زياد الأعجم[2] السابق

فالسماحة والمروءة والندى صفات معنوية ولكنّه جعلها محسوسة . يقول المراغي: "وليس بالخفي ما للكناية من فضيلة في ألباس المعقول ثوب المحسوس ، أتراك تشاهد لطف التعبير ، ودقة التصوير ، إذ تأملت الكناية بحمالة الحطب عن النمامة التي تفسد ذات البين ، وتهيج الشر ، في قوله تعالى يصف امرأة أبي لهب: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[المسد: ٤] فإنّك وأنت تقرؤها يخيل إليك أنّها ممسكة حطبها بيديها ، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين قوم ، وتؤلب بعضهم على بعض"[3].

والكناية مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه ، وصفت قريحته . ومن أسرارها وجمالها أنّها تعطيك الحقيقة مصحوبة بالدليل كقول البحتري:

يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدألهم عن مهيب في الصدور محبب

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني : ص٢٠٨.

(٢) زياد الأعجم مولى عبد القيس أبو امامة العبدي : عده محمد بن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٠ ، ص١٥٣ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٠٩.

فإنّه كنى عن إكبار الناس للممدوح ، وهيبتهم إياه بغض البصر الذي هو في الحقيقة برهان ودليل على الهيبة والإجلال.

ومن خصائصها أنّها تمكن البليغ من التعبير عما لا يحسن ذكره بعبارة تسيغها الأسماع . ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ ﴾[النساء: ٤٣]. ومن أسرارها أيضاً أنّها تمكنك من التعبير عما فيه جرح بعبارة يستسيغها السامع ، أي: النيل من الخصم ، دون أن ندع له سبيل . وهذا النوع يسمى بالتعريض. ومثال ذلك قول أبي الطيب :

رحلت فكم باك بأجفان شادن على وكم باك بأجفان ضيغم
وما ربة القرط المليح مكانه بأجزع من رب الحسام المصمم
فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم
رمي واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقوسي وأسهمي
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم[1]

يقول الهاشمي: "فإنّه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المعمم ، ثم وصفه بالغدر الذي يدعى أنّه من شيم النساء ، ثم لامه على مبادرته بالعدوان ، ثم رماه بالجبن لأنّه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره . على أنّ المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله ، لأنّه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوًى قديماً ، يَكسر كفه وقوسه وأسهمه إذا حاول النضال ، ثموصفه بانّه سيء الظن بأصدقائه ، لأنّه سيء الفعل كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظن أنّ الناس جميعاً مثله في سوء الفعل ، وضعف الوفاء . فأنظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله من غير أن يذكر من أسمه حرفاً"[2].

الكناية في كتابتمام المتون

(١)شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤ ، ص٨١ .

(٢) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٢٨٢.

تعد الكناية من الأساليب التي تناولها الصفدي ، وهي كالاستعارة لم يقسمها لأنواع كعادة البلاغيين ، ولكنّها وردت متناثرة مثلها مثل كل الألون البلاغية التي ذكرها مستشهداً بها .يقول شوشو: "إنّ الإحساس الأدبي لدي الصفدي ، إضافة إلى مخزونه الغزير من الشواهد الأدبية ، فضلاً عن سيره على منهج القدماء جعله يستحسن الكناية ، ويعدها أبلغ من التصريح ، إضافة إلى أنّه بعدم حديثه عن البعيد من الكنايات التي استقبحها بعض البلاغيين وباختصار شواهده على المقبول منه ، إشارة إلى أنّه سائر على منهجهم في قبول ما استحسنوه وما وضعوه لذلك الاستحسان من أسباب ، مثل قرب المعنى حتى لا تصبح لغزاً ، وملاحة الاستخدام حتى تأتي في موضعها غير متكلفة"[1].

وتراه يشرح في جزء من أجزاء الرسالة فيأتي له بشاهد من الشواهد فحينما يكون فيه كناية يقول : كنى بكذا عن كذا ، فمثلاً يقول الصفدي شارحاً قول ابن زيدون: **"لعلي ألقى عصاي بذراك ، ويستقر النوى في ظلك"**[2]. يشرح الصفدي هذا مستشهداً بالشعر ثم يتحدث عن الكناية ، يقول : "وقد حل في هاتين السجعتين قولاً لمعقر بن أوس بن حمار البارقي حليف بني نمير:

فألقت عصاه واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

وقبل هذا البيت:

وحلت سليمي في هضاب وأيكة فليس عليها يوم ذلك قــادر

والعرب تكني عن الاستقرار والسكون بإلقاء العصا، لأنّ المسافر إذا ألقي عصاه عن كتفه فقد قرَّ قراره وسكنت حركته"[3]. فهذه كنـاية عـن صفة ، عـلىالرغم من أنّه شرحها وفسرها ولكنّه لم يسمها.

---

(١)النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص٢٢٢ . انظر : مفتاح العلوم ، للسكاكي : ص٤٠٥.

(٢) تمام المتون : ص٣٦٦.

(٣) المصدر السابق : ص٣٦٦.

ويتحدث عن الكناية عن موصوف في استشهاده بقول حاتم الطائي: "ولطمتني غير ذات سوار"[1]. وهذه كناية عن موصوف ، إذ أطلق ذات السوار وأراد بها الحرة "وغير ذات السوار" وأراد بها الأمة وصارت مثلاً.

وتحدث عن الكناية عن نسبة من غير أن يسميها ، وذلك باستشهاده بالأبيات الآتية . يقول: "وقال عمارة اليمني :

إن الكفـــالة والـــوزارة لـم تزل يؤمي إليك بفعلها ويشـــار
كـــانت مسـافرة إليك وتبعـــدالأخطـــار ما لم تركب الأخطار
حتى إذا نزلت عليك وشـاهدت ملكاً يزين الملك من ســوار
ألقت عصـاهـا في ذراه وعُـرِّيتعنها السروج وحُطّت الأوكار"[2]

ففي قوله: "كانت مسافرة إليك" كناية عن نسبة . وقوله: "حتى إذا نزلت عليك" أيضاً كناية عن نسبة ، لأنّه نسب الخلافة إلى منزله فجعلها تسافر وتنزل عليه ، لأنّه حينما أراد أن لا يصرح بإثبات الخلافة إليه ، وتأييد الناس له ، جمعها في أنّها مسافرة إليه ، ونازله في داره ، محصورة عليه لوجود منازل غير منزله ، وأماكن للسفر غير مكانه ، فأفاد إثبات الخلافة له عن طريق الكناية .

قال المراغي : "يقول الشاعر:

ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تشيد أطناباً له وعمـــود

في هذا البيت كناية عن نسبة هي اتصافه بالملك ، لأنّ الذهن ينتقل من ملازمته بيت الملك وحلوله في ذلك المكان إلى كونه ملكاً وهى من نوع الإيماء"[3].

---

(١) المصدر السابق : ص٣٧٤.

(٢) تمام المتون : ص٣٦٩.

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣١٠.

المبحث الأول
الكناية عن صفة

١)قال ابن زيدون:**"وإنّي غلبني المغلب ، وفخر على العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار"**[١].

في قوله: **"وإنّي غلبني المغلب ، وفخر على العاجز الضعيف"** هذه كناية عن الذل والهوان الذي أصابه ، لأنّ الإنسان إذا غلبه القوي وافتخر عليه الأفاضل لا ضير ، ولكن إذا غلبه الضعيف وافتخر عليه العاجز كان أشد ذلاً وهواناً . يقول : "وهذه ثلاثة أمثلة من أمثلة العرب فالأول من بيت شعر لأمرئ القيس وهو:

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

يريد بذلك أنّه أشد ما على الإنسان أن يفخر عليه فاخر ضعيف ، وأن يغلبه مغلب وهو المغلوب"[٢].

وقالت الخنساء:

وإنّ صخراً لمولانا وسيدنا وإنّ صخراً إذا نشتو لنحار[٣]

تقول إنّ صخراً هو قائد القبيلة وسيدها ، وحينما يأتي وقت الشتاء وهو الوقت الذي ينعدم فيه المطر ، ويكثر الجوع ، وهو زمن المحل والجفاف عند العرب ، فإنّ صخراً ينحر الإبل . واستخدمت لفظ "نحّار" وهي صيغة مبالغة تؤكد الكثرة والزيادة.

اللون البياني كناية عن صفة ، والمعنى المقصود من الكناية شدة كرمه . فهي لم تصرح بالكرم والجود ، وإنّما صرحت باللازم وهو "لنحّار".

---

(١) تمام المتون : ص٢٧٢.

(٢) المصدر السابق : ص٢٧٢.

(٣) المصدر السابق : ص٣٢.

قال الإمام أبو الفضل طاهر الفقيه المحدث:

أشـــارت إلــيّ بعنـــــابه مخضــبة مـن دم الأفئدة

وقالت : على العــهد يا سيديفقلت إلى الحشر يا سيدة[1]

معنى قوله: "إلى الحشر يا سيدة " أي : أنّ عهدي ومحبتي لك دائمة إلى يوم القيامة. واللون البياني: كناية عن صفة. والمعنى المقصود من الكناية هو البقاء الدائم على العهد ، وعدم نقض حبال الود.

قال ابن حيوس:

معنى الكرماء صانوا ما وجهي بما بذلوه عن ذل السؤال[2]

في قوله: "ماء وجهي" كناية عن صفة ، ولازم المعني الذي أراده هو كرامتي شرفي وعزتي.

قال الصفدي: تمثل سيدنا معاوية بقول الشاعر:

إذا مت مات الجود وانقطع الندى من الناس إلا من قليل مصرد

ورُدَّت أكف السائلين وأمسكــوا من الدين والدنيا بجلف مجرد[3]

في قوله: "انقطع الندى" كناية عن صفة ، أي : أنّه لا يوجد من يحسن إلى الناس بعده. وكذلك في قوله: "وردت أكف السائلين وأمسكوا" كناية عن صفة أيضاً. والمعنى العام للبيت أنّه بموت سيدنا معاوية ﷺ ينقطع الكرم والإحسان عن الناس إلا إحسان قليل جداً واستعار الموت للجود ليؤكد استحالة وجود الجود بعده ، والسائلون لا يجدون من يكرمهم ويحسن إليهم.

قال أبو طالب:

من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفاً وجهه يتربد[4]

---

(١) تمام المتون : ص٣٦.

(٢) المصدر السابق : ص٤٧.

(٣) المصدر السابق : ص٦٢.

(٤) المصدر السابق : ص١٤٠.

في قوله: "إذا سيم خسفاً وجهه يتربد" كناية عن صفة والمعنى المقصود من الكناية رفضهم للضيم والذل.قال بكر بن حماد:

قل لابن ملجم والأقدار غالبـــة هدمت ويلك للإسلام أركانا

قتلت أفضل من يمشى على قدم وأول الناس إسلام وإيمـانا[1]

في قوله: "أفضل من يمشى على قدم" كناية عن أنّه أفضل وأعظم أهل زمانه ، ومن يأتي بعده ، وهي كناية عن صفة. ومثل ذلك قول جرير[2]:

ألستم خير من ركب المــطايا وأندى العالمين بطون راح[3]

أي: أنّكم أفضل من ركب على الإبل ، وأراد بقوله هذا أنكم أفضل الناس ، وأما قوله: "وأندى العالمين بطون راح" أي : أنّكم أكرم الناس. فالراحة إذا كانت ندية دلت على كرم صاحبها ، وحينما يقال: فلان أندى الناس يداً يعني ذلك أنّه أكرمهم.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر: ٦٧].وهذه كناية عن قدرة الله عز وجل واستيلائه الكامل على الأمور ، يقول الصفدي: "وفي قوله: "بيمينه" لطيفة لأنّه لم يقل "وفي يمينه" حتى ينفي الظرفية التي هي من لوازم الأجسام ، وكل هذه العبارة كناية عن القدرة والاستيلاء الكامل فتبارك الله العظيم"[4].

قال الصفدي: حكى بعضهم قال: جعت يوماً فقلت: أذهب إلى صديقي فلان، فاتغدي عنده فلما أتيت داره وجدت ابنه فقلت له: أين أبوك؟ فقال: أعطني كسرة حتى أقول لك أين هو"[5].

---

(١) تمام المتون : ص٢٠١.

(٢) جريربن عطية بن الخَطَفَى التميمي الشاعر المشهور ابو حـزرة : كـان مـن فحـول الشـعراء في الإسلام . وكان بينه وبين الفرذدق مهاجاة ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(٣) تمام المتون : ص٣٨٢.

(٤) المصدر السابق : ص٣٨٧.

(٥) المصدر السابق : ص٣٦١.

وهذه كناية عن الجوع الشديد ، فهو بدل أن يقول إنّني جائع أطلق لفظاً آخر وهو طلبه الأكل شرطاً للإخبار عن أبيه.

يقول الهاشمي: "نعم قد تمتنع إرادة المعني الأصلى في الكناية لخصوص الموضوع: كقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾كناية عن تمام القدرةوقوةالتمكن والاستيلاء"[1].

ب) يقول ابن زيدون: **"وذلك بيده وهين عليه"**[2].

يشرح الشيخ الصفدي كلام ابن زيدون بقوله: "أي : بيده هذا الذي سأله وقصده فيه وأمره راجع إليه ، وهو في حكمه يصرفه كيف أراد على ما يختار ، كما يكون الشيء بيده وهو كناية عن القدرة والاستيلاء"[3].

وهذه كناية عن صفة ، والمراد من الكناية القدرة التامة على كل شيء والاستيلاء الكامل على الأمور.

وقال أبو طالب يمدح أولئك النفر من قومه الذين مزقوا الصحيفة:

طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجه يسقى الغمام ويسعـــد

عظيم الرماد سيد وابن سيــد يحض على مقرى الضيوف ويحشد[4]

في قوله "طويل النجاد" كناية عن طول لقامة والوسامة ، والعرب تحبذ الطويل وتراه أحد صفات القيادة والعزة ، يقول ابن حجة الحموى: "مثال ذلك قولهم" طويل النجاد كثير الرماد" يعنون بذلك أنّه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بلفظه الخاص ولكنهم توصلوا إليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود ألا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد وإذا كثر القرى كثر الرماد"[5].وقوله:

---

(١)جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص٣٧٥.

(٢) تمام المتون : ص٣٨٢.

(٣) المصدر السابق : ص٣٨٢.

(٤) المصدر السابق : ص١٤٠.

(٥) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٤،ص٢٥.

"خارج نصف ساقه" كناية عن صفة الاستعداد .وقوله: "على وجهه يسقي الغمام ويسعد" كناية عن شرفه وعلو مكانته لأنّ الناس في الجاهلية يستسقون بأشراف الناس وأفضلهم ، وفي الإسلام يستسقون بأشرفهم وأتقاهم وأخشاهم لله.وقوله: "عظيم الرماد" كناية عن صفة الكرم ، وأنّ هذا الكرم والسيادة موروث كابراً عن كابر وليس مستحدث ، فهو سيد وبن سيد وهذه تسمي بالكناية البعيدة ، لأنّ الانتقال إلأى المعنى الكنائي يتم عبر لوازم متعددة بمعنى أن كثير الرماد أي : كثير الجمر ويلزم من ذلك أنّه كثير الاشتعال ، ومن ثَمَّ أنّه كثير الولائم ، وكثرة الولائم تدل على كثرة الضيوف ، وبما أنّه كثير الضيوف يعني أنّه كريم ، يقول الإمام عبد القاهر: "فليست المزية في قولهم "جم الرماد" إنّه دل على قرى أكثر ، بل إنّك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأوجبته إيجاباً هو أشد وأدعيته دعوى أنت بها وبصحبتها"[1].

قال دعبل بن علي:

ولـو أنّي بليت بهاشمي خؤولته بنو عبـد المـدان

لهان عليَّ ما ألقي ولكن تعالوا فأنظروا بمن ابتلاني[2]

أي: أنّ ما حدث له كان من بني هاشم وأخواله من بني عبد المدان لهان عليه ما يلقي لأنّهم أنداده ، ولكنه ابتلى بمن هو أدنى منه وقوله: "فأنظر بمن ابتلاني" هذا اللفظ كناية عن أنّ من ابتلي به أقل منه ، وهي كناية عن صفة.

قال البحتري:

وألبستني النعمة التي غيرت أخي على فأمسى نازح الود أجنبا[3]

في قوله: "فأمسى نازح الود أجنبا" كناية عن صفة أطلق هذا اللفظ وأراد لازم معناه. أي أن أخاه ابتعد عنه.

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني ، ص٧١.

(٢) تمام المتون : ص ٢٧٤. انظر : ديوان دعبل الخزاعي : ص٣٥٩ .

(٣) تمام المتون : ص٢٨٢ . انظر : شرح ديوان البحتري ، للفاخوري : ج١، ص ١٢٢.

قال أبو فراس الحمداني:

وأنت الذي بلغتني كل رتبــة مشيت إليها فو قأعناق حسدي[1]

في هذا البيت كناية عن صفة ، وهي في قوله: " فوق أعناق حسدي" والمعنى المقصود على كره منهم وخص الأعناق لأنّها هي التي يحمل عليها ، ووقع الألم عليها أصعب وأشد.قال أبوبكر بن سعيد[2]:

"ولو لا عوائق الزمان لطرت إليك بجناح ، أو لامتطيت أعناق الرياح ، ولاستبطأت السلاهيب ، واستهجنت الجرد اليعابيب"[3].

في قوله: "امتطيت أعناق الريح" كناية عن صفة ، أراد أن يقول أنّه سيأتيه بسرعة شديدة ، فكنى عن ذلك بانّه سيركب على متون الطيور ، وعلى أعناق الرياح ، وكلاهما موسوم بالسرعة . وكذلك في قوله: "ولاستبطأت السلاهيب" و"استهجنت الجرد اليعابيب"، أي : أنّ هذه أقل سرعة من تلك .

قال السموأل[4]:

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما[5]

وضح أنّه وبنى قومه شجعان يتلقون الأعداء بصدورهم ، ولا يولون الدبر ، والجروح التي تصيبهم في الحرب تكون من جهة وجوههم ، حيث تساقط الدماء على أقدامهم ، ولا تتساقط من ورائهم على جهة ظهورهم.

وهذه كناية عن صفة ، أي : أننا نموت وتدمي جروحنامقبلين لا مدبرين . والمعنى المقصود من الكناية الشجاعة. فالشطر الأول : كناية عن صفة الجبن التي

---

(١) تمام المتون : ص٢٨٣ . انظر: ديوان أبي فراس رواية ابن خالويه : ص٨٥.

(٢) عاصم بن أيوب أبوبكر البطليوسي : الأديب ، كان لغوياً ، عالماً فاضلاً ثقة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١١ ، ص٣٥٨ .

(٣) تمام المتون : ص ٢١٨.

(٤) السموأل بن عادياء ، من أهل تيماء في أطراف الشام ، من العرب الذين اعتنقوا اليهودية . انظر : طبقات الشعراء ، لابن سلام : ص١٣٩ .

(٥) تمام المتون : ص٢١٥.

ينفيها الشاعر عن قومه ، وفي الشطر الثاني : كناية عن صفة الشجاعة التي يثبتها لهم ، لأنّ الدماء تتساقط على الأعقاب في حالة الفرار ، وتتساقط على الأقدام في حالة الإقدام والمواجهة.

قال معن بن أوس[1]:

قلبت له ظهر المجن فلم أقــم على ذاك إلا ريثما أتحـول[2]

في قوله: "قلبت له ظهر المجن" كناية عن صفة ، والمعنى المقصود من الكناية هو إظهار العداوة . يقول المراغي: "وأن أراد كنى عن مقصوده وورى عن مراده ، فقال: ألبسوا عدوكم جلد النمر ، وأقلبوا له ظهر المجن"[3]. وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه مودة ورعاية ثم حال عن العهد هذا وتكنى العرب من يجاهر بالعداوة بقولهم: "لبس له جلد النمر" ، و"جلد الأرقم" ، وهي الحية التي فيها سواد وبياض ، وقلبت له ظهر المجن.

قال أبو طالب:

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن كذي الذنب[4]

يقول أيضاً:

أليس أبونا هاشــم شـد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

في قوله : "قبل أن يحفر الثرى" كناية عن صفة ، والمعنى المقصود من الكناية هو الموت.

وفي قوله: "أبونا هاشم شد أزره" كناية عن صفة ، أيضاً والمعنى المقصود الاستعداد . يقول أيضاً:

---

(١) معن بن أوس بن نصر المزني ، شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدح لجماعة من الصحابة ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص٢٧٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٣١٠.

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٢٧٦.

(٤) تمام المتون : ص ١٣٥-١٣٦ . البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١، ص ٥٠٨.

من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفاً وجهه يتربــد"[1]

في قوله: "إذا سيم خسفاً وجهه يتربد" كناية عن صفة ، أطلق هذا اللفظ وأراد به رفضه للضيم والذل لأنّه من الأكارم والأمجد .

قال سراج الدين الوراق:

متلون الأخلاق حرباواتــهاوسواده يمتـاز منـه القـــار

ويسئ آدابـاً على ودأبي الـ إغضاء عنه ودأبه الإصرار[2]

وصف الشاعر عبده بالخداع والغش . وفي قوله: "متلون الأخلاق حرباواتها" كناية عن صفة ، والمعنى المقصود الكناية النفاق.

(١) تمام المتون : ص١٤٠ . البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١، ص ٥٠٨.

(٢) تمام المتون : ص٢٢١.

المبحث الثاني
الكناية عن موصوف

١) قول ابن زيدون: **"والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيها مراضعه"**[١].

أراد بقوله : **"أرضاً فيها قوابله "** أي : مكان ميلاده ، و**"بلداً فيها مراضعه "** أي : مكان رضاعه ، وكلاهما كناية عن موصوف .

هذا ويستشهد الصفدي بمجموعة من الأمثلة يدور معناها حول كلام ابن زيدون السابق .

قال الصفدي : قال الأول:

أحب بلاد الله ما بين منعج إلى وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها[٢]

وقول محمد بن غالب الرصافي[٣]:

بلادي التي ريشت قويدمتي بهـا فريخـاً وأوتنـي قراراتـها وكـرا

قيادي لين العيش في رونق الصبا إلى الله أن أنسى اغترارى بها غِرَّا

لبسـنا بـها ثوب الشباب لباسها ولكن عرينا من حلاه ولـم يعـرا[٤]

والكنايات هي: "بلاد بها عق الشباب تمائمي" و"أول أرض مس جلدي ترابها" و"بلادي التي ريشت قويدمتي بها فريخا" وكل هذه الكنايات هي كناية عن موصوف.

---

(١) تمام المتون : ص٣٣٢.

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٢. وهذه الأبيات وردت في رسالة ابن زيدون .

(٣) محمد بن غالب الرصافي ابوعبد الله الاندلسي : كان شاعر زمانه ، شعره مدون ينـافس فيـه . لم يتزوج ، وهو متعفف . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ص١٦١ .

(٤) تمام المتون : ص٣٣٢.

قال ابن ميادة[1]:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بحرَّة ليلى حيث ربتني أهلي

بلاد بها نيطت على تمائمي وقُطِّعْنَ عني حين أدركني عقلي[2]

في قوله: "حيث ربتني أهلى" يقصد الشاعر المكان الذي ولد فيه وكذلك قوله:"بلاد بها نيطت علي تمائمي" وكلاهما كناية عن موصوف وأيضاً في قوله: "وقطعن عني حيث أدركني عقلي" كناية عن موصوف وكلها يقصد موضع مولده.

يقول الصفدي: "وأما الشفاعة فحكي أن عبد الله بن خارجة امتدح عبد الملك بن مروان فأعطاه عشرة ألاف درهم ، وعشرة تخوت من الثياب ، وأقطعه ألف جريب ، وقال له: أمض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عائلاً فأتى زيداً ، فقال: ائتني غداً فتردد إليه ، وكتب له شعراً فما أفاده شيئاً ، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبي فكلمه سفيان فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان وقال له:

إذا بدأت أبا يحي فأنت لهاولا تكن حين هاب الناس هيابا

وأشفع فإنّك أنف لم تكن ذنبا فإنّ من شفعاء الناس أذنابا

فأتى سفيان إلى زيد الكاتب ولم يفارقه حتى قضى شغله"[3].

في قوله: " فإنّك أنف" كناية عن موصوف ، أراد إنّك سيد وقائد ورأس في قومك ، وفي المقدمة لأنّ الأنف في المقدمة.

---

(١)الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني بن ميادة ، أبو شرحبيل المضري : شاعر رقيق هجاء من مخضرمي الأموية والعباسية، ومن العلماء من يرى أنَّه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣ ، ص٣١ .

(٢) تمام المتون : ص٣٣٢ . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص٥٥٩ .

(٣) البيان والتبيين ، للجاحظ : ج٤ ، ص٣٨ .

وكذلك قوله: "لم تكن ذنباً" كناية عن موصوف ، والمعنى المقصود من الكناية أخر الناس وأتباعهم . وقديماً قال الشاعر يمدح بني أنف الناقة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم فمن يساوى بأنف الناقة الذنبا[1]

فصاروا يفتخرون بهذا الاسم وقد كانوا من قبل يرونه ذماً لهم ولا يذكرونه . ويستطرد الصفدي في الحديث فحينما ذكر الشفيع قال: "وقضية الفرزدق والنوار امرأته حين قال:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراًمثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

مشهورة"[2].في قوله:"الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً" كناية عن موصوف ، أطلق هذا اللفظ وأراد به الرجل . وأما قوله: "الشفيع الذي يأتيك عرياناً" يقصد بها المرأة وهي كناية عن موصوف أيضاً.والمعنى: إنّ القاضي لم يقبل شفاعة أبنائه ، بينما قبل شفاعة زوجه وهي بنت منظور ، والسبب أنّ الفرزدق حينما طلق زوجه النوار بنت مجاشع وتحاكما للأمير كان شفيع الفرزدق أبناء الأمير ، وشفيع النوار زوج الأمير "بنت منظور" وكان الحكم لصالح النوار ، فغضب الفرزدق وكتب هذه الأبيات وأراد "بالشفيع الذي يأتيك مؤتزراً" أبناؤه "وبالشفيع الذي يأتيك عرياناً" زوجه.

قال امرؤ القيس:

خليلي مرا على أم جندب نقض لبانات الفؤد المعذب

فإنّك لم يفخر عليك كفاخرضعيف ولم يغلبك مثل مغلب[3]

يقول: لأنّ المغلب والعاجز الضعيف إذا قدرا لم يبغيا ، وقيل: إنّ ذلك أشد ذلاً على المغلوب وهو الأقرب.

---

(١) تمام المتون : ص٣٦٠.

(٢) المصدر السابق : ص٣٦٠ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١، ص١٩١٣.

(٣) تمام المتون : ص٢٧٣. انظر : شرح المعلقات العشر ، للشنقيطي : ص١٩ .

وقوله"ولطمتني غير ذات سوار" : "هذا المثل أطلقه حاتم : قاله عندما لطمته أمة قد جاءته ببعير ليفصده فنحره ، ويعني بذات السوار الحرة من النساء"[1]. لأنّ الأسورة في الغالب تلبسها الحرائر .

يقول الصفدي ذكراً قصة أخرى لهذا المثل: "إنّ حاتماً الطائي مر ببلاد عنزة في بعض الشهر الحرم ، فناداه أسير لهم يا أبا سَفَّانة أكلني الأسار والقمل ، فقال: ويحك ! أسأت أن نوهت باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم فيه ، فقال: أطلقوه وحطوا يدي في القيد مكانه، فجاءته امرأة فلطمته، فقال: لو غير ذات سوار لطمتني !يعني أنّي لا أقتص من النساء ، فعرف ، ففدى نفسه فداء عظيماً . ومعنى المثل: لو لطمني من كان كفؤاً لي لهان عليّ ، ولكن لطمني من هو دوني"[2].

وهذه كناية عن موصوف إذا أطلق ذات السوار ، وأرد بها الحرة . وغير ذات السوار ، وأرد الأمة . فصار مثلاً.

---

(١)العقد الفريد ، لابن عبد ربه : ج٣، ص ١٢٩ .

(٢) تمام المتون : ص٢٧٤.

المبحث الثالث
الكناية عن نسبة

١)قال ابن زيدون: **"لعلي ألقى عصاي بذراك ، ويستقر النوى في ظلك"**[١].

ففي قوله :**"ويستقر النوى في ظلك "** كناية عن نسبة ، حيث نسب استقرار النوى إلى شيء من متعلقات ابن جهور وهو الظل .

قال أبو تمام الطائي:

كريم إذا ألقي عصاه مخيماً بأرض فقد ألقي بها رحله المجد[٢]

في قوله: "ألقي بها رحله المجد" ترك التصريح وأثبت المجد لما له تعلق بهم وهو الرحل ، فأبرز المعاني في صورة نشاهدها وترتاح نفوسنا لها ، وهي كناية عن نسبة ، حيث نسب المجد إلى رحل الممدوح ، وهذا تعبير شائع في الشعر العربي .

قال الأمير تميم بن المعز[٣]:

وسار بمدحي فيك كل مهجـر وغني به

في السهـــل والوعـر من يغدو

وصـــاغت له عليـــاك حسنـــاً وزينة

وحِيكَ لها من حلي ألفاظه بُرد[٤]

المعنى أنّ شعره الذي مدح به الممدوح صار مشهوراً ذائع الصيت ، تناقلته الألسنة ، وحدا به الركبان ، وغني به كل غاد ورائح. ولأنّك تستحق هذا الثناء

---

(١) تمام المتون : ص٣٦٦.

(٢) المصدر السابق : ص٣٦٧.

(٣)تميم بن المعز بن باديس الأمير صاحب إفريقية كان من خيار الملوك خلقاً وكرماً، انظر : البداية والنهاية ابن كثير : ج٢ ، ص٢٥٤٦ .

(٤) تمام المتون : ص٢٩٩. انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٧ ، ص٢٧٤ .

صار هو زينة لمعاليك ، ولمجدك ، ومكانك الأسمى ، ومن ألفاظه التي تشبه الحلي في حسنها ، حيك لها برد تلبسه مثلما صيغ لعلياك زينة.

وفي البيت الأول : كناية عن نسبة في قوله: "وسار بمدحي فيك كل مهجر" حيث نسب شعره الذي مدح به الممدوح إلى سير المهاجرين والغادين في السهل والوعر ، وأراد أنّ ثناءه ومديحه له صار معروفاً مسموعاً في كل ناد .

يقول أبو نواس :

وما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير[1]

حيث جعل الجود متعلقاً بشيء من متعلقات الممدوح ونسبه إليه ، مثلما نسب الأمير تميم بن المعز مديحه وثناءه إلى سير المهاجرين، فالكناية في المثالين كناية عن نسبة.

(١) الاعجاز والايجاز ، للثعالبي : ص١٦٤ .

الباب الثالث

علم البديع

الفصل الأول : المحسنات اللفظية

المبحث الأول: الجناس .

المبحث الثاني: السجع .

المبحث الثالث: الاقتباس والتضمين .

المبحث الرابع : الطلب.

الفصل الثاني : المحسنات المعنوية

المبحث الأول : المذهب الكلامي .

المبحث الثاني :التمثيل والشماتة .

المبحث الثالث : حسن التعليل .

المبحث الرابع : المبالغة .

المبحث الخامس : التورية .

المبحث السادس:التقسيموالاستقصاء والاسجال بعد المغالطة

المبحث السابع : العكس والتبديل والحل والعقد وإرسال المثل.

علم البديع

تعريفه :

البديع لغة: الجديد قال الرازي[1]: "أبدع الشيء اخترعه لا على مثال، والله بديع السموات والأرض ، أي: مبدعهما والبديع المبتدع[2].

واصطلاحاً: هو علم يهتم بدارسة تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي.

وترجع تسمية هذا العلم بهذا الاسم إلى بدر الدين بن مالك[3]، فهو الذي أطلق هذا المصطلح على المحسنات البديعية . يقول ابن حجة الحموي: "ثم جاء بدر الدين بن مالك فسمي هذه الوجوه التي ترجع إلى المعنى واللفظ "علم البديع" فكان أول من أطلق هذا المصطلح على هذه المحسنات البديعية"[4]. وقد كانوا في السابق يطلقونه على كل علوم البلاغة ، ولذا كانوا يطلقون اسم البديع على الأشعار التي تحوي أساليب بيانية ، والتي أحدثها الشعراء المولدون أمثال بشار بن برد ، وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وحبيب بن أوس الطائي وغيرهم. قال ابن الأثير: "ويقال كلام بديع ، وكلام مخترع ، فالبديع يختص بمحاسن الألفاظ والمخترع متعلق بابتكار المعاني التي لم يسبق إليها"[5]. أي: هو

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي زين الدين: صاحب مختار الصحاح، الأعلام للزركلي : ج٦، ص٥٥.

(٢) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب محمود خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ص٤٣.

(٣)محمد بن محمد بن مالك الطائي ابو عبد الله بدر الدين: هو ابن ناظم الألفية ، وكان إماماً مقدماً في النحو والمعاني والبيان ، من أهل دمشق ، من مؤلفاته "المصباح في المعاني والبيان" .انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص٣١.

(٤)خزانة الأدب، لابن حجة الحموي : ج١، ص١٢٠.

(٥) جواهر الكنز تلخيص كنز اليراعة في أدوات ذوي البراعة، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية : ص٤٨.

علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة ، وتكسوه بهاءً ورونقاً ، بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد . ويقصد بوجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتجميل الكلام ، وتزيينه وتنميقه . وبما أنّ وجوه التحسين إمّا لفظية أو معنوية ، كان البديع لفظي ومعنوي ، فاللفظي هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى ، فلا يبقي الشكل إذا تغير اللفظ مثل الجناس والطباق الخ... والمعنوي هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى المعنى دون اللفظ ، فيبقي مع تغيير الألفاظ مثل التورية وحسن التعليل الخ ...[1].

وهذا العلم من علوم البلاغة وجد في العصر المملوكي مساحة أوسع ومجالاً أرحب من علمي البيان والمعاني . فقد أهتم به العلماء والأدباء وتباروا في مضماره كثيراً ، والصفدي له كتب متخصصة في بعض أنواع البديع ، مثل كتابه "جنان الجناس" ، وكتاب "فض الختام عن التورية والاستخدام".

وإذا كان عبد الله بن المعتز يعد أول من دون قواعد علم البديع في كتابه "البديع" ، فإنّ هذا العلم وصل قمته وازدهر في العصر المملوكي ، حيث ظهرت قصائد تسمي بـ"البديعيات" يذكر الشاعر في كل بيت منها اسم نوع من أنواع البديع . فزكي الدين بن أبي الأصبع أوصل بديعيته إلى تسعين بيتاً ، والشاعر صفي الدين الحلي في قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ إلى مائة وأربعين ، ثم جاء ابن حجة الحموي الذي شرح بديعيته في كتابه "خزانة الأدب" ، وغيرهم من أدباء ذلك العصر تنافسوا في عدد أنواع البديع وفي أقسامه[2]. والعالم الأديب الصفدي ولد في هذا العصر وعاصر معظم أصحاب البديعيات المذكورين أو سمع عنهم وقد تأثر بهم وأثر فيهم.

---

(١)جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص٢٨٧.

(٢) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣١٨.

الفصل الأول : المحسنات اللفظية

المبحث الأول: الجناس .

المبحث الثاني: السجع .

المبحث الثالث: الاقتباس والتضمين .

المبحث الأول
الجناس

تعريفه :

الجناس لغة: من الجنس . يقول الرازي: "الجنس الضرب من الشيء وهو أعم من النوع ، ومنه المجانسة والتجنيس بمعني واحد"[١].

واصطلاحاً : أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفان في المعنى . وهو نوعان:

٣) **التام**: أن يتفق اللفظان في أربعة أمور : هي نوع الحروف ، وعددها ، وشكلها ، وترتيبها.

٤) **الناقص**: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور السابقة .

يقول سعد الدين التفتازاني[٢]: "الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ . **والتام منه**: أن يتفقاً في أنواع الحروف ، وفي أعدادها ، وفي هيئاتها ، وفي ترتيبها"[٣].

هذا وقد قسم البلاغيون الجناس غير هذين القسمين إلى عدة أقسام منها : أ) المماثل . ب) المستوفي . ج) جناس التركيب المتشابه . د) المضارع . هـ) جناس القلب ، وغيرها . وكل تدور في فلك هذين القسمين[٤].

الجناس في كتاب "تمام المتون"

---

(١) مختار الصحاح ، للرازي : ص١١٣.

(٢) مسعود بن عمربن عبد الله سعد الدين التفتازاني : من أئمة العربية والبيان والمنطق ، وهو أول من صنف وعمره ست عشرة سنة . انظر :الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص ٢١٩.

(٣) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ،للعلامة سعد الدين التفتازاني، تحقيق دكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط٢ ، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م : ص١٠٩.

(٤) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٥٦ . انظر : البديع ، لابن منقذ : ٤٠_٤١.

الجناس من الفنون البديعية التي شاعت في عصر المماليك ، باعتباره أحد الحلل التي يحلون بها أعمالهم الأدبية . والجناس وعلى الرغم من أنّه محسن لفظي إلا أنّه شديد الصلة بالمعنى ، مع توافق نغمة وانسجام جرسه .

والجناس من الفنون المحببة للصفدي ، وقد ذكرت أنّه ألف فيه كتاباً اسماه "جنان الجناس" ، وقد افتتن وأعجب به حتى عابه بعض النقاد في ذلك . يقول ابن حجة: "وكان الشيخ صلاح الدين رحمه الله يستسمن ورمه ، ويظنه شحماً ، فيشيع أفكاره منه ، ويملأ بطون دفاتره ، ويأتي فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد الصخور ، كقوله غفر الله له:

ونم في آمان بالحبيب ولا تخف لقائط واش في لقاء طواش[1]

ويذكر ابن حجة مجموعة أبيات للصفدي ، ويراها من الجناس المتكلف ، ويستشهد بنقد ابن نباته لكتاب الصفدي جنان الجناس . يقول: "ومن أطرف ما وقع للشيخ جمال الدين ابن نباته معه ، أنّه لما وقف على كتابه المسمي: "جنان الجناس" وقد اشتمل على كثير من هذا النوع ، قرأه: "جُنان الخُناس" وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه ، وهذا ما يؤيد قولي إنّه غير مذهبي ، ومذهب من نسجت على منواله[2].

وعلى الرغم مما ذكره ابن حجة ، وابن نباته قبله ، إلا أننا نجد أنّه ليس كل ما ذكره الصفدي في كتابه جنان الجناس جناساً متكلفاً ، بل هنالك نماذج كثيرة من الجناس غير متكلف ، وشعر جيد استشهد به ، ولكني أجد العذر للصفدي لأنه ألف كتاباً كاملاً ، وأكثر من ذكره ، ومن يكثر في الشيء يأتي بالمتكلف ، ولو يسيراً ، وخاصة إذا كان في البديع . وقد شهد ابن حجة بذلك ، وذكر بعض النماذج الجيدة للصفدي . يقول وهو يتحدث عن الجناس المركب المتشابه لفظاً وخطاً: "وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدي لنفسه في كتابه المسمي بـ"جنان

---

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج١، ص٣٧٩.

(٢) المصدر السابق : ج١ ، ص٣٨٢.

الجناس" من هذا النوع قوله:

يا من إذا ما أتاه أهـــل المـودة أولـم

أنا محبك حقـاً إن كنت في القوم أولم[1]

وأرى أنّ ابن حجة وابن نباته قد بالغا في الهجوم على الصفدي في تكلفه للجناس ، فهو على الرغم من شـغفه بالجنـاس إلا أنّـه كـان معتـدلاً يستحسـن المستحسن ، ويرفض المتكلف ، الذي لا يقبله الطبع ، ولا يستيسغه الذوق .

يقول الصفدي: "إنّ تناسـب الألفـاظ في الصـورة كلـها أو بعضـها ومما لاشك فيه ، إنّ التوافق في الزي والهندام واقتراب الأشباه والنظائر بعضهابعض تميل إليه النفوس بالفطرة ، وتغبط ويطمئن إليها الـذوق ويسـكن ، لأنّـه نظـام وانسجام وإئتلاف"[2].هذا وقد أشار الصفدي في كتاب "تمام المتون" إلى الجناس ، وفي بعض الأحيان يذكر أقسامه . يقول: "وهو جناس اشتقاق"[3]. أو يقول "من الجناس المطمع"[4]. وسوف نوردها بالتفصيل والتحليل.

١) قال ابن زيدون: **"واستملي الربيع إلا ثناء ملأته من محاسنك"**[5].

فالجناس بين كلمتي: **"ملأته"** و**"استملي"** يقول الصفدي: "تقول أمليت الكتاب أمليه ، وأمللته أمله لغتان جيدتان ، جاء بهما القرآن المجيـد ، واسـتمليته الكتاب ، سألته أن يمليه على أن يقول لك بما فيـه . وقـد أتـي بالجناسـبين قولـه: **"ملأته، واستملي"** وهـو جنـاس اشـتقاق علـى قـول"[6]. فالجـامع بـين **"ملأتـه واستملي"** هو الاشتقاق .

---

(١)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي: ج١ ، ص٣٨٧.

(٢)فن الجناس ، علي الجندي، دار الفكر العربي، ط ١٩٥٤م : ص٢٩.

(٣) تمام المتون : ص٢٩٠.

(٤) المصدر السابق : ص٣٣٥.

(٥) تمام المتون : ص٢٩٠.

(٦) المصدر السابق : ص٢٩٠.

وهو مثل قول أبي تمام:فيا دمع أنجدني على ساكني نجد[1]

فالجناس في كلمتي: "نجد، أنجدني" . يقول المراغي :"أن يجمع اللفظين الاشتقاق كقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾[الروم: ٤٣] .

٢) قال ابن زيدون: **"والنسيب لا يجفى، والجمال لا يخفى"**[2].

الجناس في كلمتي: **"يجفى"** و**"يخفى"** جناس غير تام ، ويسميه أهل البديع بالجناس المضارع . يقول المراغي: "أن يكون هو وما يقابله في الطرف الآخر متقاربي المخرج ، ويسمي مضارعاً... كقول الحريري: لهم في السير جرى السيل، وإلى الخير جرى الخيل"[3]. ويسميه ابن منقذ بجناس التصريف ، يقول: "أعلم أنّ تجنيس التصريف هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف"[4].

ويستشهد الصفدي بقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾[الأنعام: ٢٦] .

والجناس في كلمتي: "ينهون" و"ينأون" ، والاختلاف بينهما حدث في حرف واحد فقط ، حيث أبدلت الهاء همزة ، وكلاهما من نفس المخرج ، وهو أقصى الحلق . ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[الكهف: ١٠٤]الجناس في كلمتي "يحسبون" و"يحسنون".

٣) قال ابن زيدون:**"واعتقادي أنّ الطمع في غيرك طبع ، والغني ممن سواك عناء"**[5].

فالجناس في قوله : **"طمع"** و"طبع" وفي قوله: **"غني"** و**"عنا"** ومثل هذا قول الصفدي : "لا خير في طمع يدني إلى طبع"[6]، وهو أيضاً جناس مضارع ، ويسميه الصفدي بالجناس المطمع . يقول الصفدي: "وقوله: **"واعتقادي أنّالطمع**

---

(١)شرح ديوان أبي تمام : للتبريزي :ج ٢ ، ص٣٧٨.

(٢) تمام المتون : ص٣٢٢.

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٥٦ .

(٤) البديع ، لابن منقذ : ص٤١.

(٥) تمام المتون : ص٣٣٥.

(٦) المصدر السابق : ص٣٣٥.

في غيرك طبع" ، هذا يعده بعض أرباب البديع من الجناس المطمع، وهو متى ما فرغ من ركنه الأول ، وابتدأ الثاني أطمع السامع أنّه موافق لحروف الأول ، فإذا كمل الركن الثاني خالف الأول"[1]. كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ ﴾[النساء: ٨٣] .وهذا من الجناس المضارع أيضاً .

ويستشهد الصفدي بقوله ﷺ : "الخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الخَيْرُ"[2]. يقول ابن حجة : "فالمضارع هو المشابه في المخرج ... ومنه قوله ﷺ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)" [3]. ويصفه الصفدي بأنّه من أعلى الجناس[4].

ومن شواهد الصفدي على الجناس قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾[العاديات: ٧ – ٨] .

فالجناس في كلمتي "شهيد" و"شديد" والاختلاف في حرف الهاء والدال وهما متباعدين في المخرج ، وهذا ما يسمي بالجناس اللاحق ، ويصف الصفدي هذا النوع من الجناس بأنّه دون الأول . يقول: "ودونه أن يخالف الركن الثاني الأول بحرف في وسطه ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾"[5]. ويصف قول ابن زيدون: **"الطمع في غيرك طبع"** بأنّه من هذا القسم[6].

---

(١) تمام المتون : ص ٣٣٥.

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٥ . أخرجه البخاري في الصحيح : ج٣، ص١٠٤٧.

(٣) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج١، ص٤١٤ .

(٤) تمام المتون : ص٣٣٥.

(٥) المصدر السابق : ص٣٣٦.

(٦) المصدر السابق :ص٣٣٦.

المبحث الثاني
السجع

تعريفه :

السجع لغة: من قولهم: سجعت الناقة ، إذا مدت حنينها على جهة واحدة . يقول الرازي: " **السجع** : الكلام المقفى والجمع "أسجاع" و "أساجيع" سجع ، سجع الرجل من باب قطع ، و"سجع" أيضاً "تسجيعاً" وكلام "مسجع" و"سجعت" الحمامة هدرت ، وسجعت الناقة مدت حنينها على جهة واحدة"[1].

واصطلاحاً : وهو أن تتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير . مثل قول تعالى: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾[المرسلات: ١ – ٢]. وهو على أنواع:

أ)**المرصع** : وهو ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والقافية . يقول ابن رشيق : "وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً ، أو شبيهاً بالمسجوع ، فذلك هو الترصيع عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطناباً عظيماً"[2]. مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[البقرة: ٢٦٧] فالترصيع في "بآخذيه، وفيه".

ب) **المتوازي**: وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيريتين ، نحو قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾[الغاشية: ١٣ – ١٤].

ج) **المطرف** : وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير ، نحو قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[نوح: ١٣ – ١٤] .

---

(١) مختار الصحاح ، للرازي : ص٢٨٧.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت : ج١، ص٢٦ . انظر : علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٦١.

يقول القزويني: "ومنه السجع وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي : الأسجاع من النثر كالقوافي في الشعر ، وهو ثلاثة أضرب: "مطرف ومتوازن وترصيع"[1].

السجع في كتاب تمام المتون

الناظر للخطب والرسائل والمساجلات بين الأدباء والعلماء والأمراء في العصر الذي عاش فيه الصفدي يجد أنّ السجع مسيطر عليها ، ويظهر ذلك في أدبهم نظماً ونثراً ، وفي كتاب تمام المتون شواهد كثيرة لأنواع السجع .

١) قال ابن زيدون: **"واعتمادي عليه ، واعتدادي به"**[2].

وهذا من السجع المرصع ؛ حيث اتفقت الفقرتان في قوله "عليه، به".

يقول الصفدي: "وقد أتي ابن زيدون في هذه الألفاظ بالترصيع وهو من أنواع البديع ؛ لأنّه قال: **"والذي ودادي له واعتمادي عليه ، واعتدادي به"** فأتي بالدال وبعدها الياء وهي ضمير المتكلم ، وعدَى كل واحد بحرف جر: له ، وعليه وبه ، وهذا نوع من المبالغة يدل على قوة العارضة ، وسعة العبارة"[3].

وقد استشهد الصفدي بعدد من الشواهد للترصيع منها:

قول شرف الدين بن عبد العزيز[4]:

لنا ملك واحد ما اشتهي ولكننا لم نجد مثله

ملاذي به ومثولي لديه وميلي إليه ومدحي له[5]

في قوله: "ملاذي به ، ومثولي لديه ، وميلي إليه ، ومدحي له" ترصيع لأنّه أتى بالكلام مقطعاً إلى أجزاء مسجوعة.

---

(١) الإيضاح ، للقزويني : ص٢٤٨.

(٢) تمام المتون : ص٣٦.

(٣) المصدر السابق : ص٣٧.

(٤)عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن أبو محمد شرف الدين الأوسي الشافعي : الإمام الأديب الشاعر شيخ الشيوخ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٣ ، ص٣٠١ .

(٥) تمام المتون : ص٣٧ .

وقول الشاعر:

كتبت وشينات حالي غلبن إلى سيد جل عن مشبه

فشوقي إليه وشكري لـه وشعري فيه وشغلى به[1]

والترصيع في قولـه : "فشـوقي إليـه ، وشـكري لـه ، وشـعري فيـه ، وشغلى به".

وقد استشهد الصفدي أيضاً : بأبيات من شعره يقول وكتبت إلى بعـض الأصحاب:

كتب لمولي نأت داره وسينات حالي وقف لديه

فسوقي إليه سموي بهسؤالي عنه سلامي عليه [2]

والترصيع في قوله: "فسوقي إليه، سموي به، سؤالي عنه، سلامي عليه".

وقوله:

كتبت ودالات حالي كمـا تراها إلى سيد لم أخنه

دعائي ودمعي ودأبي لـــه وعـليه وفيـه ومنـــه[3]

والسجع المرصع ظـاهر في أبيـات الصـفدي السـابقة . يقـول الصـفدي: "ومن قول الحكماء: الأماني تخدعك ، وعند الحقائق تدعك"[4].

وهذا من السجع المتوازي في قوله: "تخدعك، وتدعك" لاتفاق الفقـرتين في الكلمتين الأخيرتين .

٢) قول ابن زيدون: **"وأبليت البلاء الجميل في سماطك ، وقمت المقام المحمـود في بساطك"**[5].

---

(١) تمام المتون : ص٣٧.

(٢)المصدر السابق : ص٣٧.

(٣) المصدر السابق : ص٣٧.

(٤) المصدر السابق : ص٥٥.

(٥) المصدر السابق : ص٢٨٤.

وهذا سجع متوازي ، وهو مركب من فقرتين متحدتين في الحرفين الأخيرين ، وهذا من أفضل السجع ، لأنّ فقره متساوية ، ورصين التركيب ، وخالي من التكرار والتكلف.

٣)قول ابن زيدون: **"واللبيب يحن إلى وطنه ، حنين النجيب إلى عطنه"**[١].

أي : أنَّ اللبيب يحن إلى وطنهالذي نشأ فيه ، مثل حنين الفحل من الإبل إلى مبركه . والسجع في **"وطنه ، وعطنه"** وهو أيضاً: من السجع المتوازي ، حيث اتفقت الكلمتان في النون والهاء . ومثل هذا قول الصفدي: "وفيه أيضاً: ميلك إلى مولدك ، من كرم محتدك"[٢]. وقوله أيضاً: "قال برز جمهر: من علامات العاقل بره بإخوانه ، وحنينه إلى أوطانه ، ومُداراته لأهل زمانه"[٣].

٤) قال ابن زيدون: **"عارضها النظم مباهياً ، بل كايده مداهياً**[٤].

يقول الصفدي: لا يريد بهذا الكلام أنّ النثر إذا تقدم فلا بأس للمتكلم أن يلحقه بشيء من النظم ، لأنّ النفوس ترتاح إلى ذلك ، ولأنّ البلاغة دائرة بين هذين النوعين وهما النظم والنثر"[٥].

والترصيع هنا في كلمتي **"مباهيا ، ومداهياً"** ، حيث اتفقت الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين.

٥) قول ابن زيدون : **"وحين أشفق من أن يعطفك استعطافُه ، ويميل بنفسك إلى إلطافُه"**[٦].

وإن كانت هذه العبارة أقل حسناً وجمالاً من سابقتها ، لأنّ الفقرات غيرمتساوية ، والسجع يجمل ويحسن إذا تساوت فِقره ، وحدث توافق في الحروف

---

(١) تمام المتون : ص٣٣٠.

(٢) المصدر السابق : ص٣٣١.

(٣) المصدر السابق : ص٣٣٠.

(٤) المصدر السابق : ص٣٨٦.

(٥) المصدر السابق : ص٣٨٦.

(٦) المصدر السابق : ص٣٨٧.

الأخيرة . يقول الضياء ابن الأثير متحدثاً عن أفضل السجع: "ألا ترى كيف جاءت الفصول متساوية الأجزاء ، كأنّما أفرغت في قالب واحد ، وهو أشرف السجع منزلةً للاعتدال الذي فيه"[1]. وذلك حينما ذكر الآيات الكريمة: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾[الضحى:٩ - ١٠] ويفضل السجع لوروده في القرآن الكريم.

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج١، ص٢٣٣.

المبحث الثالث
الاقتباس والتضمين

ذكرت الاقتباس والتضمين ، لأنّ كلاهما : هو أن يضمن الأديب كلامه شيئاً من كلام غيره[1].

تعريف الاقتباس :

هو أن يضمن الأديب كلامه شيئاً من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف لا على أنّه منه . يقول الهاشمي: "هو أن يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن ، أو الحديث على وجه لا يشعر بأنّه منهما"[2]. ومثل ذلك قول ابن حجر العسقلاني:

خاض العواذل في حديث مدامعيلما جرى كالبحر سرعة سيره

فسحبته لأصون سر هواكم حتى يخوضوا في حديث غيره[3]

فقد اقتبس جزءاً من الآية ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ ﴾[النساء: ١٤٠] ولا تكاد تشعر أنّها جزء من آية.

تعريف التضمين :

هو أن يضمن الشاعر شعره شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند أهل البلاغة والأدب . يقول الهاشمي: "أن يضمن الشاعر كلامه شعراً لدي نقاد الشعر وذي اللسن"[4]. ومن التضمين قول الصفدي:

دبَّ العذار فظن منه لائمي أنّي أكون عن الغرام بمعزل

لا كان ذاك فإنّني من معشر لا يسألون عن السواد المقبل[5]

---

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٤، ص٣٥٧.

(٢) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٣٣٤.

(٣)الكشكول ، لبهاء الدين العاملي ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي مفتى ليبيا : ج١، ص١٠٤ .

(٤) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٣٣٧ . انظر: الإيضاح ، للقزويني : ص٢٦٤.

(٥)الكشكول ، لبهاء الدين العاملي : ج٢، ص١٠٦.

فقد ضمن شعره عبارة "لا يسألون عن السواد المقبل" وهي عجز منبيت لحسان بن ثابت من قصيدته التي يمدح بها آل جفنة بالشام ، وصدر البيت هو: "يغشون حتى ما تهر كلابهم" . وقوله أيضاً: "وقلت أنا مضمناً قول ابن عبدون:

ورب أعور يشكو ضعف آلته عن النكاح لما يلقي من الكبر

لا تشك من ريب الزمان أذًى فالدهر يفجع بعد العين بالأثر"[1].

الاقتباس والتضمين في كتاب تمام المتون

١)قال ابن زيدون: **"ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب"**[2].

ضمن ابن زيدون كلامه هذا شيئاً من القرآن الكريم ، وهو ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[الرعد: ٣٨] . ولا يشعر القارئ بأنَّ ما اقتبسه من القرآن ، وهذا من الاقتباس الجميل . يقول الصفدي: "ولكل أجل كتاب لفظ القرآن العظيم ، **والأجل** : مدة الشيء ، ومعناه لكل شيء أجل مكتوب ، وأوقات محدودة ، أو لكل أجل أجله الله كتاب أثبته فيه ، لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر"[3]. ومن الذين اقتبسوا هذا المعنى وضمنوه شعرهم السراج الوراق ، يقول الصفدي: وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت :

أراني بطيئاً إذا ما كتبتوقد خلقت طينتي من عجل

كأنّي خالفت نص الكتاب فعندي لكل كتاب أجل[4]

فقد اقتبس المعني وجعل المبتدأ "كتاب" في الآية مضافاً إليه ، والمضاف إليه "أجل" مبتدأ . ومن الاقتباس ما ذكره الصفدي: "كان ابن الرومي منهوماً

---

(١) صرف العين ، للصفدي ، تحقيق دكتور محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية مدينة نصر، القاهرة ، ط١، ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٥م : ج٢،ص١١٠_١١١.

(٢) تمام المتون : ص٨٣.

(٣) المصدر السابق : ص٨٣.

(٤) المصدر السابق : ص٨٣.

بالأكل ، وكان يعجبه السمك ، فوعده أبو العباس أحمد المزيدي أن يبعث إليه كل يوم سبت وظيفة من السمك لا تنقطع عنه ، ثم قطعه . فقال:

ما لحيتاننا جفتـــــــنا وإن أخلفت الزائرين منتظريهـم
جاء في السبت زَوْرُهُم فأتتنا من حفاظ عليهم ما يكفيهم
وجعلنـاه يوماً عيد عظيـــم فكـأنّـا اليهـود أو نحكيــهم
وآراهــم مصممين على الهجـ ـرفَلِم يُسخطون من يُرضيهم !
قد سُبِتنا ومـا أتتنا وكانـــوا يـوم لا يسبتــون لا تـأتيهم"[1]

فقد اقتبس﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾في شعره ، وهي جزء من قوله تعالى :﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[الأعراف: ١٦٣]. ومن الاقتباس الجيد قول بعض الأعراب :

لقد بخلت حتى لو أني سألتها قذيالعين من ضاحي التراب لضنت
فإن بخلت فالبخل منهـا سجية وإنبذلت أعطــت قليلاً وأكـــدت[2]

في قوله: " أعطت قليلاً وأكدت" اقتباس فقد اقتبس في شعره شـيئاً مـن القرآن الكريم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى:﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾[النجم: ٣٤]

٢) قال ابن زيدون: **"بعد أن نظر الأعمى ، إلى تأميلي لك"**[3].

ضمن ابن زيدون رسالته جزء من شعر المتنبي يقول الصفدي: "وهو يشير إلى قول أبي الطيب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم[4]

---

(١) تمام المتون : ص١٢٤.

(٢) المصدر السابق : ص٢٦٨.

(٣) المصدر السابق : ص٤٢.

(٤) المصدر السابق : ص٤٢.

هذا ونجد ابن زيدون في بعض الأحيان يضمن رسالته بيتاً كاملاً ومثل ذلك قول المتنبي أيضاً:

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شي بعدكم عدم[1]

يقول الصفدي:"وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه إجازة الشيخ العلامة شهاب الدين محمود[2] صاحب ديوان الإنشاء بالشام:

قل للذين رجونا والأمور لها حكم بأنا سنحظي أنا نرافقهم

أوحشتمونا وعز الصبر بعدكميامن يعز علينا أن نفارقهم[3]

فقد ضمن الشهاب محمود جزءاً من شعر المتنبي في شعره.

٣) قال ابن زيدون: **"والحين قد يسبق جهد الحريص"** [4].

ضمن ابن زيدون رسالته شطر بيت من شعر عدي بن زيد العبادي[5]. وكان يجب عليه أن يشير إلى اسم عدي بن زيد في الرسالة ، حتى يعلم القارئ أنّه مأخوذ من قصيدته . يقول الجلال السيوطي: "التضمين أن يضمن شعره شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه على أنّه من شعر الغير إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، لئلا يتهم بالأخذ والسرقة وإلا فلا حاجة إليه"[6]. ولكن الصفدي ذكر ذلك وأشار إليه بقوله:" وهذا نصف بيت من أبيات لعدي بن زيد العبادي:

قد يدرك المبطئ من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص[7]

---

(١) تمام المتون : ص٣٤٥ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٢٦٧.

(٢)محمود بن سلمان بن فهد الشهاب الحلبي ثم الدمشقي أبو الثناء : الصدر الكبير والشيخ الإمام العالم ، شيخ صناعة الإنشاء . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٩٩٩.

(٣)تمام المتون : ص٣٤٦.

(٤) المصدر السابق : ص٥٦.

(٥) عدى بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي : شاعر من دهاة الجاهليين . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤، ص٢٢٠.

(٦) شرح عقود الجمان ، للسيوطي ، ص ١٦٩.

(٧) تمام المتون : ص٥٦.

٤) قال ابن زيدون: **"والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً"**[١].

وهنا ضمن رسالته من شعر الشاعر:

ولا تفش سرك إلا إليك فإنّ لكل نصيح نصيحاً

فإنّي رأيت غواة الرجال لا يتركون أديما صحيحاً

وقد أشار الصفدي إلى ذلك ، وذكر البيتين وعلق عليهما بقوله: "وبعض الناس يزعم أن هذين البيتين لعلي بن أبي طالب ﷺ، والصحيح أنّه كان يتمثل بهما كثيراً"[٢]. ومعني قوله: **" لا يتركون أديماً صحيحاً"** أي: لا يدعون أحداًحتىينالون منه .

٥) قال ابن زيدون : **"كل الصيد في جوف الفرا"**[٣].

وهذا مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وهو مشهور . وقد جاء مضمناً في الرسالة ، وهنالك شعراء كثيرون ضمنوا هذا المثل شعرهم ، نورد منهم:

قول الصاحب شرف الدين بن عنين:

نسخت خلائقه الكريمة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

لا تسمعن حديث مَلِك بعده يروى فكل الصيد في جوف الفرا[٤]

وقول أبو اسحاق الغزي:

لا تسألن سوى السعادة للعلا سبباً فكل الصيد في جوف الفرا[٥]

وقول ابن المعلم:

طوي الورى شعري عنه وانثنى يقول كل الصيد في جوف الفرا[٦]

---

(١) تمام المتون : ص٢٢٩.

(٢) المصدر السابق : ص٢٢٩.

(٣) المصدر السابق : ص٣٣٧.

(٤) المصدر السابق : ص٣٣٧.

(٥) المصدر السابق : ص٣٣٨.

(٦) المصدر السابق : ص٣٣٨.

وقول أبو الحسين الجزار في المديح:

وطالما حدثت نفسي بالغني منـــــك وما كان حديثاً يفتــرى

ولست اختار كريماً بعدهـا عنك ؛ وكل الصيد في جوف الفرا[1]

ففي البيت الأول اقتباس حيث اقتبس جزءاً من الآية الكريمة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: ١١١] ، وفي البيت الثاني تضمين للمثل أعلاه.

وقول الصفي الحلي ، يقول الصفدي: "وذكرت هنا ما أنشدني لنفسه الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في مليح لابس شمل فروة:

بصُروا بفَرْوك فازدروك لحالةٍأضحى بها معروف حسنك منكرا

كل أدار الطرف عنك محاولاً صيداً ، وكل الصيف في جوف الفرا"[2]

وكثير من الشعراء السابقين ضمنوا أبياتهم هذا المثل من كلام غيرهم.

٦)وقال ابن زيدون: **"و أكرم غير مكرَّم ، وأشكو شكوي الجريح إلى العقبان والرخم"**[3].

ويتحدث ابن زيدون عن سوء الحال الذي وصل إليه حيث لا أحد يكرمه ، وشكواه لا تأتي بفائدة ، فهي مثل شكوى الجريح إلى هذه الطيور التي تنهش عظامه وتأكله ، فهي لا تدري بحاله . وقوله" **وأشكو شكوى الجريح إلى العقبان والرخم"** تضمين لعجز بيت من شعر المتنبي صدره:

"ولا تشك إلى خلق فتشمتهم"[4]. ومعني البيت يجب على الإنسان ألا يشكو حاله إلى الناس ، مثل شكوى الجريح للغربان والرخم ، لأنّ النفس الشريفة ترى الموت خلوداً وبقاءً، وهذه جليلة يعجز الخلق عن ركوبها.

---

(١) تمام المتون : ص ٣٣٨.

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٨.

(٣) المصدر السابق : ص٣٤٩.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٤٩ . انظر : ديون المتنبي، للعقباوي : ص٣٨٩.

٧) قال ابن زيدون: **"فإنّ الحائز لهما ، الضارب بسهم فيهما ، وقليل ماهم"**[١].

وهذا اقتباس حيث اقتبس شيئاً من القرآن الكريم من غير دلالة على أنّه منه ، وهو جزء من الآية الكريمة ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[ص: ٢٤].

ومن الاقتباس الجيد الذي استشهد به الصفدي قول بكر بن حماد[٢]:

وكان منه على رغم الحسود له مكان هارون من موسى بن عمرانا[٣]

ففي قوله: مكان هارون من موسى بن عمرانا" مقتبس من قوله ﷺ للإمام عليّ كرم الله وجهه: " أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى"[٤]. ومن الاقتباس قول الشاعر:

إلى النار يا ولد الزانية وهذا الهوى إلى الهاوية

وقعت فيا بردها في القلوب ويا ليتها كانت القاضية[٥]

والاقتباس هنا مأخوذ منقوله تعالى:﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾[الحاقة: ٢٧] وغرضه من الاقتباس أن يستعير من قوة النص آلقرآني قوة ، وأن يبين ويكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه وبين ما أخذه.

ومن الأبيات التي ضمنها ابن زيدون في رسالته قول المتنبي:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللائي سررن ألوف[٦]

---

(١)تمام المتون : ص٣٣٣.

(٢)بكر بن حماد بنسمك الزناتي أبو عبد الرحمن التاهرتي : شاعر وعالم . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص٦٣.

(٣)تمام المتون : ص٢٠١.

(٤)صحيح البخاري : ج٢ ، ص٢١٨ .

(٥) تمام المتون : ص٥٨.

(٦) المصدر السابق : ص٨٨ . انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٣، ص٣٦.

وقول البحتري:

إلا يكن ذنب فعدلك واســـع أو كان لي ذنب فضلك أوسع[1]

وقول النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفس ريــبة وليس وراء الله للمرء مذهب[2]

ونختم هذا الباب بأبيات في التضمين الأولى وهي قـول الصـفدي: " ولمـا أتصل ابن زيدون بخدمة المعتمد بن عباد وتمكن منه وحسنت حالتـه عنـده ألقـى إليه بعض الحسدة رقعة فيها مكتوبة:

لا تتركن للنـــاس موضع شبهـــةوأحزم فمثلك في العظائم يحزم

قد قال شـاعر كندة فيمـــا مضـىبيتاً على مر الليـــالي يعلـــم

"لا يسلم الشرف الرفيع من الأذىحتى يراق عـلى جوانبه الدم"[3]

فقد ضمن البيت الأخير ، وقد أشار إلىأنّه لأبي الطيب المتنبي.

وقول الصفدي نفسه:

وجارية تلهي النديم إذا عـــلا عليها بطول الدهر في حال فعله

تقول كذا لي عادة مستمـــرة "أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله"[4]

وهذا تضمين وقد أخذه الصفدي من قول حاتم الطائي[5]:

أضـــاحك ضيفي قبل إنـزال رحلـــه و يخصب عندي والزمان جديب

وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ولكنـــما وجه الكريم خصيب[6]

---

(١) تمام المتون : ص١٠٣ . انظر : شرح ديوان البحتري ، للفاخوري : ج٢، ص٨٩.

(٢) تمام المتون : ص ٣٣٩ . انظر : ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقـديم عبـاس عبـد السـاتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ_١٩٨٤ : ص٢٧.

(٣) تمام المتون : ص٢٣٧.

(٤) المصدر السابق : ص٣٢٧ .

(٥) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عدي: فارس وشاعر وجواد، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص١٥١.

(٦) تمام المتون : ص٣٢٦ .

والعرب كانت تعد ملاقاة الضيف بالبشر والترحاب وتهلل الوجه وإظهار السرور من كمال المروءة . وقد ذكر الصفدي أنّه ضمن شطر هذا البيت . يقول:" وقد ضمنت أنا صدر ذلك البيت فقلت"[1]. ثم ذكر البيتين السابقين . وقد ضمن هذا المعنى ابن زيدون أيضاً في رسالته وذلك في قوله :

٨) قال ابن زيدون : **"وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطي حكم الصبي على أهله"**[2].

فقول ابن زيدون: **"وأعطي حكم الصبي على أهله"** أخذه من قول الشاعر:

ولا تحكما حكم الصبي فإنّه كثير على ظهر الصديق مجاهله[3]

قال الصفدي: "وكان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له: يا هذا إنّك قد اخترتني جاراً ، واخترت داري داراً ، فجناية يدك عليّ من دونك ، وإن جنت عليك يد فأحتكم حكم الصبي على أهله"[4].

٩) قال ابن زيدون: **"وحاشاك أن أعد من العاملة الناصبة"**[5].

وكلام ابن زيدون مقتبس من الآية الكريمة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾[الغاشية: ٢ - ٣] . يقول الصفدي: " وقوله : "أعد من العاملة الناصبة" المراد بذلك : وجوه اليهود والنصاري ، أو جميع الكفار ، وجوه عملت في الدين ونصبت ، أي : تعبت في أعمال لا تنفعها في الآخرة ، لأنّ الرهبان ينصبون بصيام النهار وقيام الليل ويتركون ملاذّهم"[6].

---

(١) تمام المتون : ص٣٢٧.

(٢) المصدر السابق : ص٣٢٥.

(٣) المصدر السابق : ص٣٢٧. انظر : الكامل ، للمبرد : ج١ ، ص٤١ .

(٤) تمام المتون : ص٣٢٧.

(٥) المصدر السابق : ص٣٠٤.

(٦) المصدر السابق : ص٣٠٤.

المبحث الرابع
الطلب

تعريفه :

يقول ابن حجة: "وهو أنّ يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة ، مهذبة ، منقحة ، مقترنة بتعظيم الممدوح ، خالية من الألحان والتصريح ، بل يشعر بما في النفس دون كشفه"[1]. فالإنسان البليغ ، صاحب الألفاظ العذبة ، والمعاني الرائعة ، يستطيع تحقيق طلبه . وقد ذكره الصفدي في شرحه لقول ابن زيدون: **"فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة"**[2].

يقول الصفدي: "وهذا الكلام أخرجه مخرج التوكيد لاستعطاف ابن جهور ، وميل نفسه إلى هذا النظم ، وقبوله له ، وأنّه صادف من قلبه موضعاً ، فكأنّ هذا الأمر صار وأنفصل حكمه . وهذا من باب من قولك: غفر الله له ورحمه ، وهذا إنّما هو في الأصل دعاء ، والدعاء طلب ، والطلب استدعاء أمر لم يكن بعد ، ولكنّ تُخْرِجه مخرج أمر قد صار ومضى ووقع ، وثوقاً برحمة الله وطمعاً في جوده . وما أحسن ما أتي بهذه الألفاظ في حق النظم ، وأنّه الذي يبلغه المقصود لا النثر ، وإن كان قد جاء في النثر بما هو السحر الحلال ، والخدعة التي لا تحيد لها عن الأنفعال ، ولكن هذا كله من التصرف في فنون البلاغة ، وقوة العارضة ، فهو يغالطه من هاهنا ، ويخدعه من هنا ، ويكابده من هنا ، حتى يظفر منه بمراده"[3].ففي حديث ابن زيدون وثوق تام بحدوث العفو ، وحصول الصفح واللطف من ابن جهور . أي: نقل المستقبل إلى الماضي وكأنّه قد وقع . ومثله قول أبي الطيب:

---

(١) خزانة الأدب، ابن حجة الحموي : ج٤، ص٤١٩.

(٢) تمام المتون : ص٣٨٨.

(٣) المصدر السابق : ص٣٨٩.

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب[1]

فأبو الطيب لوح وأشار بطلبه بهذه الألفاظ البليغة ، البديعة المنقحة ، التي ذكر فيها حاجته إيماءً مع تعظيم الممدوح . يقول: إنّ في نفسي حاجات لا ينبعث بها لساني ، وأنت من الفطانة والذكاء بحيث تدركها دون أن اذكرها ، فسكوتي عنها يقوم مقام الإفصاح عنها ، فالشاعر لا يطلب طلباً مباشراً وإنّما يلوح تلويحاً بألفاظ تؤكد سمو وعظمة الممدوح .

والطلب ما هو إلا استعطاف واستلطاف ، ولكن بكلام مستعذب حسن لذيذ مطمع في القبول . يقول الصفدي: "وفي المثل" تلطف أبي غزوان "وهو كنية القط، لأنّك ترى القط الذي يكون عندك في البيت _ولا أعني به الأجنبي _، كيف يقف حذاءك ويخضع لك ، ويتمرغ على يديك ، ويطرح نفسه على ما يقرب منه من جسدك ، وتارة ينظر إليك ، وتارة يصيح ، ولا يزال بك حتى تطعمه ، إما رحمة له ، أو ضجراً منه"[2].

والظاهر أنّ الصفدي أشار إلى مصطلح "الطلب" هذا بعد تأمله ، ونظره فيما قاله بعض السابقين من علماء البديع ، الذين ذكروه وقسموه إلى عدة أقسام[3].

---

(١) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج١، ص٣٢٤.

(٢) تمام المتون : ص٣٨٩.

(٣) الإيضاح ، للقزويني : ص٢٧٣ . انظر : جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٣٤٠.

الفصل الثاني : المحسنات المعنوية

المبحث الأول : المذهب الكلامي .

المبحث الثاني :التمثيل والشماتة .

المبحث الثالث : حسن التعليل .

المبحث الرابع : المبالغة .

المبحث الخامس : الثورية .

المبحث السادس : التقسيم والاستقصاء والإسجال بعد المغالطة .

المبحث السابع : العكس والتبديل والحل والعقد وإرسال المثل .

المبحث الأول
المذهب الكلامي

تعريفه :

هو أن يحتج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده ، وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم ، وإبطال ما أورده الخصم . قال ابن الأثير : "وسمي بالمذهب الكلامي لأنّه يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إيطال حجج خصومهم"[1]. ومعني هذا أن يأتي المتكلم بأدلة وبراهين تؤكد صحة دعواه ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾[الأنبياء: ٢٢] ، فانتفاء الفساد ، دليل على انتفاء آلهة غير الله ، وهذا دليل قوى وبرهان واضح ، وحجة من أقوى حُجج وأدلة التوحيد. ويعرفه القزويني بقوله : "المذهب الكلامي وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام"[2].ويستشهد القزويني بعدد من الآيات الكريمة التى وردت لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وإقامة الحجة على المعاندين . ومن الآيات التى استشهد بها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾[الأنعام: ٧٦] ، يقول القزويني :" أي: القمر أفل ، وربي ليس بآفل ، فالقمر ليس بربي"[3]. وهذه حجة قوية تؤكد أنّ الذين يعبدون القمر على باطل ، لأنّ القمر يغيب ، وأما الذين يعبدون الله فهم على حق ، لأنّ الله دائم حي لا يموت.

المذهب الكلامي في كتاب تمام المتون

يقول الصفدي: "وقد سمي الجاحظ هذا النوع من البديع بالمذهب الكلامي ، وزعم ابن المعتز أنّه لا يوجد منه شيء في الكتاب العزيز ، وهو كثير

---

(١)جواهر الكنز ، لنجم الدين بن الأثير : ص٣٠٢.

(٢) الإيضاح ، للقزويني : ص٢٣٣.

(٣) المصدر السابق : ص٢٣٣.

فيه إلى الغاية"[1]. فالصفدي يؤيد كلام الجاحظ. ويخالف ابن المعتز مؤسس فن البديع ويذكر عدداً من الشواهد من القرآن يقول : "ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾[الأنبياء: ٢٢] ، وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ ﴾[المؤمنون: ٩١] ...الخ"[2].

وسوف نذكر هذه الشواهد ، ونحللها مع توضيح المذهب الكلامي فيها. وكلام الصفدي صحيح أنّ هذا الفن كثير في القرآن ، وذلك لأنّ كثيراً من آيات القرآن الكريم جاءت رداً على عناد الكافرين وإلحادهم ، واحتجاجاً عليهم.

١) قال ابن زيدون:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب[3]

قال الصفدي: "هذا البيت من جملة أبيات قالها النابغة _ وأسمه زياد بن معاوية _ يعتذر فيها للنعمان ويمدحه ، وأولها:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبت كأنّ العائدات فرشن لي هراساً به يعلى فراشي ويقشب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأً لي جانب من الأرض فيه مستراد وملعب
ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم أحكم في أموالهم وأقرب
كقولك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا[4]

ومعنى الأبيات : أبيت أن تأتي أمراً تلعن عليه ، وتلك التي يصيبني منها الهم والإعياء ، فبت ليلتي كأنّ زائراتي وعائداتي في المرض فرشن لي الهراس

---

(١) تمام المتون : ص٢٤٠.

(٢) المصدر السابق : ص٢٤٠.

(٣) المصدر السابق : ص٢٣٩.

(٤) المصدر السابق : ص٢٣٩ . انظر : ديوان النابغة : ص٢٧.

_وهو نبت له شوك كثير _، أراد أن يوضح حالة السوء التي يعيش فيها لعدم رضاء الملك عنه ، وهي صورة تمثيلية رائعة ، ويقسم له بالله ليؤكد صدقه ، وأنّ الذي نقل له هذه الوشاية كذوب وغشاش . ثم يقول مخاطباً النعمان بن المنذر:

إنّ لي مصالح ومنافع في الأرض التي أذهب إليها ، وأتردد نحوها ، وفي هذه الأرض ملوك وأصحاب إذا أنا مدحتهم ، وأثنيت عليهم ، حكموني في أموالهم ، وأعطوني ما أريده ، وقربوني منهم ، مثلما تفعل أنت حينما يفد إليك شعراء من غير شعرائك الخاصين بك ، فيمدحونك وأنت تكرمهم ، وتجزل لهم العطايا ، ولا تراهم مذنبين مع أنّهم في الأصل شعراء لغيرك ، فعاملني كما تعامل أولئك. أي: إذا كان هؤلاء الشعراء الذين ليسوا من خاصتك ومدحوك ، وأنت أكرمتهم ، وأنت ترى أنّهم غير مذنبين ، فلماذا أُتّهم أنا بالذنب ؟ وأنا إنّما صنعت كما صنعوا . فالنابغة الذبياني يقيس حالته بحالة هؤلاء الشعراء ، ويسوق الأدلة والحجج القوية على براءته.

يقول الصفدي: "والنابغة كان يتحدث مع النعمان في هذه الأبيات فيقول: أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك ، وأنا أحسن إليّ قوم فمدحتهم، فكما أنّ مدح أولئك لا تعده ذنباً ، فكذلك مدحي لمن أحسن إليّ لا يكون لي ذنباً عندك"[1]. وهذا يدل على حذق الشاعر ومهارته في الاحتجاج ، حتى استطاع أن يعود مرة أخرى للملك.

قال الصفدي: "عن الشعبي قال عمر ﷺ: من أشعر الناس؟ قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين، قال: من الذي يقول:

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فأحددها عن الفند

وخيس الجن إنّي قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قالوا: النابغة، قال فمن الذي يقول:

أتيك عارياً خلقاً ثيابيعلى خوف تظن بي الظنون

(١) تمام المتون : ص٢٤٠ . انظر : علوم البلاغة ، للمراغي : ص٢٣٢ .

قالوا : النابغة، قال: فمن الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة ، قال: فهو أشعر العرب"[1].

ومن شواهد الصفدي على وجود المذهب الكلامي في القرآن الكريم :

١) قوله تعالى:﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾[الأنبياء: ٢٢] ، وقد تم الحديث عنها ، وتوضيح المذهب الكلامي في مقدمة الحديث عن هذا الفن . يقول التفتازاني: "واللازم هو فساد السموات والأرض باطل ، لأنّ المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه ، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة"[2].

٢) وقوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ويفهم منها أنّه ليس مع الله من إله ، وكأنّ قائل ذلك قال: ولو سلمنا أنّه معه إله للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق ، وعلو بعضهم على بعض ، فلا يتم في العالم أمر ، ولا ينفذ حكم ، والواقع خلاف ذلك ، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه المحال. قال سيد قطب : "وهذا صحيح لأنّ كل إنسان مسلم أو مشرك لا ينكر تناسق الكون ، وحركته المنظمة ، وهذا وحده إقناع لصاحب الفطرة السليمة على أنّ إله هذا الكون واحد لا شريك له"[3].

٣) قال تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [الروم: ٢٧].

أي : أنّ القدرة التي تعلقت بابتداء الخلق وإنشائه ولمن تكن قبل ذلك شيئاً تعلقت بإعادته مرة أخرى ، فالله عز وجلهو الذي يبدأ الخلق ، وهو الذي يعيده ، وهو أهون عليه ، لأنّ الإعادة أسهل من البدء . يقول الهاشمي: "وكل ما هو

---

(١) تمام المتون : ص٢٤٠ . انظر : ديوان النابعة الذبياني : ص٣٣.

(٢) المطول في شرح تلخيص المفتاح ، للتفتازاني : ص٦٦٧.

(٣) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١٧ ، ١٤١٢هـ _١٩٩٢م ،ج٤ ، ص٢٣٧٤.

أهون عليه ، فهو أدخل تحت الإمكان ، فالإعادة ممكنة"[1]. ومن المذهب الكلامي ما رواه الصفدي: "ومن عجيب الدهاء أن قوماً قدموا خصماً لهم إلى الحاكم ، فقالوا: لنا عليه مال، فقال: صدقوا أيها الحاكم سألتهم المهلة إلى أن أبيع مالي من عقار ، ورقيق ، وإبل ، وشاء ، فقالوا: كذب ، _أعزك الله _ وإنّما يداهينا بذلك ، فقال: أيها الحاكم قد شهدوا لي بالإعسار ، فخلى الحاكم سبيله"[2]. فقد رد عليهم بالحجة القاطعة ، والبرهان الساطع ، الذي جعل الحاكم يقتنع بكلامه . وقد قطعت حجته عنادهم.

٤) قوله تعالى : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾[الأنعام: ٨٠ _ ٨٣].

يقول المراغي: "﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾أي : وجادله قومه في أمر التوحيد ، فهو حين أبان لهم بطلان عبادة الأصنام ، وربوبية الكواكب ، وأثبت لهم وحدانية الله ، ووجوب عبادته وحده ، حاجوه ببيان أوهامهم في شركهم، إذ قالوا : إنّ إتخاذ الآلهة لا ينافي الإيمان بالله الفاطر للسموات والأرض ، لأنّهم شفعاء عنده ، ولما لم يجدِ ذلك معه ، خوفوه أن تمسه آلهتهم بسوء ، وانتهت بهم خاتمة المطاف أن قالوا: أنّهم ساروا إلى ما وجدوا عليه آباءهم . وليس للمقلد أن يحتج للحجة إذا قامت عليه ، وكثيراً ما يضطرب المقلد لسماع الحجة إذ يومض في قلبه نورها ، ثم يعود إلى سابق وهمه خائفاً مما لا يخيف، راجياً ما لا يرجي"[3].

---

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٢٩٥ . انظر : المطول ، للتفتازاني : ص٦٦٨.

(٢) تمام المتون : ص٣٨٦.

(٣)تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط٣، ١٣٩٤هـ_١٩٧٤م : ج٧، ص١٧٥.

والآيات السابقة قطعت عناد المشركين ، وأقامت عليهم الحجة الواضحة . ولتأكيد وجود المذهب الكلامي في القرآن الكريم كما قال الصفدي . انظر إلى تفسير المراغي لقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ حيث يقول: "وتلك الحجة الدامغة التي تضمنها البيان السالف المثبتة للحق ، المزيفة للباطل ، هي الحجة التي أرشدنا إليها إبراهيم ، وأعطيناه إياها ، ليلزم قومه ويقنعهم بها"[1].

والآيات الكريمة تحوى بياناً مفصلاً ، وجواباً شافياً من المولى _عز وجل _ به القضاء الفاصل بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين الذين حاجوه من قومه . ويختم المراغي حديثه بقوله: "وأعلم أن معرفة الله تعالى لا تحصل على الوجه الصحيح إلا بتعليم الوحي ، وعلم الأنبياء به ضروري لا نظري ، فقد علمهم به ما لم يكونوا يعلمون من الحجج العقلية ، والدلائل النقلية ، إلى نحو ذلك مما هداهم الله"[2].

---

(١) المصدر السابق : ج٧ ، ص ١٧٩ . انظر : تمام المتون : ص٢٤١.

(٢)التفسير ، للمراغي : ج٧، ص١٧٣.

المبحث الثاني
التمثيل والشمائة

تعريف التمثيل :

عرفه قدامة بقوله : "أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى ، فيضع كلاماً يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه"[1]. ويؤيد ابن حجة قول قدامة بقوله: "التمثيل ما افترعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وقال: هو أن يريد المتكلم معنى لا يدل عليه باللفظ الموضوع له ، ولا بلفظ قريب من لفظه ، وإنّما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الأرداف ، يصلح أن يكون مثالاً للفظ المعنى المراد ، كقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] وهذا التمثيل العظيم في غاية الإيجاز ، وحقيقته أي : هلك من قضى هلاكه ، ونجي من قُدِّرت نجاته"[2]. والغرض منه الإيجاز.

التمثيل في كتاب تمام المتون

قال ابن زيدون: **"وذلك بيده وهين عليه"**[3].

والمعنى: كل الأمر راجع إليه جل وعلا ، وهو المتصرف في الحكم كيف أراد على ما يختار ، كما يكون الشيء بيده ، وهذا تمثيل . يقول الصفدي: "وهذه كناية عن القدرة والاستيلاء ، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] وفي قوله:﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ **لطيفة:** لأنّه لم يقل "في يمينه" حتى ينفي الظرفية التي هي من لوازم الأجسام . وكل هذه العبارة كناية عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل فتبارك الله العظيم ، وهذا النوع يسميه أرباب البديع التمثيل"[4].

---

(١)نقد الشعر، لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفي ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣ : ص ١٥٩_١٦١.

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٢، ص٣٤٥.

(٣) تمام المتون : ص٣٨٣.

(٤) المصدر السابق : ص٣٨٢.

وأرى أنّ التمثيل هذا أشبه في علم البيان بالكناية ، لأنّ المتكلم يعدل عن لفظ إلى لفظ آخر ، والفرق هو ما وضحه ابن حجة في شرحه لقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، حيث يقول: "وما عدل عن لفظ الخاص إلى لفظ التمثيل إلا لأمرين **أحدهما** : الاختصار لبلاغة الإيجاز، و**الثاني** : كون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ، ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص"[(١)].

ويستشهد الصفدي للتمثيل بقول الرماح بن ميادة:

ألم تك في يمني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا[(٢)]

أراد أن يقول للأمير : أنني كنت قريباً منك ، فلا تجعلني بعيداً عنك ، فعدل عن هذا اللفظ إلى لفظ آخر ، وهو أنّني كنت في يمينك فلا تجعلني في شمالك ، وكلا الكلامين _الكلام الذي وضعه ، والمعنى الآخر الذي يقصده ، ينبئان بما يشير إليه بلفظ ومعنى يجريان مجري المثل له ، والإبداع في المقالة_ وقد أشار باليمين إلى الرضا ، وبالشمال إلى السخط .

يقول الصفدي: "أراد أن يقول : ألم أكن قريباً منك ؟ فلا تجعلني بعيداً عنك ، فعدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ أعم ، وهو التمثيل ، لما فيه من الزيادة في المعنى ، مما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من القرب والبعد ، ومن الأوصاف التي لا يحصل إلا بذكرهما ، لأنّ اليمين أشد قوة من الشمال ، وأقرب إلى ربها ، لأنّها بها يأخذ ويعطي ويبطش ، ويعمل الصنائع ، وبها يعتمد ، وهي عنده مُكرّمة على الشمال ؛ فهذه للأفعال الشريفة ، وتلك للأعمال الخسيسة ؛ ولهذا كانت يمين رسول الله ﷺ لأكل وشرابه ووضوئه ونعله ، وشماله لاستنجائه وإماطة الأذي عنه"[(٣)].

---

(١) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي : ج٢، ص٣٤٥.

(٢) تمام المتون : ص٣٧٣ . انظر: نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر : ص١٦٠.

(٣) تمام المتون : ص٣٨٣ . انظر : تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ص٢١٦.

تعريف الشماتة :

يقول ابن أبي الأصبع معرفاً الشماتة: "إظهار المسرة بمن نالته محنة ، أو أصابته نكبة"[1].

الشماتة في كتاب تمام المتون

وقد ذكرها الصفدي معلقاً على البيت الذي أورده ابن زيدون في رسالته:

كل المصائب قد تمر علىالفتى فتهون غير شماتة الحساد[2]

يقول: "وقد جاءت الشماتة في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾، فقوله: ﴿ ذُقْ ﴾شماتة وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾تهكم ، وقوله تعالى : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾فعلى هذه الشماتة من أنواع البديع"[3]. يقول ابن حجة الحموي: "وفي الاستعمال المصطلح: هو عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار ، والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهزاء ، فشاهد البشارة في موضع الإنذار من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ، وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ "[4] . ويذكر الصفدي أمثلة لذلك منها :

قول الشاعر :

إلى الله يا ولد الزانيةوهذا الهوى إلى الهاوية

وقعت فيا بردها في القلوب ويا ليتها كانت القاضية[5]

---

(١) تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ص٥٦٧.

(٢) تمام المتون : ص٥٨ .

(٣) المصدر السابق : ص٥٨.

(٤) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٢ ، ص١٩١ .

(٥) تمام المتون : ص٥٨.

فالشاعر يظهر السرور بما حدث لهم من نكب ومصائب ، وأن مصيرهم إلى هذه الهاوية.

يقول ابن الرومي:

لا زال يومك عبرة لغـدك وبكت لشجوٍ عينُ ذي حسدك

فلئن بكيت فطالما بكيتبك همة لجأت إلى سندك

لو تسجد الأيام ما سجدتإلا ليوم فُتَّ في عضدك

يا نعمة ولت غضارتهاما كان أقبح حسنها بيدك

فلقد بدت برداً على كبدي لما غدت حرّى على كبدك

ورأيت نعمى الله زائدةلما استبان النقص في عددك[1]

وكل الأبيات السابقة شماتة ، وقد بالغ فيها ، وأشدها البيت الأخير ، لأنّه يرى أنّ نعم الله تصبح زائدة عليه إذا رأي النقص في عدد عدوه.

(١) تمام المتون : ص٥٨ .

المبحث الثالث
حسن التعليل

تعريفه :

هو أن يتناسى الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة ، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه . يقول نجم الدين بن الأثير: "وهو أن يذكر المتكلم شيئاً حكمه واقع ، أو متوقع ، فيقدم قبل ذكره علة وقوعه ، لأنّ رتبة العلة مقدمة على المعلول"[1]. ومثل ذلك قول المتنبي:

ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب[2]

فالمعروف أنّ الملوك يقتلون عدوهم حتى يآمنوا ، ويسلموا من شرهم وكيدهم ، لكنّ الشاعر جاء بسبب آخر ، وهو أنّ الذئاب تحتاج للأكل ، ولذا يقتل العدو حتى إذا أتت الذئاب وجدت ما تأكله ، ولم ترجع خائبة . يقول الهاشمي: "فإنّ قتل الأعادي عادة للملوك ، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضررهم ، ولكن المتنبي اخترع لذلك سبباً غريباً ، فتخيل أنّ الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف حتى لدي الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي ، ومجيئه إجابة طالب الإحسان ، ومن ثَمَّ فتك بهم ، لأنّه علم أنّه إذا غدا للحرب رجت الذئاب أن يتسع عليها رزقها ، وتنال من لحوم أعدائه القتلى ، وما أراد أن يخيب لها مطلباً"[3]. والغرض من العلة تأكيد كرمه.

---

(١) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص٢٣٩.

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص١٢٤.

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٢٩٧.

حسن التعليل في كتاب تمام المتون:

نجد الصفدي يسمي هذا الفن من فنون البديع أحياناً بـ"حسن التعليل" يقول: "وهذا الذي يسميه أرباب البديع حسن التعليل"[1]، وأحياناً يسميه بتحسين القبيح يقول: "وهذا من باب تحسين القبيح"[2]. وكلاهما اسم لمسمي واحد فحسن التعليل هو نفسه تحسين الشاعر لعلة اخترعها بدل علة معروفة ، وهذا الفن يعد من أكثر الفنون انتشاراً في كتاب تمام المتون.

١) قال ابن زيدون: **"هل أنا إلا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به إكليله"**[3].

والمعنى: وصف نفسه بأنّه يد أدماها سوارها الذي تتحلي وتتزين به ، ووصفها أيضاً بأنّه جبين عض به تاجه الذي فوقه . أي: أنّ ما أصابه أتاه من أقرب الناس إليه ، ولم يأته من بعيد . يقول الصفدي: "وهذا مأخوذ من قول أبي الطيب:

بنو كعب وما أثرت فيهميد لم يدمها إلا السوار

بها من قطعه ألم ونقص وفيها من جلالته افتخار

فأبو الطيب أراد أن يأتي بعلة طريفة يبرر بها قتل سيف الدولة بن حمدان. لقبيلة بنو كعب التي كان يحسن إليها ويبرها ، ولكنّها لم تحفظ الجميل حيث عادت فحاربته ، فهو لها مثل السوار الذي أدمي اليد ولكن مع ذلك وجوده يضفي عليه جلالاً وجمالاً.

---

(١) تمام المتون : ص٧٨.

(٢)المصدر السابق : ص٦٦.

(٣) المصدر السابق : ص٦٥.

قال الصفدي : **"وقوله : يد أدماها سوارها"** يشبه قول الباخرزي"[1] ويصفه أنّه من باب تحسين القبيح ، ويستشهد بأبيات الوزير ابن كلس[2] يقول الصفدي : "أن يعتذر له بشيء يعود قبحه حسناً ، كما اتفق للعزيز صاحب مصر ووزيره ابن كلس لما تسابقا بالحمام ، فسبق حمام الوزير فشق ذلك عليه ، وأراد الإيقاع به ، فكتب الوزير إليه:

قل لأمير المؤمنين الـــذيله العلا والنسب الثاقب
طـائــرك الســابق لكــنجـاء وفي خـدمته حـاجب
فسكن غيظ الخليفة"[3].

وبعد تعليل الوزير لهذا الأمر الواقع ، وتقديمه علة وقوعه قبل ذكره وإنكاره العلة الحقيقية للسباق ، أتى بعلة مبتكرة طريفة من عنده ، وهو أنّ حمامه لم يسبق وإنّما تقدم على حمام العزيز لأنّه حاجب ، والحاجب يتقدم على الملك ، وهو أقل مرتبة منه ، والملك يكون حاجبه بالخارج تقابله الوفود قبل الملك ، وهو تعليل مناسب لأنّه أدى الغرض الذي أنشئ من أجله وهو إرضاء الملك.ويقول الصفدي: "وكما قال الآخر لَّما احترق حرم النبي ﷺ:

لـم يحتـرق حـــرم النبي لـريبةتخشى عليه ولا هنالك عار
لكنما أيدي الروافض لامستذاك الضريح فطهرته النار[4]

أنكـر الشاعر العلة الحقيقية لحرق الروافض لحرم النبي ﷺ وهـي

---

(١) تمام المتون : ص٦٧.

(٢) المصدر السابق : ص٦٧. وابن كلس : يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس، أبو الفرج: وزير، من الكُتاب الحساب ، ولد ببغداد. . انظر : الأعلام ، للزركلي: ج٨، ص٢٠٢.

(٣) تمام المتون : ص٦٧.

(٤)المصدر السابق : ص٦٦.

كيدهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين ، وأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه ، وهو أنّ النار طهرت الحرم حينما لامسته أيدي الروافض النجسة ، والغرض من العلة هو تأكيد ضلال وكفر الروافض ، لذا صار الحرم طاهراً من ملامستهم له ، وما فعله الروافض قبحهم الله قبيحاً ، ولكن الشاعر جعله مستحسناً بدل أن يكون حريقاً أصبح طهارة . وقريب من هذا قول أبو الحسين الجزار وقد ذكر حريق الحرم المدني ، يقول:

لله في النار التي وقعت به سر عن العقلاء لا تخفيه

أن ليس يبقي في فناه بقية مما بنته بنو أمية فيه[1]

والجزار ذكر علة أخرى غير علة الشاعر السابق لسبب الحريق ، وهي أنّ النار حرقت ما بناه بنو أمية في الحرم ، وطهرته من كل شيء يتعلق بالأمويين. ولعل الغرض الأسمى الذي يرمي إليه الشاعران هو طهارة وقدسية وجلال الحرم المدني ، من أن يصاب بمكروه ، حتى لا تدخل الظنون والأوهام في قلوب العامة ، والله تعالى أعلم.

٢) قال ابن زيدون: **"فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً أحفلها"**[2].

وعلى الرغم من أنّ ابن جهور ترك ابن زيدون يمكث في السجن طويلاً ، إلا أنّ ابن زيدون يلتمس له العذر ، ويأتي بعِلة أدبية طريفة ، تجعل القبيح الذي فعله ابن جهور مستحسناً ، وهو أنّ الدلاء البطيئة تأتي مليئة بالماء ، والسحب الثقيلة تكون أكثر مطراً من تلك السريعة ،

---

(١) تمام المتون: ص٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص٧٨.

ولذا تأخير الملك في العفو عنه سيعقبه خير كثير . يقول الصفدي: "أخذ في الاعتذار عن المخاطب لكونه أخّر الحنو عليه ، والإجابة إلى ما قصده منه ، وهو الذي يسميه أرباب البديع حسن التعليل ، لأنّهم يحسنون الشيء بعباراتهم الفصيحة ، وإن كان الأمر في نفسه قبيحاً"[1].

وكلام الصفدي يؤكد أنّ حسن التعليل ، وتحسين القبيح عنده بمعنى واحد ، ويضرب الصفدي أمثلة أخرى لحسن التعليل ، يقول : قال الوزير أبو الغارات طلائع بن رزيك[2]:

وما أخضر ثوب الأرض إلا لأنّهإليه إذا زارت بأقدامها تخطو

ولا طاب نشر الزهـــــر إلا لأنّهيجر عليها من جلابيبها مرط[3]

فقد أنكر العلتين الحقيقيتين لإخضرار الأرض ، ولطيب نشر الزهر ، وأتي بعلتين أدبيتين طريفتين من عنده ، وهي على الترتيب خطو أقدامها على الأرض ، وقوله: " يجر عليها من جلابيبها مرط" وقصده أنّ إخضرار الأرض ليس ناشئاً من سبب طبيعي ، وإنّما من خطو أقدامها عليها ، وكذلك ما طاب نشر الزهر إلأ لأنّه يجر علي الأرض مرطاً من جلابيبها .

ومثله قول أبو منصور ظافر الحداد[4]:

قالوا محـا الجدري بهجته قسماً برب منى لقد كذبوا

---

(١) تمام المتون : ص٧٨.

(٢)طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح أبو الغارات: وزير عصامي ، يعد من الملوك . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣، ص ٢٢٨.

(٣) تمام المتون : ص٧٨.

(٤)ظافر بن منصور الجذامي ، أبو نصر الحداد: شاعر من أهل الإسكندرية . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣، ص٢٣٦ .

قد صفت الصهباء وجنته لوناً فحمل صفوها الحبب[1]

أنكر الشاعر الأثر الذي تركه الجدري على الممدوح ، وأتى بعلة أدبية طريفة من عنده تناسب الغرض الذي يرمي إليه ، وهو أنّ الصهباء قد جعلت لونه صافياً ، وأنّ هذا الأثر ليس أثر الجدري ، وإنّما هو الحبب.

وفي قول ابن زيدون: **"أبطأ الدلاء فيضاً أملؤها"**، يقول الصفدي: "هذا نصف بيت قاله ابن المعتز في الاستسقاء من جملة بيتين وهما قوله:

قلت وقد ضج رافعاً يده دعوا البرايا فالله يكلؤها

واستيقنوا بالدواء منه كماأبطأ وفرِ الدلاء أملؤها[2]

ويقول أبي الطيب:

ومن الخير بطء سيبك عني

أسرع السحب في المسير الجهام[3]

يقول: إنّ تأخير جودك وما تجود به من سيب وعطايا فيه خير لي ، لأنّك ستجود لي بالكثير ، وتأخير العطاء قبيح ، لأنّ النفس مولعة بحب العاجل ، ولكن المتنبي علله وحَسَّنه بقوله : "أسرع السحب في المسير الجهام" ، أي : أن ما يسرع من السحاب هو الجهام الذي لا ماء فيه ، والبطيء منه وهو الذي يأتي بالماء ، وهذه مقارنة جميلة بين الممدوح

---

(١)تمام المتون : ص٧٨. انظر : ديوان ظافر بن الحداد ، تحقيق د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، ٣٧ شارع كامل صدقي ، الفجالة : ص٥٣ .

(٢) تمام المتون : ص٧٨.

(٣) تمام المتون : ص٧٩ . انظر: ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص١٤٢.

والسحاب ، فالممدوح يتأخر في العطاء ولكنّه بعد ذلك يجود بعطاء وفير ، والسحب البطيئة في سيرها تأتي بالوابل المدرار ، والغرض من العلة تأكيد كرم الممدوح.

ويستشهد الصفدي أيضاً بقول التهامي[1]:

لو لم يكن أقحواناً ثغر مبسمها

ما كان يزداد طيباً ساعة السحر[2]

أنكر الشاعر طيب رائحة الأقحوان ساعة السحر ، وقال هذا الطيب يخرج من فمها لأنّ ثغر مبسمها كالأقحوان ، والغرض من العلة تأكيد طيب رائحتها.

٣) قال ابن زيدون: **"وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائلك"**[3].

فقد أنكر ابن زيدون العلة الطبيعية للون الصباح الباهي الواضح ، وأتى بعلة أدبية مبتكرة ، تناسب الغرض الذي يرمي إليه ، وهو أنّ الصباح لبس برداً طرز بفضائل الممدوح.

٤) قال ابن زيدون:**" واستملي الربيع إلا ثناء ملأته من محاسنك"**[4].

أنكر العلة الحقيقية لجمال الربيع ، وأتي بعلة أدبية طريفة من عنده وهي أنّ الثناء الذي وجده الربيع ، ما وجده إلا لأنّه امتلأ محاسناً من محاسن الممدوح.

---

(١)علي بن التهامي أبو الحسن ، له ديوان مشهور ، انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٤٣٧.

(٢) تمام المتون : ص٧٨.انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج٢ ، ص٣٥٧. انظر : ديوان ، التهامي ، تحقيق ، د. على نجيب عطوي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م : ص١٨٣.

(٣) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤، ص ٢٢٤.

(٤) تمام المتون : ص٢٩٠.

٥) قال ابن زيدون: **"وبث المسك إلا حديثاً أذعته في محامدك"**[١].

أنكر العلة الحقيقية لانتشار وذيوع المسك ، وهي بث وانتشار محامده وفضائله بين الناس . فابن زيدون أراد أن يؤكد لممدوحه أنّه أذاع ونشر محامده بين الناس ، وما هذا المسك المنتشر والذي فاحت رائحته وفشت بين الناس إلا إذاعته لمدحه.

(١)تمام المتون : ص٢٩١.

المبحث الرابع
المبالغة

تعريفها :

المبالغة في اللغة : الاجتهاد في الشيء إلى حد الاستقصاء ، والوصول به إلى غايته . وتأتي بمعنى المغالاة ، وهي الزيادة بالشيء عن حده . قال العسكري : "المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا يقتصر في العبارة على أدنى منازله ، وأقرب مراتبه"[1].

وقد حصرها علماء البلاغة في ثلاثة أنواع هي :

أ)**التبليغ** : إن كان ذلك الادعاء ممكناً عقلاً وعادة . نحو قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[النور: ٤٠].

ب) **الغلو** : مأخوذ من قولهم غلا في الرمي ، إذا جعل بينه وبين الغرض مدى ، ثم رمي فتجاوز الحد عند ذلك المدى . يقول نجم الدين ابن الأثير: "وأما الغلو : فهو الزيادة في الخروج عن الحد"[2]. مثل قول المعري :

تكاد قسيه من غير رام تمكن في قلوبهم النبالا[3]

يريد المعرى أن يقول : "أنّ أعداء الممدوح لا ينجون من سلاحه ، حتى أنّ أقواسه تكاد تمكن السهام في قلوبهم من غير أن يرمي عنها رامٍ ، وهنا نجد أنّ الإدعاء مستحيل عقلاً وعادة .

---

(١) الصناعتين ، للعسكري : ص٣٦٥.

(٢) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص١٣٥.

(٣) المصدر السابق : ص١٣٥.

ج) **الإغراق** : من قولهم أغرق في النزع ، إذا استوفى السهم إلى أن يخرج من كبد القوس إلى الناحية الأخرى . قال الرازي : "وأغرق النازع في القوس أي : استوفى مدها"[1]. الإغراق إن كان الادعاء ممكناً عقلاً لا عادة . ومثل هذا قول أبي الطيب المتنبي :

روح تردد في مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولاً أنّني رجل لو لا مخاطبتي إياك لم ترني[2]

يقول المتنبي : إنّ له روحاً تتحرك في جسم ضعيف رقيق ، يشبه الخلال _وهو عود رقيق تخلل به الأسنان_ ، هذا الجسم إذا عصفت الريح بالثياب التي فوقه لم يظهر ولا يرى لشدة نحوله ودقته . ويكفي جسمي من النحول والضعف أنّي يستدل عليّ بصوتي ، وإذا لم أتكلم لا يراني أحد . والادعاء هنا ممكن عقلاً وعادة .

وبعض علماء البديع يسمي هذه الأنواع الثلاثة مبالغة . يقول ابن منقذ : "أعلم أنّ المعنى إذا زاد عن التمام سمي مبالغة . وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم ، فسماه قوم" الإفراط ، والغلو ، والإيغال ، والمبالغة ، وبصفة أرفع من بعض[3].

المبالغة في كتاب تمام المتون

لم يقسم الصفدي المبالغة إلى أنواع كما قسمها بعض علماء البلاغة إلى تبليغ وغلو وإغراق ، ولكنّه اكتفي أن يفاضل بين هذه وتلك . يقول : "وهذه مبالغة عظمى"[4]، أو يقول : "وهذه مبالغة زائدة"[5]، أو يقول: لا

---

(١) مختار الصحاح ، للرازي : ص٢٧٢.

(٢) ديوان المتنبى، للعقباوي : ص١٧ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ص١٤٤.

(٣) البديع ، لابن منقذ : ص١٥٥.

(٤) تمام المتون : ص٤٢.

(٥) المصدر السابق : ص٤٢.

وهذه غاية في المبالغة"[1]. وهكذا واللبيب بالإشارة يفهم ، وقد ذكرت في تحليلي لكلام ابن زيدون وشرح الصفدي هذه الأنواع موضحاً اسم كل نوع.

١) قال ابن زيدون : **"بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك"**[2]

ولاستحالة نظر الأعمى عقلاً وعادة ، يعد هذا غلو ، وحتى ولو كان بصيراً ، فالتأميل من المعنويات التي لا تشاهد بالعين .

يقول الصفدي شارحاً قول ابن زيدون : "فعلت بي ما تقدم من سلب لباس إنعامك ، وما بعده من الجمل المعطوفة ، بعد ما نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وهذه مبالغة زائدة ، وهو أنّ التأميل أمر معنوي لا تشاهده العين ، وأنا كنت مبالغاً فيما أملته منك ورجوته ، حتى رآه الأعمى من شدة أتصافي وتلبسي به ، وهذه مبالغة عظمي في هذا المعنى"[3].

وقول الصفدي : " مبالغة زائدة" و"مبالغة عظمى" تعني أنّه يريد الغلو . ومثل هذا قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم[4]

٢) قال ابن زيدون : **"وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحس الجماد بإسنادي إليك"**[5].

وهذا غلو ؛ لأنّ سمع الأصم وإحساس الجماد مما يستحيل عقلاً وعادة . يقول الصفدي : "والإسناد في الحديث أن يرفعه إلى قائله ، وهذا مما تقدم

---

(١) تمام المتون : ص٤٢ .

(٢)المصدر السابق : ص٤٢ .

(٣)المصدر السابق : ص٤٢ .

(٤) المصدر السابق : ص٤٢ . انظر: ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٢٦٧.

(٥) تمام المتون : ص٤٤.

فيالمبالغة . يقول : فعلت بي كل ذلك بعد ما نظر الأعمى تأميلي لك ، وسمع الأصم _وهو الذي لا سمع له _ ثنائي الـذي كنـت أثنيتـه عليـك ، وأحـس الجماد _ الذي لا إدراك له ولا إحساس _ برفع الحديث إليك ، وهـذه غايـة في المبالغة ، وطبقة عليا في البلاغة ، وهي أن يُثْنِي عليه إلى أن يسمعه الأصم ، ويسند إليه حتى يحس الجماد بذلك"[1]. يقول بعض الأعراب :

لقد بخلت حتى لو أنّي سألتها

قذى العين من ضاحى التراب لضنت[2]

في البيت الأول مبالغة ؛ لأنّه وصفها بالبخل الشـديد حتـى لـو أنّهـا سئلت قذى العين _وهو الذي يتمني كل إنسان أن يخرج من عينه _ لا تجـود به لبخلها . فالشاعر وصفها بأنّها بلغـت الحـد الأقصـى في البخـل . وهـذا تبليغ ؛ لأنّ الادعاء ممكن عقلاً وعادة . يقول الهاشمي متحدثاً عن أنواع المبالغة : "**والتبليغ** : إن كان ذلك الادعاء ممكناً عقلاً وعادة"[3].

قال سراج الدين الوراق :

ورقاد أهل الكهف دون رقاده

ما جن ليل أو أضاء نهار[4]

في البيت مبالغة ؛ لأنّه إدعى أنّ موصوفه ينام نوماً أكثر من نـوم أهـل الكهف ، والغرض من المبالغة تأكيـد كثـرة نومـه . وهـذا يمكـن أن يسـمى "إغراق" لأنّه ممكن عقلاً لا عادة .

---

(١) تمام المتون : ص٤٤_٤٥.

(٢) المصدر السابق : ص٢٦٨.

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٣٠٣.

(٤) تمام المتون : ص٢٢١.

المبحث الخامس
التورية

تعريفها :

التورية لغة : الإخفاء والستر . قال ابن منظور[1] : "ووَرَّيْتُ الخبر أُوَرِّيه تَوْرِيةً إذا سترته وأظهرت غيره كأنّه مأخوذ من وَراء الإنسان لأنّه إذا قال وَرَّيته فكأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر"[2].

واصطلاحاً : أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان ، معنى قريب ظاهر غير مراد ، ومعنى بعيد خفي هو المراد . قال نجم الدين ابن الأثير : "وحد التورية أن تكون الكلمة تحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلم أحد احتماليهما ، ويهمل الأخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله"[3]. ونحو ذلك قول المتنبي :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني[4]

فمن ينظر لكلمة "يمانٍ" يظن أنّ الشاعر يريد بها الرجل المنسوب لليمن ، نسبة لوجود القرينة "قيس" ، ولكن الشاعر يقصد بكلمة "يماني" اسم السيف . والمعنى : أنّ كف شبيب وسيفه متنافران ، فلا يجتمعان لأن شبيباً كان قيسياً ، والسيف يقال له "يماني" ، فوري به عن الرجل المنسوب إلى اليمن ، وبين اليمنيين والقيسيين تنافر قديم .

---

(١) محمد بن مكرم بن على ، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور الانصاري الرويفعى الافريقى ، صاحب "لسان العرب" : الامام اللغوى الحجة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص١٠٨ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور : ج١٥ ، ص٣٨٦ .

(٣) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص١١١.

(٤) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٣٧٣.

أو أن رقاب القتلى وشت بينه وبين سيفه بأنّه قيسي ، وسيفه يماني .

يقول ابن حجة : "التورية يقال لها : "الإيهام" و"التوجيه" و"التخييل" ، والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لأنّها مصدر " وريت الخبر تورية" إذا سترته وأظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر"[1]. فأبو الطيب في بيتيه السابقين ستر وأخفي المعنى الذي يريده ، وأظهر المعنى الذي لا يريده . وهنا يظهر جمال التورية وسرها الخفي والدقيق ، وسحرها الذي يخلب الألباب .

التورية في كتاب تمام المتون

ألف الصفدي كتاباً في التورية وهو : "فض الختام عن التورية والاستخدام" ، وهذا يدل على أنّه متبحر في هذا الفن ، وعلى الرغم من أنّ ابن حجة الحموي يقسو أحياناً على الصفدي ، إلا أنّه في حديثه عن التورية يصف الصفدي بأنّه من الفحول الذين انتبهوا لهذا الفن . يقول : " لأنّ هذا النوع ، أعني التورية ، ما تنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ، ولعمري أنّهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا عليه من باب ، فإنّ التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاه رتبةً ، وسحرها ينفث في القلوب ، ويفتح بها أبواب عطف ومحبة ، وما أبرز شمسها نقية من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول ، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول"[2]. ويأتي ابن حجة ليؤكد صحة حديثه مستشهداً بقول الصفدي يقول : "ومما يؤيد قولي هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدي _رحمه الله _ في ديباجة كتابه المسمي "فض الختام عن

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٣، ص١٨٤.

(٢) المصدر السابق : ج٣، ص١٨٥.

التورية والاستخدام" : ومن بديع ما هو نادر الوقوع ، ملحق بالمستحيل الممنوع ، وهو نوع التورية والاستخدام ، فإنّه نوع تقف الأفهام حسرى دون غايته عن مرامي المرام"[1].

وفي كتاب تمام المتون لم يكن للتورية مساحة كبيرة ، لأنّها لم ترد أصلاً في الرسالة ، فالتورية تحمل معنيين كما ذكرنا ، وهذا لا يصلح في رسالة يريد صاحبها إيصال الفهم لابن جهور بأسهل الطرق ، ولكن ذكرها الصفدي في شرحه وها أنا أورد بعض الأمثلة على ذلك:

قال الصفي الحلي :

بصروا بفروك فازدروك لحالة أضحى بها معروف حسنك منكرا

كل أدار الطرف عنك محاولا

صيداً وكل الصيد في جوف الفرا"[2]

أي: أنّ الذين نظروا إلى شمل الفروة الذي يلبسه هذا الغلام المليح نفروا منه ، وغضوا عنه الطرف إلى غيره ، وما علموا أن ما اشتمل عليه الفرو أفضل من غيره . فالمعني المتبادر للذهن الصيد الغزال المعروف لوجود القرينة "صيداً" ، ومراد الشاعر هذا الغلام المليح . يقول الصفدي : "وكنت قد أنشدته لبعض الناس فأنكره ، وقال : الفَرا حمار الوحش _بفتح الفاء_ ، وكلام الصفي لا تصح معه التورية إلا بكسر الفاء ، فقلت : الفراء مفتوح الفاء ، مقصور مهموز ، هو الحمار الوحشي ، ويجمع على فِراء ممدود ، مكسور بالفاء ، كجبل وجبال . قال الشاعر :

---

(١) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي : ج٣، ص ١٨٦ . انظر : كتاب فض الختام في التورية والاستخدام ، لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق دكتور محمد عبد العزيز الحناوي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م .

(٢) تمام المتون : ص ٣٣٨.

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإيزاغ المخاض تبورها"[1]

ويقول سيف الدين بن المشد :

ومجلس راق مـــن واش يكـــدره

ومن رقيب له في اللوم إيــلام

ما فيه ساع سوى الساقي وليس به

على الندامى سوى الريحان نمام[2]

فكلمة "نمام" تحمل معنيين ، المعنى القريب هو الـذي ينقـل الأخبـار السيئة بين الناس ، والقرينة هي "واش ، ورقيـب ، وسـاع"، ولكـنّ المعنـى الذي يريده الشاعر هو انتشار الرائحة ، فكلمة "الريحان نمام "يريـد انتشـار رائحة الريحان الذكية في المجلس ولا شيء غيره . أي : لا نمام يكشفها في هـذا المجلس غير الرياحين . ومثل هذا قول الصفي الحلي :

أقول وطرف النرجس الغض شاخص

إلينا وللنمام حـولي إلمــام

يــا رب حتـى فـي الحــدائق أعـــين

علينا وحتى في الرياحين نمام[3]

فكلمة "النمام" لها معنيان ، فهي الواشي : الذي يسـعى بـين النـاس بالوشاية . والنمام أيضاً : نبتٌ له بذر كالريحان ، عطريٌ قويُ الرائحة ، سمـي بذلك لسطوع رائحته .

وقال الصفدي :

---

(١) المصدر السابق : ص٣٣٩ . انظر: مجمع الأمثال ، للمـيداني : ج٢، ص ١٠٩_١١٠.

(٢) تمام المتون : ص٢٣٦ . انظر: خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٣، ص٢٨٦.

(٣) تمام المتون : ص٢٣٦ . انظر: خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٣، ص٢٦٠.انظر :ديوان الصفي الحلـي : ص٥٥٩ .

قلت وقد أصبحت في روضة بها حبيبي قد قضي دينـي

بالله يا منثـورنا لا تشـر بإصبـع قـط إلى البيـن

وأنـت يا نرجـس غمـض ولا تغامز النمـام بالعيـن[1]

ويقارن ابن حجة بين مجموعة من الأشعار تناولت هذا المعنى يقـول : "ويعجبني قول بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ :

فعاطني صهباء مشمولـة عذراء فالواشـون نـوام

وأكتم أحاديث الهوى بيننا ففي خلال الروض نمـام[2]

وبين أبيات صفي الدين الحلي ، وسيف الدين بن المشد فيقول : هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبي ، وذكرت من أغار عليها مـن الجماعـة ولكن الأمير سيف الدين المشد زادها نكتة أخرى بديعة ، واستعملها أحسن من الجماعة"[3]. ويعذر ابن حجة الشيخ صفي الـدين بأنّـه لم يلحـق بهـم ، لأنّ هذا ليس مذهبه . يقول : "ومن هنـا أخـذ الجميـع حتـى الشـيخ صـفي الدين الحلي مع أنّ التورية غير مذهبه"[4].

---

(١) تمام المتون : ص٢٣٦ .

(٢) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي : ج٣، ص٢٦٠.

(٣) المصدر السابق : ج٣ ، ص٢٨٦.

(٤) المصدر السابق : ج٣، ص٢٦٠.

المبحث السادس
التقسيم والاستقصاء والإسجال بعد المغالطة

تعريف التقسيم :

التقسيم هو أن يستوفي المتكلم جميع أقسام الكلمة ، التي يمكن وجودها غير تارك منها قسماً واحداً . قال أبو هلال العسكري : "التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[الرعد: ١٢]، وهذا أحسن تقسيم لأنّ الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس فيهم ثالث"[1].

أي : أن يذكر المتكلم متعدداً ثم يضيف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين ، أو بمعني أحق أن يذكر المتكلم جميع أقسام ما ابتدأ به . يقول الهاشمي : "وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين : أولهما : أن تستوفي أقسام الشيء نحو : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾[طه: ٦] . وثانيهما : أن نذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل منهما ما يليق به نحو:

ولا يقيم علي ضيم يراد به
إلا الأذلان عير الحي والوتد

(١) الصناعتين ، للعسكري : ٣٧٥ .

هذا على الخسف مربوط برمته

وذا يشج فلا يرثي له أحـد[1]

التقسيم في كتاب تمام المتون

قال ابن زيدون : **"ولا أخلو من أكون بريئاً فـأين عـدلك ، أو مسـيئاً فـأين فضلك"**[2].

وضح ابن زيدون لابن جهور الـذي سـجنه إنّـه لا يخلـو مـن هـذين الأمرين البراءة مـن الـذنب ، أو أنّـه مجـرم . والمـتهم لا يخـرج مـن هـذين القسمين ، فهو يطلب العدل في حالـة براءتـه ، والفضـل في حالـة ارتكابـه الذنب ، وهذا تقسيم . يقول الصفدي : "لا أخلو : لا أكون خالياً مـن أحـد القسمين : إما بريئاً مما رميت به ، فأين كان عدلك _والعـدل ضـد الجـور _ وإما مسيئاً فأين كان فضلك _والفضل ضد النقص _ وهو الاتصاف بالمحامد ، وهذا ألزم للمخاطب أن يعترف له بصحة التقسيم"[3].

ثم يأتي الصفدي بشواهد للتقسيم فيقول : "وقد جاء منه في القـرآن العظيم قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[الرعد: ١٢] ،فإنّه ليس في البرق إلا الخوف مـن الصـواعق ، أو الطمـع في سـقيا الغيـث"[4]. وتتجلى بلاغة القرآن العظيم في ذكر الخوف قبل الطمـع ، لأنّ الإنسـان إذا رأي البرق أول مرة خاف ، ثم إذا برق مرة أخرى طمع في الغيث . يقول ابن حجة الحموي : "فلما أن كان الأمر المخوف من البرق يقع في أول برقه ، أتى ذكر الخوف في الآية الكريمة أولاً ، ولما كان الأمر المطمع إنّما يقع مـن الـبرق

---

(١) تمام المتون : ص٨ . انظر : جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص ٣٠٢ .

(٢) تمام المتون : ص٩٧.

(٣) المصدر السابق : ص٩٧.

(٤) المصدر السابق : ص٩٨.

بعد الأمر المخوف أتى ذكر الطمع في الآية الكريمة ثانياً ليكون الطمع ناسخاً للخوف ، لمجيء الفرج بعد الشدة"[1]. وقد وضح التقسيم قبل ذلك ، فقال : "وليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق ، والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين"[2].

ومثل ذلك قول زهير[3]:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو شهود أو جلاء[4]

فقد قسم زهير الأسباب التي تؤخذ بها الحقوق إلى ثلاث ، إما يمين قسم ، أو شهود يشهدون لصاحبه ، أو كان واضحاً جلياً ، ولا يخلو من هذه الثلاثة . يقول الصفدي : "حتى إنّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا ، قال : لو أدركته لوليته القضاء"[5].

ويتحدث الصفدي عن العلماء الذي يجيدون هذا الفن من فنون البديع يقول : "وما أحسن قول الإمام العلامة جمال الدين ابن الحاجب رحمه الله تعالى لما أدعى في مقدمته أن الكلمة ثلاثة أقسام ، ولا رابع لها ، قال : لأنّها إما أن تدل على معنى في نفسها أو لا ، الثاني الحرف ، والأول إما أن يقترن بأحد الأزمنة أو لا ، الثاني الاسم ، وهذا الذي يسميه الأصوليون دليل السبر والتقسيم"[6].

---

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٤، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق : ج٤ ، ص ٣٧ . انظر : البديع ، لابن منقذ : ص٩٩.

(٣) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج٣، ص٥٢.

(٤) تمام المتون : ص٩٨. انظر : شاعر السمو زهير بن أبي سلمى ، للدكتور عبد القادر الرباعي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٦ م : ص٢٥ .

(٥) تمام المتون : ص٩٨.

(٦) المصدر السابق : ص ٩٨.

وليس للكلمة قسم ثالث غير تلك الأقسام المذكورة . ويقول الصفدي : " والإمام فخر الدين الرازي في هذا الباب أمره عجيب ، لأنّه إذا تكلم في المسألة يذكر تقسيمها ، وتفاريع التقسيم ، فلا يفوته بذلك شيء من أحوالها"[1].

ويقول أيضاً : "ولما قدم قتيبة خراسان قال : من كان في يده من مال عبد الله بن حازم شيء فلينبذه ، أو كان في فيه فيلفظه ، أو في صدره فلينفثه ، فتعجب الناس من حسن ما قسم وفصل"[2].

والمال لا يخرج من هذه الوجوه الثلاثة ، فإما أن يكون في يد الإنسان بخزانة ، أو أن يكون جمعه يريد أن يأكله فهو في فيه ، أو هو في مكان يعلمه في ضميره فعليه أن يتحدث به . قال الصفدي : "ومن كلام القاضي الفاضل : يا من أنا عبده ، السيئة أنا معترف بأني كسبتها ، والخطيئة قد أحاطت بي حكماً ، وأحاط بها الناس علماً ، وقد استوجبت نار غضبك ، وتثقيف أدبك فإنْ عفوت فبحقك ، فإنّك سيد عافٍ ، وإن عوقبت فبحقي لأنّي عبد هافٍ ، فحاكمني إليك ، ولاتحاكمني إلىّ ، وإن أخطأت فأعذرني ، فإنّي ابن آدم"[3].

ومثل هذا قول بعض الأقدمين :

هبيني أمرأً : إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً تاب منه واعتبا

أقول التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنبا

ليهنك إشمات العدو بهجرنا وقطعك حبل الود حتى تقضبا[4]

وقول القاضي الفاضل[1]. والشاعر الأمير وهو نفس معنى ابن زيدون ، أنّه لا يخلو من أن يكون مذنباً أو برئياً ، فهو يطلب الرحمة ، أو العدل .

---

(١) تمام المتون : ص ٩٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٩٨.

(٣) المصدر السابق : ص١٠٢.

(٤) المصدر السابق : ص١٠١.

والتقسيم في قوله : "فإن عفوت فبحقك ... وإن عوقبت" . والمجرم لا يخرج من هذين الحكمين العفو ، أو العقوبة ، وهذا التقسيم حسن . ومثله قول الشاعر :

فهبني مسيئاً كالذي قلت ظالما فعفواً جميلاً كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما أتيت به أهلاً فأنت له أهل[٢]

وقال البحتري :

أقر بما لم أجنه متفضلاً إليك على أني إخالك ألوما
لي الذنب معروفاً وإن كنت جاهلاً
به ولك العتبى على وأنعما
ومثلك إن أبدي الجميل أعاده وإن بدأ المعروف عاد وتمما[٣]

وهذه الأمثلة وغيرها مما ذكر الصفدي فيها تقسيم ، غير أنّي أرى أنّ في كلام القاضي الفاضل لون بديعي آخر ، وهو المذهب الكلامي لأنّه يقيم الحجة على صحة دعواه .ومن جميل التقسيم قول القائم بالله[٤]:

جمعت لدي من الغرام عجائب خلفن قلبي في إسار موحش
خل يصد وعاذل متنصح ومعاند يؤذي ونمام يشي[٥]

---

(١)عبد الرحيم بن علي بن الحسن القاضي الفاضل : وزير السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وصاحب ديوان الإنشاء . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٨ ، ص٢٠١ .

(٢) تمام المتون : ص١٠٢.

(٣) المصدر السابق : ص١٠٢.انظر : شرح ديوان البحتري ، للفاخوري : ج٢ ، ص ٣٨١ .والبيت الثالث في الديوان :ومثلك إن أبدى الفعال أعاده وإن صنع المعروف زاد وتمما

(٤)عبد الله بن القادر باللهالقائم بأمر اللهأبو جعفر: بويع له بالخلافة لما توفي أبوه القادر بالله، انظر : البداية والنهاية، لابن كثير : ج٢،ص٢٤٤٦.

(٥) تمام المتون : ص٢٢٩.

وهذا من أحسن أنواع التقسيم ، لأنّ أهل العشق والغرام لا يجدون أمامهم سوى هؤلاء الذين ذكرهم "خل يصد" أي : معرض عنه ،و"عاذلتنصح" أي : من يلومه وينصحه في حبه ، و"معاند يؤذي" أي : من يحسده في حبه ويريد إيذائه ، و"نمام يشي" والأخير من يمشى بالنميمة حتى يفسد بينهما .

ونختم بقول أبي الطيب :

حتى أقام على أربـاض خرشنة

تشقي به الروم والصلبان والبيع

للسبي من نكحوا والقتل ما ولدوا

والذهب ما جمعوا والنار ما زرعوا[1]

يقول : مازال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة _ والأرباض : جمع ربض ، ماحول المدينة من القرى والضواحي _ وقد شقيت به الروم لأنّه يبيدهم ويقتلهم ، ويخرب بيعهم ، ويحرق صلبانهم . ولما أقام بهذه الأرض سبى نساءهم واطفالهم ، وقتل فرسانهم ، ونهب أموالهم . فابو الطيب جمع أولاً شقاء الروم بالممدوح ، ثم قسمه ثانياً وفصله .

الاستقصاء

تعريف الاستقصاء :

قال ابن أبي الأصبع : "وهو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه ، إلى أن لا يترك فيه شيئاً"[2].

والمعنى أنّ الأديب يوضحه وضوحاً ، ويشرحه شرحاً لا يترك شاردة ولا وارادة إلا بينها ووضحها ، حتى لا يأتي أحد من الأدباء غيره ويقول : لو ذكر

---

(١) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٢٥٢.

(٢) تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ج٢، ص٥٤٠ .

كذا لكان أفضل ، ولو أضاف كذا لكان أجمل ، بل الأديب يقف متأملاً ويقول : إنّ هذا المعنى لا يحتاج إلى إضافة .

الاستقصاء في كتاب تمام المتون

يقول الصفدي : "الاستقصاء وهو أن يتناول البليغ معنى فيستقصيه ، ويأتي فيه بجميع عوارضه ولوازمه وأوصافه الذاتية ، ولا يترك فيه لمن بعده ممن يتأمله فضلة"[1].

قال ابن زيدون : "والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمانٍ تكلفت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك"[2].

فابن زيدون أراد أن يتبرأ من ذنوبه ، وتناول هذا المعنى وأورد كل ما يتصل به ولم يترك لمن يأتي بعده شيئاً ناقصاً يكمله ، وهذا هو الاستقصاء . يقول الصفدي : "وكذا فعل ابن زيدون رحمه الله تعالى لّما أراد أن يتبرأ عند ابن جهور من الذنوب ، فقال : ما غششتك ، ولا انحرفت عنك ، ولا نصبت لك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ثقتي بك ، وحسن ظني بك ، فقد استقصى في التبرى من الذنوب التي يتوهم وقوعها ، ولم يرض بذلك ، حتى قال : ومع برائتي من ذلك أنا لم أيأس منك لحسن ظني فيك ، وهذا كمال الاستقصاء لذلك حتى يقرر وجوب الرحمة له ، والعاطفة عليه"[3].

ومن شواهد للاستقصاء عند الصفدي قول ابن الرومي :

وحديثها السحر الحلال لو أنّه

لم يجن قتل المسلم المتحرز

---

(١) تمام المتون : ص٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ص٢٥٤.

(٣) تمام المتون : ص٢٥٦.

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت

ودَّ المحدث أنّهـــا لم توجـــز

شرك العقول ونزهة ما مثلـــها للمطمئن وعُقْلة المستوفـز"[1]

فابن الرومي استقصى ورسم في هذه الأبيات صورة رائعة مؤتلفة الألفاظ والألحان ، جميلة الأنغام ، صورة صيرت محبوبته في غاية الحسن ومنتهي الجمال ، حيث شبه حديثها بالسحر الحلال ، وكلنا يعرف ما يفعله السحر في العقول ، ولكنّه استدرك بوصفه للسحر بالحلال حتى يكون وصفه صادقاً . وورد أنّ سيدنا عمر بن عبد العزيز قال لبعض من أحسن الكلام في طلب حاجته : "هذا والله السحر الحلال"[2]. ثم وصف هذا السحر الحلال بميل الناس إليه إما اضطراراً أو اختياراً ، فقال في الميل الاضطراري "شرك العقول" ، فأخبر أنّه يصيد العقول قنصاً . ثم قال في الميل الاختياري مقسماً له قسمين حاضرين في حالتي الريث والعجل ، نزهة ما مثلها للمطمئن ، وعقلة للمستوفز "وليس للمختار حالة زائدة على هاتين الحالتين ، إما أن يكون مطمئناً كان هذا الحديث نزهته ، وإن كان مستوفزاً كان عقلته ، فلم يبق في المعنى مقالاً لما بعده . يقول ابن أبي الأصبع : "فأنظر إلى كون هذا الشاعر وصف هذه المحبوبة بنهاية الوصف اللائق بمثله ، حيث قال : "حديثها السحر الحلال لفعله في العقول فعل السحر ، وجعله حلالاً لصدق الوصف ، وليضمن كلامه في صنعته قول الرسول ﷺ:

---

(١) المصدر السابق : ص٢٥٧_٢٥٨ . انظر: البديع ، لابن منقذ : ص١٦١ . انظر : ديوان ابن الرومي : ج٣ ، ص٢٤٧. [**الوفزة** : أن ترى الإنسان مستوفزاً قد استقل على رجليه ولما يستو قائماً ، وقد تهيأ للأخذ والوثوب والمضي . وقال أبو معاذ : المستوفز الذي قد رفع إليتيه ووضع ركبته] ، انظر : لسان العرب ، لابن منظور : ج٥،ص٤٣٠.

(٢)البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، دكتور مصطفي الصاوي الجويني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥م : ص ٣١١.

"إن من البيان لسحراً" ، فإنّ سحرالبيان سحر حلال ثم رجع فاستدركفيه فقال: ...لو أنّه لم يجن قتل المسلم المتحرز لكون قتل المسلم بغير حق حرام"[1].

ومن الاستقصاء قول ابن الرومي :

أكسبها الحب أنها صبغت صبغة حب القلوب والحدق[2]

فابن الرومي يصف جارية سوداء بانّها اكتسبت سوادها الحسن هذا من صبغة حب القلوب والحدق ، وربط سوادها بأجمل الأشياء في الحب وهي العيون والقلوب . يقول الصفدي : "فإنّه استقصى فيها جميع ما توصف به السوداء من المحاسن"[3].

قال ناصح الدين الأرجاني :

نمت بأسرار ليل كان يخفيها وأطلعت قبلها للناس من فيها[4]

يقول الصفدي : "فإنّه استقصى فيها جميع ما توصف به الشمعة من المحاسن"[5].

ومن الاستقصاء قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾[البقرة: ٢٦٦] . فهذه الآية استقصت كل وصف الجنة ، واستقصت كل الوصف في الطريقة التي انتهت بها . يقول الصفدي : "لأنّ بعد قوله : ﴿ جَنَّةٌ ﴾لو اقتصر على ذكرها لكان كافياً .

---

(١) تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ج٢، ص٥٤٠.

(٢) تمام المتون : ص٢٥٨. انظر : ديوان ابن الرومي : ج٤ ، ص٣١٩ .

(٣) تمام المتون : ص٢٥٨.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٥٨.

(٥) تمام المتون : ص ٢٥٨.

فلم يقف عند ذلك حتى قال :﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾لأنّ الجنّة تطلق على كل شجر يستر بظل ورقه الأرض . فإذا قال : ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾كان مصاب ربها أعظم . ثم لم يقف عند ذلك حتى قال :﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾متمما لوصفها بذلك . ثم كمّل وصفها بعد التتميمين بأن قال : ﴿ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾وذلك لما علم أنّ الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب لا يكون ذلك وصفا كاملاً ، فأتي بكل ما يكون في الجنات ليشتد الأسف على فسادها ، ثم قال في وصف صاحب الجنة :﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ ﴾ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم الجنات ، بقوله بعد وصفه بالكبر : ﴿ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف . ثم ذكر استئصال تلك الجنة التي ليس لهذا الذي أصابه الكبر وليس لذريته الضعفاء غيرها بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال : ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ ﴾فلم يقصر على ذكر الإعصار للعلم بأنّه لا يحصل به سرعة الهلاك ، فقال :﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾ثم لم يقف عند ذلك أيضاً حتى قال : ﴿ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تقوم بإحراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترز من هذا الاحتمال بقولة :﴿ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾"[1]. فالصفدي شرح في هذه الآية معنى الاستقصاء كاملاً ولم يترك شاردة ولا واردة إلا بينها .

(١) تمام المتون : ص٢٥٧.

الإسجال بعد المغالطة

تعريفه :

"وهو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح ، فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض ، فيسجل عليه ذلك ، مثل أن يشترط لبلوغه ذلك الغرض شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ، ثم يقرر وقوع ذلك الغرض مغالطة ليقع المشروط"[1].

الاسجال بعد المغالطة في كتاب تمام المتون

قال ابن زيدون : **"وحين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، ويميل بنفسك إلطافه"**[2].

يقول الصفدي : "وهذا الذي سلكه ابن زيدون في هذا المكان نوع من سحر البلاغة وزخرفها ، وهو الذي يسميه أرباب البديع الإسجال بعد المغالطة ، لأنّه غالط ابن جهور بما خدعه من كلامه المتقدم ، ثم أسجل عليه بعد ذلك أنّ هذا النثر الذي قدمته عطفك ، وأمال بألطافه نفسك ، فأشفق النظم من ذلك ، وغار منه فأراد أن يساهمه ، ويكون له نصيب"[3].

فابن زيدون قصد من ممدوحه العفو والصفح عنه ، لأنّ كلما ذكره من حديث سابق هو مغالطة ، ثم قال إنّ كل ما ذكره من كلام ما هو إلا استعطاف واسترحام وإلطاف له . وهذا كما قال الصفدي إسجال بعد مغالطة . ثم يذكر الصفدي ما يدعم هذا المعنى بقوله : "وقد جاء من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾[غافر: ٨] .

ومنه قول الشاعر :

جاء الشتاء وما عندي لقرته

إلا ارتعادي وتصفيق أسناني

---

(١) تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ج٢، ص٥٧٤.

(٢) تمام المتون : ص٣٨٧.

(٣) المصدر السابق : ص٣٨٧.

فإن هلكت فمولانا يكفنـني

هبني هلكت فهب لي بعض أكفاني"[1]

وقد تأتي المغالطة بلا إسجال كقول أبي نواس :

أسأل القادمين من حكمان كيف خلفتـم أبـا عثمـــان

فيقولون لي جنان كما سر ك في نفسها فسل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهـم كيف لم يغن عندهم كتماني[2]

وجنان التي ذكرها كانت محبوبته ، وقد عشقها أبو نواس ، وكان صادقاً في حبه لها ، وأبو عثمان هو أخو مولي جنان .

---

(١) المصدر السابق : ص٣٨٧.

(٢) تمام المتون : ص٣٨٧_٣٨٨ . انظر : تحرير التحبير، لابن أبي الأصبع : ج٢، ص٥٧٤.

المبحث السابع
العكس والتبديل والحل والعقد وإرسال المثل

تعريف العكس والتبديل :

ويسمي بالمغايرة : وهو أن يأتي الشاعر أو الناثر إلى معنى لنفسه ، أو لغيره فيعكسه ويبدله .

العكس في اللغة :عَكَسَ الشيء يَعْكِسُه عَكْساً فانْعَكَسَ ردّ آخره على أَوّله[1] ، ويقال له : التبديل . **وفي الاصطلاح** : تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره . مثل قوله تعالى :﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ﴾[آل عمران: ٢٧] ، حيث ذكر المولى عز وجل قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما ، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر .

يقول نجم الدين بن الأثير : "ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في خطبة مدح فيها الدنيا فقال : "هي دار صدق لمن صدقها ، وعافية لمن فهم عنها ، ودار غني لمن تزود منها ، وأنّها لمهبط الوحي ، ومدفن الملائكة . فقد غاير ﷺ أكثر الناس علي ذمها"[2]. أي : أن معظم الناس يذمون الدنيا ويكثرون من هجائها ، ولكن الإمام علي كرم الله وجهه مدحها في هذه الخطبة فأثنى عليها فيكون بهذا قد غاير الناس وعكس قولهم .

العكس والتبديل في كتاب تمام المتون

---

(١)لسان العرب ، لابن منظور : ج ٦ ، ص١٤٤ .

(٢) جوهر الكنز نجم الدين بن الأثير : ص ٢٨٧.

ذكر الصفدي هذا المصطلح عند شرحه لقول ابن زيـدون : **"والحـين قد يسبق جهدالحريص"**[1].

قال : "وعكس بشار بن برد قول القطامي :

قديدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

فقال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج"[2]

وهذا موجود كثير في أشعار العرب ونثرهم .

قال ابن زيدون : **"والحينُ قد يسبق جهد الحريص"**[3].

قال الصفدي : "وهذا نصف بيت لعدي بن زيد العبادي وهو :

قد يدرك المبطئ من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص

وقال القطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل"[4]

وهذه الأبيات تدعو إلى عدم الاستعجال في الأمور ، ومـن أراد قضـاء حاجته ، وإدراك أموره ، فعليه بالتمهل والبطء . ويقول الآخر :

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا[5]

وهذا البيت عكس قول القُطامي : الذي جعل إدراك المطلوب وتحقيق الأمان في التأني والسلامة ، ولكن هذا الشاعر وبشار عكسا المعنى . يقول

---

(١) تمام المتون : ص ٥٦.

(٢) المصدر السابق : ص٥٦.

(٣) المصدر السابق : ص٥٦.

(٤) المصدر السابق : ص٥٦.

(٥) المصدر السابق : ص٥٦.

الصفدي عن الإعرابي صاحب البيت السابق لما سمع قول القطامي قال : "هذا يثبط الناس هلا قال بعد هذا" ثم أنشد بيته السابق .

الحل والعقد

تعريفه :

الحل : هو نثر النظم ، **والعقد** : هو نظم النثر . يقول ابن حجة الحموي : "العقد : ضد الحل لأنّ العقد نظم المنثور ، والحل : نثر المنظوم"[1]. وعرفه ابن منقذ بقوله : " الحل والعقد : هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب ، وهو أن يأخذ لفظاً منثوراً فينظمه ، أو شعراً فينثره ، ويطارحه العلماء فيما بينهم"[2].

وقد شرط العلماء للعقد أن يأخذ الشاعر المنثور بجملة لفظه أو معظمه ، ويزيد وينقص فيه حتى يجعله شعراً موزوناً ، أما إذا أخذ الناظم بعض معنى المنثور دون لفظه عد ذلك من السرقات . يقول المبرد: "وكان إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من الأخبار والآثار ، فينظم ذلك الكلام المشهور ، ويتناوله أقرب متناول ، يسرقه أخفى سرقة فيقول:

وكانت في حياتك لي عظات

وأنت اليوم أوعظ منك حيا

إنّما أخذه من قول المؤبذ لقباذ الملك حين مات ، فإنّه قال في ذلك الوقت :"كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس"[3].

---

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٤، ص٤٢١.

(٢) البديع ،لابن منقذ : ص٣٦٣.

(٣) الكامل ، للمبرد : ج٢، ص٣٠١.

يعد هذا الفن من فنون البديع أكثر الفنون وروداً في الكتاب ، فإذا تأملنا في الرسالة نجد معظمها حل لأشعار ، وحكم لأدباء سابقين له ، كما نجد كثيراً من الشواهد التي ذكرها الصفدي من النثر عقدها شعراء ، وكل هذا جاء لتوضيح الرسالة ، وتبيين غوامضها ، وفك طلاسمها . يقول دكتور شوقي ضيف : "وأكبر الظن أنّ خصائص ابن زيدون اتضحت لنا الآن ، فهو يعني عناية شديدة بحل الشعر في كلامه"[١].

وهذا يؤكد ما قلته أنّ معظم عبارات الرسالة عبارة عن أشعار محلولة ، وهذا يدل على كثرة حفظه للأشعار ومعرفته الواسعة بها .

يقول الصفدي : في شرحه لقول ابن زيدون : **"وأنّي لأتجلد وأري الشامتين أنّي لريب الدهر لا اتضعضع"** وكلام ابن زيدون رحمه الله محلول من قول أبي ذؤيب الهزلي"[٢]. ومثل ذلك أيضاً حل ابن زيدون لبيت أبي العتاهية :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر[٣]

حيث قال : **"ويؤتي الحذر من مأمنه ، وتكون مَنِيّة المتمني في أمنيته"**[٤]. والصفدي لا يذكر أحياناً كلمة "حل" وإنّما يكتفي بقوله : "وهذا مأخوذ من قول ..." [٥]، أو قوله : " وهو يشير إلى قول ..."[٦]، فالأول

---

(١) الفن ومذاهبه ، لشوقي ضيف : ص ٣٢٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٦١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٥) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٦) المصدر السابق : ص٦٦ .

مثل قول ابن زيدون : **"وألذ الشراب ما أصاب غليلاً"**[١]. يقول الصفدي : "وهذا مأخوذ من قول الشاعر أظنه كشاجم :

هذا الشراب أخو الحياة وما له من لذة حتى يصيب غليلاً"[٢]

والثاني مثل قول ابن زيدون : **"ومانبهتك إلا لأنام"** [٣]. يقول الصفدي : "هذا فيه إشارة إلى المثل السائر وهو "نبه لها عمراً ثم نم"[٤].

١) قال ابن زيدون : **"وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحس الجماد بإسنادي إليك"**[٥].

أي : أنّ الأصم سمع مدحي وثنائي عليك ، والجمادات أحست بذلك ، وكلام ابن زيدون محلول من قول ابن الساعاتي :

في مثلها نظر الأعمي فلا برحت صبحي وأسمع حتى من به صمم

أثني بها كل شيء بعد عجمتـه فكل ما ضم صدر الخافقين فـم[٦]

وقد سبق إلى هذا أبو الطيب حين قال :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم[٧]

٢) قال ابن زيدون : **"وإني لأتجلد وأري الشامتين أنّي لريب الدهر لا اتضعضع"**[٨].

أي : أنّي أصبر وأكثر من الثبات ، وعدم المبالاة بالمصائب التي تحدث حتى يعلم الشامتين أنّي لا أضعف أمام الحوادث ، ولا أتضعضع . يقول الصفدي :

---

(١) تمام المتون : ص٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ص٨١ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٥٢ .

(٥) المصدر السابق : ص٤٤ .

(٦) المصدر السابق : ص٤٥ .

(٧) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤ ، ص٨٣ .

(٨) تمام المتون : ص٦٠ .

"وكلام ابن زيدون رحمه الله تعالى محلول من قول أبي ذؤيب الهزلي من قصيدته التي رثي بها أولاده فقال :

وتجلدي للشامتين أريهـــم إنّي لريب الدهر لا أتضعضع

وأولها :

أمن المنون وريبها تتوجــع والدهر ليس بمعتب من يجزع[1]

٣) قال ابن زيدون : **"هل أنا إلا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به أكليله"**[2].

يرى الصفدي أنّ ما قاله ابن زيدون محلول من شعر لأبي الطيب وهى أبياته الآتية :

بنو كعب وما أثّرتَ فيهم يد لم يدمها إلا السوار

بها من قطعه ألم ونقـص فيها من جلالته افتخار[3]

وأرى أنّ ابن زيدون لم يحل بيت أبي الطيب ، وما قاله : **"ما أنا إلا يد ..."** هي مثل قديم دار على ألسنة الناس كثيراً ، وصار مشهوراً فاستشهد به .

٤) قال ابن زيدون : **"وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع"**[4].

نثر ابن زيدون شعراً للشاعر شرف الدين مستوفي إربل ، وهو قوله :

وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً وإلا نبوة تتصرم[5]

٥) قال ابن زيدون :**"وعلام رضيت من المركب بالتعليق ، بل من الغنيمة بالإياب"**[6].

أي : أنّني أرضى بأقل الأمور وأصغرها وأقنع ، ولا أتطاول لعظائمها .

---

(١) تمام المتون : ص٦١ .

(٢) المصدر السابق : ص٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ص٦٧.

(٤) المصدر السابق : ص ٧٤. انظر : نكت الهميان ، للصفدي : ص١٢٦ .

(٥) تمام المتون : ص٧٥ .

(٦) المصدر السابق : ص٢٧٠ .

يقول الصفدي : "وهو يضرب في القناعة بإدارك بعض الحاجة ، والمركب هنا يجوز أن يكون بمعنى الركوب ، أي : أرض بدل ركوبك بتعليق امتعتك عليه . ويجوز أن يراد به الركوب"[١].

وهذا حل ، لأنّه نثر قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى قنعت من الغنيمة بالإياب[٢]

٦) قال ابن زيدون : **"ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس ، وتدركني ولما أمزق"**[٣].

يلومه على عدم سرعته لإنفاذه ، أي : لماذا لم تحميني قبل أن تفترسني الوحوش ، وتلحقني قبل أن تمزقني . وأراد بحديثه هذا لماذا لم تدركني قبل أن تنزل بي هذه الشدة .

يقول الصفدي : "وقوله : **"وتدركني ولما أمزق"** مأخوذ من بيت للممزق العبدي وهو :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق[٤]

ومثل هذه الشواهد تذكر ساعة الشدة ، وصارت مثلاً يضرب في مثل هذه الأحوال ، وقد ورد هذا البيت في الرسالة التي أرسلها سيدنا عثمان ﷺ إلى الإمام على كرم الله وجهه حينما كان محاصراً في الدار . يقول الصفدي : "وقيل أنّه كتب وهو محصور إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : "أما بعد فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلب ، فأقبل إليّ علي أي أمريك أحببت :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمــزق[٥]

---

(١) تمام المتون : ص٢٧٠ .

(٢) المصدر السابق : ص٢٧٠ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٧٥ .

(٤) المصدر السابق : ص٢٧٦ .

(٥) المصدر السابق : ص١٩٢ . انظر :الكامل ، للمبرد : ج١ ، ص١٩ .

٧) قال ابن زيدون : **"ولعمرك ما جهلت أنّ صريح الرأي أن أتحول إذا بلغتني الشمس ونبابي المنزل"**[١].

وهذا النص محلول من بيت شعر لأبي تمام ، يقول الصفدي : "وهو يشير بذلك إلى قول أبي تمام من قصيدةٍ مدح بها محمد بن عبد الملك الزيات يعاتبه :

وإنّ صريح الرأي والحزم لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا[٢]

٨) قال ابن زيدون : **" وأصفح عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال"**[٣].

وهذا محلول من قول البعيث المجاشعي :

طمعت بليلي أن تريع وإنّما تقطع أعناق الرجال المطامع[٤]

العقد في كتاب تمام المتون

قال الصفدي : "قيل يوماً لأبي الحارث : ما تشتهي؟ فقال : أعين الرقباء ، وألسنة الوشاة ، وأكباد الحساد"[٥]. ثم قال : "أخذ هذا بعضهم فنظمه :

قال لي عوادى غداة أتوني ما الذي تشتهيه؟ واجتهدوا بي

قلت: مقلى فيه لسان وشاة قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضيفت إليه كبد حسود فقئت فوقها عيون رقيب[٦]

وقول أبي الطيب :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل[٧]

عقدٌ ، حيث أخذ أبو الطيب كلام أحد الحكماء ونظمه ، وهو : "العيان شاهد لنفسه ، والأخبار ترد عليها الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ ما كان دليلاً

---

(١) تمام المتون : ص٣٠٩ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٠٩ .

(٣) المصدر السابق : ص٣١٣ .

(٤) المصدر السابق : ص٣١٣ .

(٥) تمام المتون : ص٢٢٤ .

(٦) المصدر السابق : ص٢٢٤ .

(٧) المصدر السابق : ص٣٠١ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص٣٧٢ .

على نفسه"[1]. ومن العقد قوله أيضاً :

لعل عتبك محمود عواقبـه وربما صحت الأجسام بالعلل[2]

فقد أخذ أبو الطيب قول الحكيم : "مباينة المتكلف المطبوع ، كمباينة الحق للباطل"[3].

إرسال المثل

تعريفه :

يقول ابن حجة الحموي : "**إرسال المثل** : نوع لطيف من البديع ، ولم ينظمه في بديعية غير الشيخ صفي الدين الحلي _ رحمه الله _ وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجري المثل ، من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به"[4].

قال ابن زيدون : "**لكان فيما جرى على ما يحتمل أن يسمى نكالاً ، ويدعى ولو على سبيل المجاز عقاباً ، وحسبك من حادث بامرئ : ترى حاسديه له راحمينا**"[5].

وهذا يضرب به المثل . يقول إنّه لو فعل كل هذه الجرائم السابقة لوجب عليه كل هذا العقاب ، لكنه لم يفعلها . يقول الصفدي : "يريد بذلك أنّه لو كنت أتيت بهذه الذنوب التي عددتها ، من تكبر إبليس على آدم ، وعدم السجود له ، وكنت مثل ابن نوح ولم أركب معه في السفينة ، وقلت ما قاله ، وكنت مثل فرعون الذي كفر ، وبني صرحاً ليطلع فيه إلى إله موسى ، وكنت مثل الذين عكفوا على العجل فكفروا بعد الإيمان بموسى ، ومثل الذين اعتدوا في

---

(١) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص١٩٨ .

(٢) تمام المتون : ص٧٣ . انظر : ديون المتنبي، للعقباوي : ص٣٧٣ .

(٣) البديع ، لابن منقذ : ص ٣٧٤ .

(٤) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٢٥ .

(٥) تمام المتون : ص ٢١٩ .

السبت من بني إسرائيل ، وشربوا من النهر الذي نهاهم عنه ، وكنت كقدار في ثمود الذي عقر الناقة ، وكنت كأبرهة بن الصباح _صاحب الفيل _ الذي قاده لحرب الكعبة ، وكنت من جملة قريش الذين تعاقدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد مناف ، ومنعوهم من نكاحهم وبيعهم وشرائهم ، وكتبوا صحيفة بذلك وعلقوها في الكعبة ، وأقام رسول الله ﷺ وأهله في الشعب محصورين سنتين أو ثلاث ، وكنت ممن تأول في بيعة العقبة ، وكنت ممن نفر إلى العير ببدر ، وكنت كابن أُبَيّ رأس المنافقين الذي انخزل بثلث الناس يوم أحد، وكنت ممن تخلف عن صلاة العصر في بني قريظة ، وكنت ممن جاء بالإفك على عائشة (رضي الله عنها) ، وكنت ممن أنف من إمارة أسامة بن زيد وقد جهزه رسول الله ﷺفي سرية فيها مثل أبي بكر وعمر ، وكنت ممن قال : إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وكنت مثل الذي قال : "ورويت رمحي من كتيبة خالد" ، وكنت مثل أبي لؤلؤة الذي مزق الأديم الذي باركت يد الله عليه وقتل عمر بن الخطاب ، وكنت ممن ضحى بالأشمط الذي عنوان السجود به فقتل عثمان بن عفان ، وكنت مثل ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب ﷺ ، وكنت مثل عبيد الله بن زياد إذ كتب إلى عمر بن سعد أن جعجع بالحسين ، وكنت مثل يزيد وقد جرى بالحرة ما جرى وتمثل بذلك البيت ، وكنت مثل الحجاج الذي هدم الكعبة بالمنجنيق وصلب عبد الله بن الزبير العائذ بالبيت ... لكان في الذي جرى على ما فيه جزاء وكفاية ، وكان نكالاً وعقاباً ، ولو على المجاز"[1].

ويرى أبن زيدون أنّه لم يرتكب ذنباً عظيماً مثل هذه الذنوب التي ارتكبها هؤلاء الذين ذكرهم ، وضرب بهم المثل . وقد استشهد الصفدي على إرسال المثل بقول المتنبي :

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنّه محا الذنب كل المحو من جاء تائباً[2]

---

(١) تمام المتون : ص٢٢٠_٢٢١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٥٢ .

يقول الصفدي : "وقد اختصر هذه الأشياء المعدودة والذنوب المذكورة ، وزاد عليها كل ما يمكن زيادته أبو الطيب المتنبي ، واختصر هذا وما بعده في بيت واحد"[1]. وهو البيت المذكور أعلاه ، ويستشهد أيضاً بقول المتنبي :

كفي بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكون أمانيا[2]

وبقول أبي تمام :

وحسبك حسرة لك من صـــديق يكون زمامـــه بيدي عدو[3]

وبقول سراج الدين الوراق يذم عبده :

متلـون الأخـــلاق حـــرباواتهـــا وسواده يمتـــاز منه القـــار

ويسـئ آدابـــاً علـــىّ ودأبي الـ إغضـــاء ودأبه الإصـرار

ولـه ذكـــاء إيـــاس في حـاجـــاته وإذا قضا لي حاجة فحمار

ورقـاد أهـل الكهف دون رقـــاده ما جن ليل أو أضاء نهـار[4]

وللأبيات بقية ، وكلها في رأي الصفدي مما يسير ويضرب بها المثل . وقد ذكرتها مستشهداً بها في أغراض بلاغية أخرى .

ومن الأبيات التي تجري مجري المثل أبيات المتنبي من قصيدته الميمية التي مطلعها :

وأحر قلباه ممن قلبه شبـــم ومن بجسمي وحالي عنده سقم[5]

وقد ورد في الرسالة قوله :

"يا من يعز علينا أن نفارقهـم وجداننا كل شيء بعدكم عـدم"[6]

---

(١) تمام المتون : ص٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٥٢.

(٢) تمام المتون : ص٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٦٦.

(٣) تمام المتون : ص٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٦٦.

(٤) تمام المتون : ص١٢١ .

(٥) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤ ، ص٨١ .

(٦) تمام المتون : ص ٣٤٤ .

يقول الصفدي : "وكان سيف الدولة بن حمدان إذا تأخرت عنه مدائح أبي الطيب شق ذلك عليه وأقلقه ، وأكثر معاتبته إذا حضر وتقدم إلى من بحضرته بالتعريض بالمكروه ، ومخاطبته بما لا يحسن فكبر ذلك على أبي الطيب وآلمه غاية الإيلام ، فأنشده هذه القصيدة بمحضر من العرب والعجم ، وكانت سبب الوحشة بينهما وفساد الحال . وبعد هذا البيت الذي أورده ابن زيدون :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم[1]

وكل الأبيات السابقة تجري مجري المثل لما فيها من حكمة . ومثله قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وهذا لمن لا يميز بين الصحيح والسقيم ، والتبر والتراب . يقول ابن حجة الحموي : "وبيت الشيخ صفي الدين الحلي الذي نظمه في بديعته من هذا النوع ، وهو قوله :

رجوتكم نصحاء في الشدائد لي لضعف رشدي واستسمنت ذا ورم

فقوله : "واستسمنت ذا ورم ، من الأمثال السائرة"[2].

والفرق والبون شاسع بين الشحم الحقيقي والشحم الناتج عن مرض وورم ، مثل الفرق بين النور والظلام والعلم والجهل .

وقوله :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم[3]

وهذا يضرب لمن تساوت عنده الأضداد . فالنظر يحتاج له للتفريق بين النور والظلام ، فإذا استويا لدي الناظر فلا حاجة للنظر . ويتحدث الصفدي عن

---

(١) تمام المتون : ص٣٤٥ .

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٩٠ .

(٣) المصدر السابق : ج٢ ، ص١٩٠ .

إعجابه بهذه الأبيات وجمالها وحسنها بقوله : "ولم أورد هذه الأبيات إلا لأنّها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أثنائها ، وتنخرط في سلكها"[١].

هذا وقد استشهد بهذه الأبيات أيضاً ابن حجة الحموي في حديثه عن المحسن البديعي : "إرسال المثل". يقول : "ويعجبني من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير إلى أنّه سمع فيه كلام الأعداء ، وقد احضرهم لمواجهته ولم يخرج عما نحن فيه من إجراء المثل"[٢]. ثم يذكر ابن حجة أبيات المتنبي الميمية التي ذكرناها سابقاً [٣].

وعلى الرغم من أنّ ابن حجة قد انتقد الصفدي في سرقاته من ابن نباتة إلا أنّه يتفق معه في إعجابه بالمتنبي ، وذاك لأنّ ابن حجة يرى أنّ شعر أبي الطيب من أكثر الأشعار التي جرى بها المثل ، وطاب بها الذوق ، ولذا أورد كثيراً من شعره في هذا الباب . يقول ابن حجة : "ولقد رأيت هنا في هذا القدر الذي أوردته من شعر أبي الطيب من "إرسال المثل" ما تطيب به الأذواق وتجول به فرسان الإنشاء بالخمر من جياد الأقلام في ميادين الأوراق ، وعلى كل تقدير فما لأبي الطيب في حِكمه وأمثاله مثيل . وهنا نكتة لطيفة وهي أنّ الشيخ صلاح الدين الصفدي _ رحمه الله _ كان مذهبه تقديم أبي الطيب على أبي تمام وهو مذهب أبي العلاء المعري ، فإنّه سمي ديوانه بعدما شرحه "معجز أحمد". واتفق أنّ الشيخ صلاح الدين اجتمع بالشيخ جمال الدين بن نباتة بالديار المصرية وذاكره في أبي الطيب وأبي تمام فوجده على مذهبه ، واجتمعا بعد ذلك بالشيخ أثير الدين أبي حيان وذكراه في ذلك فقدم أبا تمام فلاماه على ذلك فقال : أنا لا أسمع لوماً في حبيب"[٤].

---

(١) تمام المتون : ص٣٤٥ .

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٥١ .

(٣) المصدر السابق : ج٢ ، ص١٥١ .

(٤) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص ١٧٨ .

وهنا جاء دور ابن حجة لكي يؤكد وقوفه مع الصفدي ، واستحالة رجوعه عن حب أبي الطيب . يقول : "ومذهبي في ذلك كمذهب الشيخ صلاح الدين والشيخ جمال الدين ، وإن كان الشيخ أثير الدين ما سمع في حبيبه لوماً وخالف من لامه فيه وفند . فمن المستحيلات رجوع أبي بكر عن حب أحمد ، وقد عنَّ لي أيضاً أن أورد هنا من سارت في الخافقين حكمه وأمثاله ، وإنقاد أهل الذوق السليم إلى طاعته" [1]. وهكذا يواصل ابن حجة ذكره لمناقب المتنبي وفضائله . ومن أبيات المتنبي التي ذكرها الصفدي في "تمام المتون" وذكرها ابن حجة في "خزانة الأدب" واستشهد بها على إرسال المثل قوله :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل[2]

وقوله :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة

فإن وجدت لساناً قائلاً فقلِ[3]

وقوله :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت بـه

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل[4]

وقوله :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله

ولكن لشعري فيك من نفسه شعر[5]

---

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٢ ، ص ١٧٨ .

(٢) تمام المتون : ص٣٠١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٣١ .

(٣) تمام المتون : ص٣٠١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٣٦ .

(٤) تمام المتون : ص٣٠١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٣٦ .

(٥) تمام المتون : ص٢٩٧ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص١٣٧ .

الباب الرابع

القضايا النقدية

الفصل الأول : الصفدي الناقد

المبحث الأول: طريقة الصفدي النقدية .

المبحث الثاني : طريقة إختياره للنصوص .

المبحث الثالث: الذوق الأدبي .

المبحث الرابع : مقومات الشخصية . الأدبية عبد الصفدي .

المبحث الخامس: توثيق النصوص .

الفصل الثاني : المصطلحات النقدية

المبحث الأول: الاستحسان والتعديل .

المبحث الثاني: الاختلاس .

المبحث الثالث: الحوشي .

المبحث الرابع : العذوبة .

المبحث الخامس: الفصاحة .

الفصل الثالث : القضايا النقدية .

المبحث الأول : السرقات الأدبية .

المبحث الثاني: الموازنات .

المبحث الثالث: المفاضلة بين الشعر والنثر .

المبحث الرابع: اللفظ والمعنى .

المبحث الخامس: نقد الصفدي لبعض نصوص ابن زيدون .

القضايا النقدية

تعريف النقد :

النقد في اللغة : من نقده الدراهم "ونقد" له الدراهم أي أعطاه إياها فانتقدها أي : عدها ، ونَقَدَ الدراهم وانتقدها : أخرجها من الزيف ، وبابها نَصَرَ . وفي أساس البلاغة : "نقده الثمن ونقده له ، ونقد النقاد الدراهم ، ميز جيّدها من رديئها ... ومن المجاز : هو من نقادة قومه : من خيارهم . ونقد الكلام ، وهو من نَقَدَة الشعر ونقاده ... انتقد الشعر على قائله ، وهو ينقد بعينه الى الشيء : يديم النظر اليه باختلاس حتى لايفطن له"[1]. ومعظم المعاني اللغوية يربطها رابط بالمعاني الاصطلاحية ، فتمييز الدراهم الجيدة من الدراهم الرديئة أقرب إلى تمييز النص الأدبي الصحيح الجيد ،من النص الأدبي الردئ .

النقد اصطلاحاً : يقول دكتور محمود رزق سليم : "النقد الأدبي هو النظر في النتاج لأمة ، أو فرد ، ومقدار نطقه بالحق وتقلبه على وجوهه المتعددة ، تحرياً لمظاهر الحسن فيه ، وتلمساً لمواضع النقص فيه ، جاهدين في إبراز حسنه ، أو نقصه"[2]. أي : النقد الأدبي هو دراسة العمل الأدبي ومناقشته ، واستخراج عناصر الجمال إن كان العمل سامياً ، وعناصر القبح إن كان رديئاً . يقول دكتور بدوى طبانة : "وأيا ما كان الأمر فإن مفهوم كلمة "النقد" في الأدب لا يبعد عن مفاهيمها اللغوية التي عرفها أصحاب اللغة ، بل إنّ أكثر المعاني الحقيقية يمكن أن تلحظ في هذا الاستعمال المجازي في نقد الأدب . تناوله "النقد" إعطاؤك الدراهم إنساناً وأخذها الانتقاد

---

(١) أساس البلاغة ، للزمخشري : ص٤٦٩ .

(٢) عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم : ج٥ ، ص١١٤.

ونقد الأدب دراسته والنظر فيه ، وهو ينقد بعينه إلى الشيء : يديم النظر إليه باختلاس حتى لا يفطن إليه"[1].

وقد بدأ النقد مثله مثل أي علم صغيرٍ ، ثم تطور ونما . وكان ظهوره منذ العصر الجاهلي مع ظهور الأدب ، حيث كان العربي في ذلك العصر تصدر منه ملاحظات ، وأراء ناتجة عن طبعة السليم ، وذوقه المرهف ، وكان نقداً فطرياً يعتمد على السليقة . مثل تفضيل زوج أمرئ القيس: علقمة الفحل[2]على زوجها وإنكار طرفة بن العبد[3]على المسيب بن علس[4]في قوله :

وقد أتلافى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

حيث انتقده طرفة وقال : "استنوق الجمل" لأن الصيعرية من سمات النوق فاستعمالها مع الجمال إحالة غير مقبولة . وما يروى عن النابغة أنّه كانت تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ فيأتيه الشعراء ، وينشدون أمامه الشعر ، ليحكم بينهم[5]. كل هذه المعاني وتلك تدل على أنّه يوجد نقد منذ العصر الجاهلي ، وإن كان بدائياً بسيطاً . ثم تطور بعد ذلك عبر القرون ، حتى جاء العصر العباسي حيث ظهرت كتب نقدية قيمة توازن وتفاضل بين

---

(١) دراسات في نقد الأدب العربي ، دكتور بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٥م : ص٢٢ .

(٢) علقمة بن عبدة الفحل : من بني تميم ، من ربيعة الجوع ، شاعر جاهلي ، كان ينازع امرأ القيس الشعر . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص١٣٩ .

(٣) طرفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي أبو عمر : شاعر من الطبقة الأولي جعله الملك عمرو بن هند من ندمائه . انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص١١٤ .

(٤) المسيب بن علس واسمه زهير بن علس وهو خال الأعشى (اعشى قيس) ، ابو الفضة : من شعراء بكر بن وائل المعدودين . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص١٠٦ .

(٥) المثل السائر ، لابن الأثير : ج١ ، ص ٤ .

الأدباء والشعراء ، مثل كتاب "الموازنة" للأمدى[1] و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني[2]. وما جاء به الصفدي ونقاد عصره يعد امتداداً لما ورثوه من العصر العباسي .

(١) الحسن ين يشر بن يحي الأمدي ، أبو القاسم : عالم بالادب ، راوية ، من الكتاب ، له شعر ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص ١٨٥ .

(٢) علي بن عبد العزيز بن الحسن ، أبو الحسن الجرجاني : قاضي القضاة ، كان من مفاخر الإسلام ، حسن السيرة في القضاء . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٤ . ص٤٠٠ .

الفصل الأول : الصفدي الناقد

المبحث الأول: طريقة الصفدي النقدية .

المبحث الثاني : طريقة إختياره للنصوص .

المبحث الثالث: الذوق الأدبي .

المبحث الرابع : مقومات الشخصية الأدبية عبد الصفدي .

المبحث الخامس: توثيق النصوص .

المبحث الأول
طريقة الصفدي النقدية

كان الشيخ الصفدي بحراً متلاطماً من بحور الأدب ، حفظاً وتأليفاً ومدارسة ومساجلة مع أهل عصره . وكان ذواقاً لا يقرأ النص قراءة عابرة ولكنّه يتعمق فيه ، حتى يصل إلى أدق خفاياه ، ويدرك مكنونه ، ويوضح الغامض منه . يقول محقق "تمام المتون" محمد أبو الفضل إبراهيم : " فإنّه كان غواصاً في المعاني ، مبتكراً للنكت البديعة ، عارفاً بفنون الأدب"[1].

والقارئ لـ"تمام المتون" يجد الصفدي يكثر من إيضاحه للمعني ، بذكر الشواهد والأدلة نظماً ونثراً ومقارنة ، حتى يصل المعني واضحاً للسامع . انظر إلى قوله في شرح قول ابن زيدون : " **بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك**"[2] ، يقول : " فعلت بي ما تقدم من سلب لباس إنعامك ، وما بعده من الجمل المعطوفة ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وهذه مبالغةٌ زائدة ؛ وهو أن التأميل أمر معنوي لا تشاهده العين ، وأنا كنت مبالغاً فيما أملته منك ورجوته ، حتى رآه الأعمى من شدة اتصافي وتلبسي به . وهذه مبالغة عظمي في هذا المعني"[3]. وبعد شرحه الواضح هذا نجده يربط قول ابن زيدون بقول المتنبي . فيقول وهو يشير إلى قول أبي الطيب :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

ثم يذكر مطلع القصيدة التي منها البيت ، حتى يجعل الصورة مكتملة أمام القارئ . فيقول : " وهذا من قصيدته التي يقول في أولها :

---

(١) تمام المتون : ص١٥ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٤٢ .

واحر قلباه ممن قبله شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم[1]

ويذكر الصفدي بعد ذلك عدة أبيات تؤكد المعنى ، وتزيده وضوحاً وبياناً . ولعل من أهم ما يميز الصفدي اهتمامه بالجانب اللغوي ، وتطبيقه في نقده ، وسيتضح لنا ذلك في عرض النصوص التي تناولها بالنقد ، فهو أولاً يبرز الجانب اللغوي ، بعد أن يوضح غامضة ويبين مبهمه . تقول دكتوره نعمه رحيم العزاوي : " إن طريقة استخدام الأديب للغة في عرض مضامينه الجيدة ، تحدد منزلته بين الأدباء ، وتعطيه السمة التي يتفوق بها على غيره أو يتخلف"[2].

والصفدي إمام في اللغة ، فمعظم نصوص الرسالة قبل أن يتناولها من الناحية الأدبية والبلاغية شرحها لغوياً شرحاً اقرب إلى شرح المعاجم . مثل ذلك شرحه لقول ابن زيدون : **"من أبقاه الله ماضي حد العزم"**[3].

يقول الصفدي : "ماضي حد العزم أي : حاد العزيمة ، والماضي : السيف الناقد في الضريبة ، والعزم العزيمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ ، وعزمت على الأمر أعزم عزماً وعُزماناً بضم العين وعزيمة وعزيماً إذا أردت فعله"[4].

---

(١) تمام المتون : ص٤٣ .

(٢) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري لنعمة رحيم العزاوي : ص٥ .

(٣) تمام المتون : ص٣٨ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٨ .

المبحث الثاني
طريقة إختياره للنصوص

يختار الصفدي نصوصه التي يوضح بها شرحه من كافة العصور ، لا يتقيد بعصر دون آخر ، يجمعها ويقارن بينها ، يشيد بالنص الذي يعجبه ، ويلتمس العذر لغيره ، ويحاول إصلاح الفاسد منها . يقول محمد علي سلطاني : " إنّ الصفدي قلما تحدث في النقد حديثاً نظرياً ، فروحه تأبي القواعد وتنفر منها ، وإنّما يتحدث من خلال النصوص المختارة في المعنى الواحد ، أو الشعور المشترك ، فيجمعها على تباين عصورها ، ويقوم التمييز على المقارنة فيما بينها ، وهذا لعمري منهج رائع بل إنّه المنهج الفني السليم"[1].

فهو يريد تقريب الفهم إلى الآخرين حتى يتذوقوا ما تحمله هذه النصوص من سحر البيان ، انظر الى شرحه لقول ابن زيدون : **" فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به"** [2].

يقول الصفدي : "وجاء في كلام ابن المعتز رحمه الله : " ربما شرق شارب الماء قبل ريه" وقال الشاعر:

من غص داوى بشرب الماء غصته

فكيف ينفع من قد غص بالماء

وقال الآخر :

إلى الماء يسعى من يغص بأكلــة فقل أين يسعى من يغص بماء

---

(١) النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه ، لمحمد علي سلطاني ، منشورات دار الحكمة ، دمشق : ص٤٨ .

(٢) تمام المتون : ص٤٥ .

وقال عدى بن زيد العبادي :

لو بغير الماء حلقي شَرِقٌ كنت كالغصان بالماء اعتصاري"[1].

وهكذا يستمر الصفدي في ذكر الشواهد ويقارن بينها ، ولا يقف عند الأشعار فقط ، بل يتناول المنثور . يقول : " وفي المثل من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء . وهذا من كلام أكثم بن صيفي ، لأنّ الغاص بالطعام يرجع إلى الماء ، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له ، فكذلك بطانة الرجل وأهله إذا خانوه فسد حاله . وفي المثل أيضاً : يا ماء لو بغيرك غصصت"[2]. فكل هذه النصوص المنظومة والمنثورة نجده يقارن بينها وبين قول ابن زيدون ، مظهراً حسنها وجمالها . يقول محمد على سلطاني : "فالنصوص عنده هي التي تتحدث ، تتلاقي وتتجاور فيبرز الحسن من تلاقيها ، وسر الجمال من جوارها ، وسحر البيان من هذه المقارنة التي تقوم بينها من غير قصد إليها ، ولا عناء يتجشمه القارئ في ذلك"[3].

وعلى الرغم من أنّ الصفدي لا يعلق على معظم هذه النصوص التي يذكرها إلا أنّ هذه النصوص الكثيرة تجعل القارئ أكثر متعة ، وأكثر استفادة ، فهو يجعل القارئ يفكر ويتأمل ويتذوق ، ويجعل ميدان الخيال أمامه واسعاً ، حتى يعمل فكره ، ويصول ويجول في مضماره . وكثيراً ما نجد الصفدي يذكر المصادر التي أخذ منها النص ، فحينما بدأ شرحه ذكر أنّه نقل هذه الرسالة من خط الإمام علي بن ظافر[4]. يقول: "وها أنا أورد الرسالة

---

(١) تمام المتون : ص٤٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٨ .

(٣) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص١٤٨ .

(٤) علي بن ظافر بن حسين الأزدي أبو الحسن جمال الدين المالكي : ولي وزارة الملك الأشرف ، كان محباً لأهل الدين والصلاح . انظر : الوافي بالوفيات ، الصفدي : ج١٤ ، ص٣٦٠ .

منقولة من خط الإمام علي بن ظافر رحمه الله"[1]. ثم ذكر المصادر التي أطلع منها على سيرة ابن زيدون مثل كتاب "الذخيرة" و"قلائد العقيان". يقول الصفدي " اثنى عليه ابن بسام في "الذخيرة" وابن خاقان في " قلائد العقيان" ، وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة"[2]. يقول محمد علي سلطاني : "وألفت النظر هنا إلى أنّ الصفدي سيضيف إلي منهجه هذا مبدأ آخر يساير منهجه في اعتماد النصوص ، وذلك في إعادة معاني النص المدروس إلى مظانها الأولى ، إشارة منه إلى أنّها ليست لأدباء عصره ، وإنّما هي معاني السابقين من الشعراء ، ونقلها المتأخرون إلى النثر من جهة ، وإلى أغراض أخرى من جهة ثانية"[3].

وهذا صحيح لأنّ المتتبع إلى شعراء هذا العصر يجد كثيراً من المنثور القديم نظموه شعراً ، وحتى الكتاب حلوا أشعار السابقين لهم . ويحسن في هذا المقام أن نقول إنّ أهم المصادر التي اعتمد عليها الصفدي بعد القرآن الكريم والحديث النبوي هي المصادر اللغوية والأدبية ، ولأنّه كان رجلاً واسع الثقافة موهوباً ذكياً ناقداً شاعراً مؤرخاً ثبتاً صادقاً فيما يقول ، وقد أشاد به كثير من العلماء المعاصرين له والذين أتوا من بعده[4].

كل هذه الأسباب ساعدت على كثرة إنتاجه وغزارة مؤلفاته وكثرة المؤلفات والكتب التي خلفها تؤكد كثرة مصادره المتنوعة والمتعددة .

---

(١) تمام المتون : ص٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ص٦ .

(٣) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص١٥٢ .

(٤) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٣١١٢_٣١١٣ .

المبحث الثالث
الذوق الأدبي عند الصفدي

الذوق الأدبي هو الإحساس بالجمال عند الكاتب حينما يقف على نص أدبي معين يتأمله ، ويكون ذلك نتيجة تمرسه . يقول دكتور قلقيلة : "الذوق الأدبي هو الحاسة السادسة للإنسان نتيجة تمرسه بالأعمال الأدبية ، والفنية ووقوعها تحت تأثير حضارة خاصة وثقافة معينة ، وكثيراً ما عول النقاد عليه في تقدير الأدب"[1].

فالصفدي ناقد ذواقة ، يورد الأمثلة ثم يعقب عليها ، ويقارن بينها وبين نظائرها بما يدل على أنّها تحتاج في فهمها والانفعال بها إلى ذوق لطيف ، وإحساس مرهف . ويهدف من ذكره للأبيات الشعرية والموازنة بينها إلى تنمية الذوق الأدبي لدى القارئ ، حتى يتدرب على الموازنة والمفاضلة بين شاعر وآخر فأنت توازن وتفاضل مثلاً بين قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى قنعت من الغنيمة بالإياب

وبين قول الطغرائي :

والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقفل[2]

انظر إليه يتأمل قول جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فأرجعي بسلام

عاب الصفدي عليه قوله : "فأرجعي" ويرى أنّه ليس هناك لفظة أبشع من قول المحب لمن يحبه أرجع ولذا يرد عليه بقوله :

يـا خجـلتا لجرير مـن قـول كفـانـا الله عـاره

---

(١) انظر النقد الأدبي في العصر المملوكي ، للدكتور عبد العزيز قلقيلة ، ط١ ، سنة ١٩٧٢م : ص٢٧٠ .

(٢) تمام المتون : ص٢٧٠ .

طرقتك صائدة الفـــؤا ـد وليس ذا وقت الزيارة

هـل كـان يلقى إن أتـــا ـه خيال من يهوى خساره

أو كـــان قلب قــد حوا ـه مـن حبيب أو حجــاره

يقول السبكي : " فعجبت له كيف ترك لفظه "أرجعي" وهو أبشع ما عيب به جرير ، وقلت :

أما جرير فجر ثوب العــار فـي دعــوى الضنى وله دثار غـرام

إذا كذب الدعوى وقال لها وقــد زارته في الغلس ارجعي بسلام

ثم قلت : لعل الشيخ صلاح الدين إنّما ترك لفظة الرجوع لنكارتها وقلت :

إنّي لا أعجب مـن جرير وقـولـه قـولاً غدوت به أُنَكِّر حــالـه

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فاستمع أقوالـــه

وأعــذر فـلست بقــادر والله أن أحكى الذي بعد الزيـارة قـاله

فلما وقف الشيخ صلاح الدين علي كلامي كله ، زعم أنّي اعترف له بحسن النقد ، وقال :

أما جـــرير فلم يكـــن صبــاً ولكـــن يدعـى

أو مـــا تراه أتته صائدة القلـــوب فلــم يـــع

بل قـال جهلاً ليـس ذا وقت الزيـــارة فـأرجعـي

لو كنـت حاضــر أمــره قلت أرجعي وله أصفعي"[1]

وأرى أنّ جريراً لم يعرض عنها ، ولكنّه كما قال السبكي : "لم يقصد برجوعها إلا الشفقة عليها من الزيارة في غير وقت الزيارة"[2].

---

(١) طبقات الشافعية ، للسبكي : ج ٩ ، ص١٥١ . انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج١ ، ص٢٤٢.

(٢) طبقات الشافعية ، للسبكي : ج ٩ ، ص١٥٢ .

وقد أعجب سيدنا عمر بن عبد العزيز[1] بهذا البيت ، وكان سبباً في تفضيل جرير على كل الشعراء الذين أتوا معه لمقابلة سيدنا عمر في أول توليه الخلافة ، ويحكي أنّه منعهم جميعاً لأبيات قالوها ، يرى أنّها تخالف تعاليم الشرع ، وقال سيدنا عمر لعدى بن أرطأة[2] : "فهل بالباب أحد سوى ذلك قال : نعم جرير ، قال أما أنّه الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فأرجعي بسلام

فإن كان لابد فأذن لجرير فأذن له فدخل وهو يقول :

إنّ الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة للإمام العادل

وسع الخلائق عدله ووفاؤه حتى أرعوى وأقام ميل المائل

إنّي لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل

فقال له ويحك يا جرير اتق الله فيما تقول . ثم إنّ جريراً استأذن عمر في الإنشاد فلم يأذن له ، ولم ينهه فأنشده قصيدة طويلة يمدحه بها ، فقال له : ويحك يا جرير لا أرى لك فيما هاهنا حقاً ، فقال : إنّي مسكين وابن سبيل . قال : إنّا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة ، وابنها مائة ، وقد بقيت مائة . فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ قال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإنّي عنه لراضٍ . ثم أنشأ يقول :

رأيت رقي الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا[3]

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ،أمير المؤمنين ، أبو حفص الأموي ﷺالخليفة الراشد . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٤ ، ص ٧٦٩ .

(٢) عدى بن أرطأة الفزاري ، الدمشقي أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز ، روى له مسلم والأربعة ، وهو الذي قبض على يزيد بن المهلب وبعث به مقيداً إلى عمر بن عبد العزيز . انظر الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٤ ، ص ٢٦٢ ـ٢٦٣ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص١٩١١_١٩١٢ . انظر: ترجمة جرير، الأعلام للزركلي : ج٢ ، ص ١١٩ .

وهذه القصة تدل على معرفة سيدنا عمر بن عبد العزيز بالشعر ، وأنّه استطاع أن يمنع كل شاعر من الشعراء الذي قدموا عليه بالحجة الدامغة من شعره ، وأنّه ناقد يتذوق الشعر ، ويعرف ما يناسب ويسير مع تعاليم الإسلام ، وما يخالف ، وما هو جميل مقبول ، وما هو قبيح مرزول .

ونلاحظ أنّ سيدنا عمر بن عبد العزيز إنّما نظر لبيت جرير بما يناسب الذوق ولا يخالف تعاليم الشرع فارتضاه ، أما الصفدي فكان نظره بمعيار أهل المحبة ، فالحبيب يقبل على محبوبه في كل وقت ولا يقول له ارجع .

يقول دكتور محمد زغلول سلام عن الصفدي : "ويكشف عن ذوقه الأدبي ما علق به من فنون التعبير البديعة كالاستعارة والتشبيهات ، ويهتم منها بصفة عامة بتقارب الصورة وتناسبها ، ودلالتها المعنوية والشعورية ، لكنّه يغفل عن التنبيه إلى اللفظ وتمكنه في السياق أو نفوره وقلقه"[1]. ومن الأمثلة التي تدل على تذوقه للنصوص تعليقه على قول الطغرائي :

نؤم ناشئةً بالجزع قد سقيت نصالها بمياه الغنج والكحل

يقول الصفدي : "وفي بيت الطغرائي من أنواع البديع الكناية وهي أبلغ من الصريح وأوقع في النفوس . ألا ترى أنّ قولك : "بعيدة مهوى القرط" أبلغ من قولك : "طويلة العنق" وقول امرئ القيس :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحي لم تنتطق عن تفضل

أبلغ من قوله : منعمة ذات خدم وجواري يخدمونها ، فهي تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة"[2].

---

(١) الأدب في العصر المملوكي ، للدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية ، جلال حزي وشركاه : ص٤٨٥ .

(٢) الغيث المسجم ، للصفدي : ج١ ، ص٤٠٥ .

فهو يغوص في أعماق النص يحلله ، مبيناً مواطن حسنه وقبحه ، ويبدي إعجابه بالنص في ألفاظ يعبر بها عن هذا الإعجاب . وآراءه تعتمد على حاسة الذوق ، ونجدها مبثوثة أثناء شرحه . يقول محمد علي سلطاني : "لقد أدرك الصفدي أهمية النقد في الأدب ونتاجه ، وأدرك كذلك أنّ الذوق هو أول ما يجب توفره عند من يدخل هذا الميدان ، يلي هذا بالضرورة الدراية والمران والرياضة حتى يغدو صاحب الذوق هذا قديراً في تعمق النصوص ، والوصول إلى أغوارها ، وإدراك أسرارها"[1].

فهو عارف بفنون الأدب ولا يتسرع في إصدار الأحكام ، بل يتأمل ويخوض في بحار المعنى ثم يصدر الحكم ، وذلك لأنّه صاحب ذوق سليم مصقول مهذب . والذوق السليم يهدى البليغ إلى جودة النظم ، وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم . يقول ابن خلدون[2]. متحدثا عن ملكة الذوق : "وهذه الملكة كما تقدم إنّما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع ، والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان ، فإن هذه القوانين إنّما تفيد علماً بذلك اللسان ، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها"[3].

---

(١) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص١٤٧ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، أبو زيد : الإمام المؤرخ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

(٣) المقدمة : لعبد الرحمن بن خلدون، مكتبة جزيرة الورد القاهرة ، ٤ ميدان حليم ، ط١ ، ٢٠١٠م : ص٥٨١ . انظر : النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص٢٩٩ .

فابن خلدون يهتم بالذوق والتعرف على الجمال أكثر من الاعتماد على تطبيق القوانين البلاغية المقيدة ، لأنّه يرى أنّ العرب أمة مطبوعة ، وحديثها يأتي سجية من غير تكلف .

ومختارات الصفدي في شرحه تدل على ذوقه الرفيع ، لأنّها من مختارات الأدباء والكتاب والبلغاء التي استساغتها أذواقهم ، واستخدموها في مكاتبتهم . يقول وهو يبدأ شرح الرسالة : "وهذا أوان الشروع في إيرادها على التفصيل شيئاً فشيئاً ؛ ليتأتي الكلام على ما أودعه فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وخلّد فيها من أبيات اشتهر بين الأدباء استعمالها ، وتخلل في غضون الرسائل والمكاتبات ورودها ؛ حسب الإمكان"[1]. فهو يأتي ليزيد متن ابن زيدون رونقاً وبهاءً ، ويجعله أكثر جمالاً ، فهو يترك الردئ ليأتي بالجيد ، ويجعل قلمه يجوس خلال الديار ، ويغوص في قاع البحار ، حتى يخرج الجواهر الثمينة ، ويلج في أعماق الآبار حتى يخرج الماء الزلال . يقول : "فكم توقف القلم في الأذن على ما حصل فيه أدنى لبس ، وكم ضاق من غسان ، ولم يسع جميع بني عبس ، وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن ، وأعرض عن منهل كان ماؤه العذب غير آسن"[2].

---

(١) تمام المتون : ص٣٠ .

(٢) الغيث المسجم ، للصفدي : ج١ ، ص١٣ .

المبحث الرابع
مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي

يرى الصفدي أنّ العالم هو المختص بفن واحد ، أما الأديب فهو الذي يطلب كل الفنون . يقول : "من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم"[١].

لذا نجده ينفتح على كل العلوم ينهل من معينها ، ويلتهم ما فيها ويضرب مثالاً بالجاحظ في مؤلفاته التي تشتمل على كل المعارف ، ومع ذلك يرى أنّ يكون الأديب مطبوعاً لا متكلفاً . يقول : "إنّ الطبع أنفع للأديب من علم العروض ، لأن كل من نظم العروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفاً ، ولا يتأتي له وزن البيت الواحد ، بل الكلمة الواحدة إلا بعد مشقة عظيمة ، وإلى أن ينظم الناظم بالعروض بيتاً يكون صاحب الطبع السليم قد نظم قصيدة"[٢].

ويتضح مما سبق أنّ مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي هي الثقافة والطبع ، وقد وافقه على ذلك جمع من علماء عصره كالقلقشندي[٣].

يقول القلقشندي : "إنّ كاتب الإنشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ، ولا يقف عند فن ، لكن احتياجه إلى ذلك ليست على حد واحد ، بل منه ما يحتاج إليه وهي مواد الإنشاء التي يستمد منها ، ويقتبس من مقاصدها

---

(١) الغيث المسجم ، للصفدي : ج١ ، ص٤ .

(٢) المصدر السابق : ج١ ، ص٤ .

(٣) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري : المؤرخ الاديب البحاثة . وهو من دار علم ، من تصانيفه "صبح الاعشى في قوانين الانشا". انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١٧٧ .

كاللغة التي منها استمداد الألفاظ ، والنحو الذي استقامة الكلام ، وعلوم البلاغة التي هي مناط التحقيق والتحسين ونحو ذلك"[1].

فالصفدي ومن وافقه يرون أنّ مع الطبع لابد من الإلمام بكافة العلوم التي تصقل الأديب ، وتجعله ضليعاً متمرساً ، وذلك لأن الطبع يحتاج إلى الإنتاج الأدبي ، فهو لا ينهض إلا بوجود هذه العوامل المساعدة .

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، مطابع كوستا تسوماس وشركاه : ج١ ، ص٣٩_٤٠ .

المبحث الخامس
توثيق النصوص

توثيق النصوص قضية انتبه النقاد العرب لها قديماً ، وظهور مؤلفات مثل كتاب "طبقات الشعراء"، وكتاب "الشعر والشعراء" وغيرها تؤكد اهتمام هؤلاء الكتاب بتوثيق النصوص ، وتصحيحها حتى لا يدعى أحد من الناس شعراً أو نثراً لغيره . لأنّ العرب أمة أمية _لا تكتب_ فقد ظهر في العصور التالية للعصر الجاهلي مجموعة من القبائل أدعت شعراً لغيرها ، أو كتبت شعراً على لسان زعمائهم الأوائل فيه فخر حتى يلحقوا بتلك القبائل التي سبقتهم في هذا الميدان . يقول ابن سلام : "فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسُنْ شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار وليس يُشكِل على اهل العلم زيادة ذلك ولا ماوضع المولدون "[1].

واهتم الصفدى بتوثيق النصوص ، وكان أكثر حرصاً ودقة على إيراد النص الذي يذكره لقائله ، ويذكر المصدر الذي وجد فيه النص . فحينما ذكر رسالة ابن زيدون أوضح المصدر الذي أخذه منها ، قال : " وها أنا أورد الرسالة منقولة من خط الإمام على بن ظافر رحمه الله"[2].

---

(١) طبقات الشعراء ، لابن سلام : ص٥٥_٥٦ .

(٢) تمام المتون : ص٢٢ .

وقوله : نقلت من خط شمس محمد بن قيم الجوزية : "إن بريرة إنّما اشترتها عائشة واعتقتها بعد ذلك"[١]. وقوله : "قال ياقوت في "معجم البلدان" : "وجد على خشبٍ من خُشب غمدان لما هدمه عثمان مكتوب برصاص مصبوب في خشبة : "اسلم غمدان هادمك مقتول" فهدمه عثمان فقتل[٢].

وقد كان الصفدي يهتم بالسند ، وينقل السلسلة حتى لكأنّ الكتاب كتاب حديث لا كتاب أدب ، ففي ذكره للحديث الذي رواه هند بن أبي هالة[٣]: "كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر"[٤]. ذكر جميع السند وأطال فيه ، وهذا يؤكد مدى تأثيره بشيخه المحدث جمال أبي الحجاج يوسف المزي ، فهو ينقل الحديث ويحرص عليه دون حذف أو اختصار . يقول دكتور نبيل محمد رشاد : "وحين يورد الصفدي حديثاً من أحاديث سيدنا محمد ﷺ ينص على مصدره ، كأن يقول : "رواه مسلم أو متفق عليه ، وهذا يدل على إطلاعه على المصادر ، وإلمامه بما فيها من حديث"[٥].

وأحياناً يجد الصفدي : لفظة غير مناسبة في الرسالة يرجح أنّها ربما كانت خطأً من النسخ أو غير ذلك ، تجده يقترح وضع كلمة غيرها تحل محلها . يقول هذا أنسب من اللفظة التي وجدتها في المصدر ، فمثال ذلك

---

(١) تمام المتون : ص١٦٩ .

(٢) المصدر السابق : ص١٩٥ .

(٣) هند بن أبي هالة التميمي : ربيب رسول الله ﷺ وأخو أولاده من خديجة ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٦ ، ص١٩٤ .

(٤) الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م : ص١٥ .

(٥) الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية ، لنبيل محمد رشاد : ص٩١ .

قول ابن زيدون : فعم عبث الجفاء بأذمتى"[1]. فبعد أن يذكر مصدرها قائلاً: "كذا وجدته بخط الشيخ الإمام الأديب الكامل على بن ظافر _ رحمه الله تعالى _ في اختصاره نفائس الذخيرة"[2]. تجده يقترح كلمة "فيم ، أو علام" بدلاً من "فعم" يقول : "والظاهر أنّ ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ إنّما قال : "ففيم" أو "علام"[3].

ومثال للمصادر المسموعة قوله : "أنشدني لنفسه أجازة شيخنا الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود _ رحمه الله تعالى _ من قصيدة مدح بها الصاحب تاج الدين محمد حنا"[4]. قوله : "وأنشدني صفي الدين لنفسه إجارة" [5]. وقوله : "أنشدني في هذه المادة لنفسه الشيخ صفي الدين عبد العزيز الحلي سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة[6]. فهو يذكر الذي سمع منه والمناسبة وأحياناً يضيف إليهما السنة التي سمع فيها ، ومنها قوله : "فهذه بيعات العقبة الثلاثة ، حدثنى بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري مختصراً من سيرته"[7].

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها وذكرها في كتابه هي :

١. كتاب "الأسماء والصفات" : الإمام البيهقي[8].

---

(١) تمام المتون : ص٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٤٠٢ .

(٤) المصدر السابق : ص٢٣١ .

(٥) المصدر السابق : ص٢٣٦ .

(٦) المصدر السابق : ص٢٤٦ .

(٧) المصدر السابق : ص١٤٣ .

(٨) المصدر السابق : ص ٣٤ . والبيهقي هو : أحمد بن الحسين بن علي ، الإمام الحافظ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١١٦ .

٢. "المنهاج في شعب الإيمان" : الحليمي[١].

٣. "الروض الأنف" : السهيلي الخثعمي[٢].

٤. "التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن" : السهيلي الخثعمي[٣].

٥. "أدب الكتاب" : محمد بن يحي الصولي[٤].

٦. "فصل المقال" : أبو عبيدة البكري[٥].

٧. "مروج الذهب": المسعودي[٦].

٨. "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" : ابن رشيق القيرواني[٧].

٩. "الذخيرة" : ابن بسام[٨].

١٠. "نفائس الذخيرة" : ابن ظافر [٩].

---

(١) تمام المتون : ص ٣٥ . والحليمي هو : الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٢٥٣ .

(٢) تمام المتون : ص٣٥ . والسهيلى هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي ، حافظ ، عالم باللغة والسير ، ولد في مالقة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣ ، ص٣١٣ .

(٣) تمام المتون : ص٣٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨ . الصولي هو : محمد بن يحي بن عبد الله أبو بكر : من أكابر العلماء نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس ، له تصانيف عديدة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص١٣٦ .

(٥) تمام المتون : ص٥٦ . أبو عبيدة البكري هو : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، مؤرخ جغرافي ، ثقة ، علامة بالأدب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٩٨ .

(٦) تمام المتون : ص٦٢ . المسعودي هو : على بن الحسين بن على أبو الحسن : من ذرية سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، مؤرخ ، رحالة ، بحاثة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٢٧٧ .

(٧) تمام المتون : ص١١٧ .

(٨) تمام المتون : ص٦ ، ٢١ ، ١٤١ . ابن بسام هو : علي بن بسام الشنتريني الأندلسي أبو الحسن ، أديب من الكتاب الوزراء . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٢٦٦ .

(٩) تمام المتون : ص١٤١ . وابن ظافرهو : على بن ظافر بن حسين ، جمال الدين أبو الحسن : الفقيه الوزير ، من الشعراء والأدباء والمؤرخين . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ح١٤ ، ص٣٦٠ .

١١. "سيرة ابن سيد الناس المعروفة بعيون الأثر" : ابن سيد الناس[١].

١٢. "فضائل أبي بكر" : ابن زنجويه[٢].

١٣. "الاستيعاب" : ابن عبد البر[٣].

١٤. "معجم البلدان" : ياقوت[٤].

١٥. "تاريخ الطبري": محمد بن جرير الطبري[٥].

١٦. "الطبقات" : ابن سعد[٦].

١٧. "مقامات الحريري" : الحريري[٧].

١٨. "دمية القصر " : الباخرزي[٨].

١٩. "مجمع الأمثال" : الميداني[٩].

---

(١) تمام المتون : ص١٤٣ .

(٢) تمام المتون : ص١٨٢ . ابن زنجويه هو : محمد بن زنجويه البخاري ، أبو بكر : الفقيه الفرضي ، حدث بدمشق وكان إماماً في السنة . انظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٢ ، ص١٧٥ .

(٣) تمام المتون : ص١٩٠ . ابن عبد البر هو : يوسف بن عبد الله بن محمد ، أبو عمر النمري القرطبي الإمام المالكي ، محدث قرطبة ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٦ ، ص٣٦٠ .

(٤) تمام المتون : ص١٩٥ . ياقوت الحموي هو : ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله : مؤرخ ، من علماء اللغة والأدب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٨ ، ص١٣١ .

(٥) تمام المتون : ص٣٧١ . الطبري هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر : الإمام المجتهد المؤرخ ، شيخ المفسرين انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص٦٩ .

(٦) تمام المتون : ص٢٠١ . ابن سعد هو : محمد بن سعد بن منيع مولى بني هاشم أبو عبد الله : الحافظ البصري ، كثير العلم ، كثير الحديث ، كثير الكتب ، عرف بكاتب الواقدي . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص١٣٦ .

(٧) تمام المتون : ص٢٢٣ . الحريري هو : القاسم بن محمد بن عثمان الحريري ، البصري أبو محمد : الأديب الكبير ، صاحب المقامات الحريرية ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٥ ، ص١٧٧.

(٨) تمام المتون : ص٢٥٣_١٨٤ .

(٩) تمام المتون : ص٢٧٣ . الميداني هو : أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري أبو الفضل : الأديب ، صاحب مجمع الأمثال ، لم يؤلف مثله في موضوعه . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١٤ .

٢٠. "الكامل في اللغة والأدب" : أبو العباس المبرد[١].

٢١. "الفردوس الأعلى" : الحافظ شهريار ابن شيرويه[٢].

٢٢. "مناقب الشافعي" : الإمام فخر الدين الرازي[٣]:

٢٣. "الكشاف" : جار الله الزمخشري[٤].

٢٤. "سيرة ابن هشام" : ابن هشام[٥].

٢٥. "الصحاح" : الجوهري[٦]:

٢٦. "غريب الحديث" : الخطابي[٧]:

٢٧. "قلائد العقيان" : ابن خاقان[٨]:

هذه هي المصادر التي نقل منها وذكرها بأسمائها ، وهنالك مصادر نقل منها ولم يذكر أسمائها ، وإنّما ذكر اسماء مؤلفيها وقد أشار إلى ذلك في قوله : "قال الأديب أبو محمد مالك المغربي"[٩]، و"قال الكلبي":[١٠]، و"نقلت من

---

(١) تمام المتون : ص٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٠٧ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٧١ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٨٣ . الزمخشري هو : محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ، أبو القاسم : من أئمة والتفسير واللغة ، أشهر كتبه الكشاف . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص١٧٨ .

(٥) تمام المتون : ص١٤٥ . ابن هشام هو : عبد الملك بن هشام بن أيوب ، حما ل الدين أبو محمد : مؤرخ ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص١٦٦ .

(٦) تمام المتون : ص٣٧٦ . الجوهري هو : إسماعيل بن حماد أبو نصر : لغوي من الأئمة ، خطه يذكر مع خط ابن مقله . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص٣١٣ .

(٧) تمام المتون : ص٤٠٠ . الخطابي هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، من ولد زيد بن الخطاب أبو سليمان : صاحب تصانيف . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٥ ، ص١٤٤ .

(٨) تمام المتون : ص٦ .وابن خاقان هو : الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي ، أبو نصر : كاتب ، مؤرخ ، من أهل إشبيلية . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٥ ، ص١٣٤ .

(٩) تمام المتون : ص٨٩ .

(١٠) المصدر السابق : ص١٣٤ .

خط شمس الدين بن قيم الجوزية"[1]، "وما أحسن ما نقلت من خط علاء الدين الكندي الوادعي"[2]، "ويقول : يعقوب بن السكيت"[3]، "وقال الكسائي"[4]، ومثل هذا كثير في كتاب "تمام المتون"، إضافة إلى المصادر السماعية مثل الحديث الذي سمعه من أستاذه ابن سيد الناس والذي ذكرته في هذا المبحث سابقاً[5].

ولكن أهم المصادر اعتمد عليهما القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوي الشريف ، والسيرة النبوية المباركة يقول : "وفي البخاري ومسلم"[6]. وغيرها من كتب الحديث التي نقل منها .

---

(١) المصدر السابق : ص١٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ص١٩٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٨ .

(٥) المصدر السابق : ص٢٥٣ .

(٦) المصدر السابق : ص٢٤٣ .

الفصل الثاني : المصطلحات النقدية

المبحث الأول: الاستحسان والتعديل .

المبحث الثاني: الاختلاس .

المبحث الثالث: الحوشي .

المبحث الرابع : العذوبة .

المبحث الخامس: الظرافة.

المبحث السادس: الفصاحة .

المبحث الأول
الاستحسان والتعديل

هذا المصطلح شائع عند النقاد فحينما يعجبهم نص جميل لافت للنظر يستحسنوه . يقول إدريس الناقوري : "وفي الاصطلاح النقدي والأدبي عامة يتعدد معنى الحسن مصدراً ، والحسن صفة يتعدد سياق استعماله ، إلا أنّه يمكن القول : إنّ هذا الاصطلاح حافظ على معناه اللغوى الأصلى ، الذي يقصد به الجمال الظاهر للعيان ، أو المثير للإحساس"[1].

والصفدي حينما يذكر شواهده يستحسن بعضها ويفضلها على البعض الآخر ، فمثلاً في ذكره لمقتل الإمام عليّ كرم الله وجهه ذكر قول البحتري :

ولا عجب للأسد إن ظفرت بهـا
كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمـزة الردى
وموت عليّ من حسام ابن ملجـم[2]

يذكر بعد ذلك مجموعة من الأشعار التي تناولت هذا المعنى ، فيفضل عليهم قول الشيخ شرف الدين ويستحسنه ، يقول : "وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين :

أدر كأس خمرك صرفاً ففي حيـاة المدام حيـاة الفــؤاد
ولا تقتلنّها تكـــن ثالثاً لأ شقي ثمود وأشقي مراد[3]

---

(١) المصطلح النقدي في نقد الشعر ، لإدريس الناقوري ، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعـلان ، طرابلس ، ط٢ ، سنة ١٩٨٤م : ص٢٦٠.

(٢) تمام المتون : ص٢٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٠٢ .

وأثناء ذكره للأبيات التي تتحدث عن العفو والصفح ، يذكر قول ابن الخياط الدمشقي :

من الكاظمين الغيظ والمحسنين إذا برحت بالصدور الحقود

فمتّ بجُرم إلى عفوه ينلك مع العفو بر وجود

إذا كنت سيد قوم ولم تسعهم بحلم فأنت المسود[1]

نجده يفضل عليه قول مسلم بن الوليد . يقول : "وما احسن قول مسلم بن الوليد في الرشيد :

بأبي وأمي أنت ما أندى يداً وأبر ميثاقاً وما أزكاكا

يغدو عدوك خائفاً فإذا رأى أن قدرت على العقاب رجاكا[2]

وختاماً نذكر استحسانه لبيت المتنبي الوارد في الرسالة :

يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم[3]

وبعد هذا البيت يورد أبيات يستحسنها منها :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة

أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخي الدينا بناظره

إذا أستوت عنده الأنوار والظلم

---

(١) تمام المتون : ص٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ص٩٢ .

(٣)المصدر السابق : ص٣٤٤ .

ثم يقول : "ولم أورد هذه الأبيات إلا لأنّها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أثنائها ، وتنخرط في سلكها"[1]. وهذا يدل على حسن اختياره للنصوص وتفضيل بعضها على بعض .

يقول ابن زيدون : **"وأظمأتنى إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك**[2].

حينما شرح الصفدي هذه العبارة وصفها بأنّها في غاية الحسن والجمال ، لما فيها من استعارة جميلة . يقول الصفدي : "وقد استعار الظمأ _وهو شدة العطش _ إلى برد الإسعاف ، ونفض الكف من الإحاطة به والحوزة له ، وذلك في غاية الحسن"[3]. ويظهر الحسن عند الصفدي في مقارنته بين النصوص التي يستشهد بها ، حيث يفاضل ويقول هذا أحسن ، وهذا في غاية الحسن . يقول شوشو : "ويكون الحسن عنده صفةً للنقد ، وذلك حين وصف به رأياً لابن جبارة قاله في أبيات سناء الملك ، فقال الصفدي : قلت : هذا لعمري نقد حسن"[4].

---

(١) تمام المتون : ص٣٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٠ .

(٣) المصدر السابق : ص٤٠ .

(٤) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص٦٠ . انظر : تمام المتون : ص٤٠ .

المبحث الثاني
الاختلاس

يقول ابن رشيق : "هو نقل المعنى من غرض إلى غرض"[1]. وإلى هذا المعنى أشار الصفدي معلقاً على قول ابن قلاقس :

وغير عجيب أن أوفيك مجرماً أنيب وأرجـــو في ذراك متـابا

فأسبل رداء العفو منك تكرمـاً فحسبي كوني غبت عنك عقابا[2]

يقول الصفدي : "وهو مأخوذ من قول الأول :

أرض لمن غـــاب عنك غيبته فذاك ذنبٌ عقـابه فيه

لو لم ينله من العقاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه[3]

يقول الصفدي : "ولقد زاد ابن زيدون في هذا المقام ، وأفرط في الخضوع والتوسل ، وما أحقه أن ينشد قول المؤمل بن أميل :

إذا مرضتم أتيناكم نعودكـــم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر[4]

ومعنى الاختلاس الذي يرمي إليه الصفدي هو السرقة الخفية ، وليس نقل المعنى ، ومثال ذلك تعقيبه على قول أبي الطيب :

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فإنّك معطيه وإنّي ناظم

يقول الصفدي : "وهو مأخوذ من قول ابن الرومي :

ودونك من أقاويلي مديحـاً غدا لك دره ولي النـظـام[5]

---

(١) العمدة ، لابن رشيق : ج٢ ، ص٢٨٢ .

(٢) تمام المتون : ص١٠٥ .

(٣) المصدر السابق : ص١٠٥ .

(٤) المصدر السابق : ص١٠٥ .

(٥) المصدر السابق : ص٢٩٨ .

أي : أنّ كلا القولين من مادة واحدة اختلسها الثاني من الأول ، أو اللاحق من السابق . ولذا نجده كثير ما يقول : "ومن هذه المادة" أو يقول : "والأصل في هذه المادة"[1]. يقول معقباً على قول أبي الحسين الجزار :

ولقد كستوك من قريضي حـــــلة
جلّت عـــن التضييق والترفيـع
حسنت برقم من خلالك فاغتدت
كالروض في التسهيم والتوسيع[2]

يقول الصفدي : "والأصل في هذه المادة كلها قول أبي الطيب :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه
_وإن لم أشأ _ تملى عليّ وأكتـب[3]

ومثل هذا موجود بكثرة في شرح الصفدي .

---

(١) تمام المتون : ص٢٩٧ .

(٢) المصدر السابق : ص٢٩٧ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٩٧ .

المبحث الثالث
الحوشي

هو الكلام الغامض الغريب . جاء في لسان العرب : "وحوشى الكلام : وحشيه وغريبه ، ويقال فلان يتتبع حوشي الكلام ووحشي الكلام ، وعقمي الكلام ، بمعنى واحد . وفي حديث عمرو : لم يتتبع حوشى الكلام ، أي : وحشيه وعقده ، والغريب والمشكل منه"[١].

وقد كان سيدنا عمر يفضل زهير لأنّه لا يعاظل في الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه[٢].

ذكر الصفدي لفظ "الحوشي" بهذه الدلالة حينما شرح قول ابن زيدون : **"حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بحليها وملابها"**[٣]. وصف الصفدي قصيدة ابن زيدون الميمية التي شبهها بالعروس ، بأنّها ذات ألفاظ عذبة ، فصيحة بليغة ، غير غريبة ولا حوشية ، يقول : "وهي القصيدة الميمية في أثوابها ، وحليها وملابها . أراد بالثياب ألفاظها ، لأنّه تخير لها ألفاظاً فصيحة عذبة التركيب ، عرية من الألفاظ الغريبة الحوشية ، التي ينبو عنها السمع"[٤]. وقد مدح النقاد الشعراء والكتاب أصحاب الأسلوب الفصيح البليغ ، السهل غير الغامض والساقط . يقول الجاحظ: "لم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فإنّهم قد التمسوا ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً"[٥].

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج٤ ، ص٢٧٠ .

(٢) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص٥٩٤ . انظر : طبقات الشعراء ، لابن سلام : ص٦٢ .

(٣) تمام المتون : ص٣٩٠ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٩٠ .

(٥) البيان والتبين ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان : ج١ ، ص١٣٧.

المبحث الرابع
العذوبة

والعذوبة في لسان العرب من "عذب" : و"العذب من الشراب والطعام كل مستساغ والعذب الماء الطيب"[١].

وعذوبة الكلام رقته وسهولته . وهو عند الصفدي عكس الغرابة والحوشية ، فحينما شرح قول ابن زيدون **"حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بحليها وملابها"**[٢]. قال : "وقد ادعى ابن زيدون أنّه قد زف إليه عروساً من نظمه ، _ وهي القصيدة الميمية _ في أثوابها وحليها وملابها . أراد بالثياب ألفاظها لأنّه تخير لها ألفاظاً عذبة التركيب" [٣]. فنجد الصفدي وصف عبارة ابن زيدون بأنّ ألفاظها عذبة التركيب ، أي : سهلة رقيقة . وحينما شرح قول الطغرائي :

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل[٤]

قارن بينه وبين قول المعري :

وافقتهم في اختلاف من زمانكم
والبدر في الوهن مثل البدر في السحر[٥]

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج١ ، ص٥٨٣ .

(٢) تمام المتون : ص٣٩٠ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٩٠ .

(٤) الغيث المسجم ، للصفدي : ج١، ص ٩٠. وتطفيل الشمس ميلها للغروب . انظر : لسان العرب ، لابن منظور : ج١١ ، ص٤٠١ .

(٥)الغيث المسجم ، للصفدي : ج١ ، ص٩٠.

وبعد المقارنة ذكر لفظ العذوبة ، باعتباره مقابلاً للفظ الغرابة . يقول الصفدي : "ولكن قول المعرى ألطف عبارة ، وأحسن إشارة ، لأنّ الطغرائي أغرب في لفظتي رأد والطفل ، وعذوبة الألفاظ أمرمهم في البلاغة"[1]. فالصفدي فضل المعرّي على الطغرائي لعذوبة ألفاظه وسهولتها .

(١) المصدر السابق : ج١، ص٩٠.

المبحث الخامس
الظرافـة

جاء في لسان العرب : "الظرف البراعة وذكاء القلب . وقيل الظرف : حسن العبارة ، وقيل حسن الهيئة ، وقيل الحذق بالشيء ، وقد ظرف ظرفاً ويجوز في الشعر ظرافة"[١]. ومن المصطلحات التي يستخدمها الصفدي أثناء شرحه مصطلح الظرافة ، بمعنى البراعة والخفة . يقول ابن منقذ : "أعلم أنّ أشعار العرب والمحدثين ، قد ورد فيهما الظريف السهل ، كقول بعضهم :

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت
وأشقى لقلبي أن تهب جنـوب
يقولون : لو عزبـــت قلبك لأرعوى
فقلت : وهل للعاشقين قلوب[٢]

وبهذا المعنى نجد الصفدي يصف بعض الأبيات التي يجدها مناسبة للمعنى الذي يرومه بالظرافة ، ومثل ذلك عندما تحدث عن معنى الشفاعة في شرح قول ابن زيدون : **والشفاعة زكاة المروءة**"[٣]. يقول : وما أظرف قول دعبل الخزاعي :

جئنا به يشفع في حاجة فاحتاج في الأذن إلى شافع[٤]

وقوله : وما أظرف قول القائل :

وإذا المليح أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع[٥]

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج ٩ ، ص١٨٣ .

(٢) البديع ، لابن منقذ : ص١٩٣ .

(٣) تمام المتون : ص٣٥٨ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٦١ .

(٥) المصدر السابق : ص٣٦٢ .

المبحث السادس
الفصاحة

قال نجم الدين بن الأثير : **"الفصاحة** : خلوص الكلام من التعقيد ، وأصله من الفصيح : وهو اللبن الذي أخذت عنه الرغوة"[1]. وتعنى البعد عن الركاكة ، واستعمال الكلمات الوعرة والغريبة ، وأن يكون الكلام حسن المخارج ، جيد التركيب . وبهذا المعنى ذكرها الصفدي في تعقيبه على قول ابن زيدون : **"حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بجليها وملايها"** حيث قال : "أراد بالثياب ألفاظها لأنّه تخير لها ألفاظاً فصيحة ، عذبة التركيب ، عرية من الألفاظ الغريبة"[2].

فقد وصف الصفدي ألفاظ ابن زيدون بالفصاحة ، أي : بخلوها من التعقيد والمعاظلة .

---

(١) جواهر الكنز ، لنجم الدين بن الأثير : ص٣٤ .

(٢) تمام المتون : ص٣٩٠ .

الفصل الثالث : القضايا النقدية

المبحث الأول : السرقات الأدبية

المبحث الثاني: الموازنات

المبحث الثالث: المفاضلة بين الشعر والنثر

المبحث الرابع: اللفظ والمعنى

المبحثالخامس:نقد الصفدي لبعض نصوص ابن زيدون

المبحث الأول
السرقات الأدبية

تحدث النقاد عن السرقات الأدبية ، وهي أن يلجأ الشاعر إلى معاني أو ألفاظ غيره فيأخذها ، وهي أنواع : منهم من يأخذ المعنى ، ومنهم من يأخذ اللفظ ، ومنهم من يأخذهما معاً ، ولذا قسموها إلى محمودة ومذمومة .

يقول ابن طباطبا[1] عائباً على الشعراء الذي يسرقون أعمال غيرهم مع تغيير للألفاظ والأوزان : "يغير على معاني الشعراء فيودعها في شعره ، ويخرجها في أوازن مخالفة لأوزان الأشعار التي تناول منها ما يتناول ، ويتوهم أنّ تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقته ، أو يوجب له فضيلة"[2]. فهو ينهاهم عن فعل ذلك لأنّه شنيع ، على الرغم من أنّه يرى أنّ الأقدمين والسابقين لهم لم يتركوا لهم شيئاً . ولكن ابن الأثير لا يوافقه على هذا الحديث جملة ، وإنّما يرى أنّ ابتداع المعاني مفتوح ، لأنّ الشعراء الجاهليين ابتدعوا معاني لم يسبقهم عليها أحد ، وجاء بعدهم شعراء العصر الأموي والعباسي فطرقوا وابتدعوا معاني لم يطرقها ويبتدعها الجاهليون . يقول : "فإن قيل إنّ المعاني المبتدعة سبق إليها ، ولم يبق معنى مبتدع ، عورض ذلك بما ذكرته ، والصحيح أنّ باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة ، ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له ؟ إلا أنّ من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ، ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ؛ لأنّ الخواطر تأتي به من غير حاجة إلى اتباع الآخر الأول ، كقولهم في الغزل :

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا ، الحسنيا لعلوي ، أبو الحسن: شاعر مفلق وعالم بالادب ، من كتبه "عيار الشعر". انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٥ ، ص٣٠٨ .

(٢) عيار الشعر ، لابن طباطبا ، تحقيق ، دكتور عبد العزيز المانع مكتبة الخانجي ، القاهرة : ص١٤ .

عفت الديـار ومـا عفـت آثارهن من القلـــوب"[1]

ويستمر ابن الأثير في ذكر الأمثلة على ذلك ، ويرى أنّ مثل هذا لا يطلق عليه اسم سرقة . يقـول : "وكذلك يجرى الأمر في غير مـا أشرت إليه مـن معـان ظاهرة ، تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة ، وتستوى في إيرادها ، ومثال ذلك لا يطلق على الآخر فيه اسم السرقة من الأول"[2].

وقد قسمها العلماء إلى عدة أقسام محمودة ومذمومة ، وتحدثوا عن الأخذ الحسن وأنواعه وطرقه ، والقبيح المذموم وأحواله[3].

قضية السرقات الأدبية عند الصفدي

تعد قضية السرقات الأدبية من أبرز وأكثر القضايا النقدية التي شغلت الأدباء قديماً وحديثاً ، ويعد الصفدي أحد النقاد الذين أدلوا بدلوهم فيها ، وغاصوا في لجتها ، فأتوا بماء عذب وأخرجوا دراً ثمينة ، والمعلوم أنّ السرقات لا ينتبه إليها ولا يعرفها إلا من أكثر من حفظ الشعر .

يقول ابن الأثير: "ومن المعلوم أنّ السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد "[4]. والصفدي إذا نظرنا إلى مؤلفاته نجده من أكثر الكتاب استشهاداً بالشعر ، ويذكر شعراء ربما لا يكونوا معروفين لدي بعض الأدباء ، وهذا يدل على كثرة اطلاعه ، وقد لا يقول في شرحه هذه سرقة أو هذا مسروق من قول فلان وإنّما يعبر عنه بقوله : "وهو مأخوذ من قول ابن الرومي"[5]، "ومن هذه المادة قول أبي

---

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج٢ ، ص٣٠٣ .

(٢) المثل السائر ، لابن الأثير : ج٢ ، ص٣٠٣ .

(٣) الصناعتين ، للعسكري : ص١٩٦ . انظر : البديع ، لابن منقذ : ص٢٦٤ .

(٤) المثل السائر : لابن الأثير : ج٢ ، ص٣٠٤ .

(٥) تمام المتون : ص٢٩٨ .

تمام الطائي"[1]، "ومن مادة ابن زيدون ما قاله ابن المعلم"[2].

وأحياناً يعترف على نفسه إنّه أخذ معنًى لغيره وصاغه شعراً . ومثل ذلك قوله : "وقلت أنا في معنى قول أمرئ القيس: "قنعت من الغنيمة بالإياب :

قنعت بالعود إلى منــزلي وذاك دأب المــرء في خيبته

كالحجر الملقي إلى صاعد ليس له هم سـوى عودته"[3]

والأخذ والاختلاس والسرقة كل تدور حول معاني قريبة لبعض ، تدل اشتراك ظاهري أو خفي بين الألفاظ والمعاني . تحدث عنها بإسهاب ابن رشيق القيرواني وقال أنّه لا يسلم منها أحد ، وقد تكون خفية لا يعرفها إلا البصير الحاذق من نقاد الشعر . يقول : "وهذا باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وأخرى فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل"[4].

أمثلة لبعض السرقات التي تناولها الصفدي

قال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج[5]

يعلق عليه بقوله : "واختصره سلم الخاسر فجودة ما شاء ، فقال :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور[6]

---

(١) تمام المتون : ص٣٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٧١ .

(٤) العمدة ، لابن رشيق : ج٢ ، ص٢٨٠ .

(٥) تمام المتون : ص٥٦ .

(٦) المصدر السابق : ص٥٦ . انظر : الاعجاز والايجاز ، للثعالبي : ص١٦٦ .

وهذه من السرقات المحمودة ، والصفدي عبر عنها بقوله : "اختصره... فجوده" . والإيجاز محمود وخاصة إذا كان جيداً . وقد ذكر هذه الأبيات ابن منقذ في حديثه عن السرقات المحمودة ، يقول : "أخذه سلم الخاسر" [1]، فهو أيضاً يستخدم كلمة أخذ بدلاً عن سرق .

قال القاضي زين الدين عمر بن الوردي[2]:

لي شهوتان أحب جمعهما لو كانت الشهوات مضمونة

أعنـــاق عذالي مدققـــة ومفـــاصل الرقبـــاء مدفونـــة[3]

هذا المعنى أخذه الصفدي نفسه يقول : "وقلت أنا في هذه المادة :

بتنا وما نقلنا سوى قبـل وريق فيه سـلاف مشـروبي

نُمنا وما تمن الوشاة بنـا لولا فضول الحلي والطيـب"[4]

وهذه أيضاً من السرقات المحمودة .

وهذا وقد يكون النص المسروق أو المأخوذ منه شعراً ، وقد صاغه الذي أخذه نثراً ، وقد تعرضت لذلك في حديثي عن الحل _ حل الشعر _ وهذا كثير جداً في رسالة ابن زيدون ، لأنّ معظم معانيها محلولة من أشعار .

قال ابن زيدون :**"ورويت رمحي من كتيبة خالد"**[5]. يقول الصفدي معلقاً عليه ذاكراً أنّه أخذه من غيره ، بقوله : "يشير بذلك إلى قول أبي شجرة السلمي وهو بيت قاله في شعر له :

---

(١) البديع ، لابن منقذ : ص٢٦٥ .

(٢) عمر بن الوردي زين الدين : الإمام العلامة ، الأديب الناظم الناثر ، القاضي الشافعي . انظر : ألحان السواجع بين البادىء والمراجع : للصفدي ، تحقيق محمد عائش ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م : ج٣ ، ص٢٥ .

(٣) تمام المتون : ص٢٣٤.

(٤) المصدر السابق : ص٢٣٤ .

(٥) المصدر السابق : ص١٨٥ .

ورويت رمحي من كتيبة خالد وإنّي لأرجو بعدها أن أعمرا"[1]

وتعميماً للفائدة في هذا المعنى نذكر قول الصفدي : "وكان أبو شجرة السلمي من فتاك العرب ، أتى إلى عمر بن الخطاب بعد الردة يستحمله ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا أبو شجره السلمي ، فقال له عمر : أي عدو نفسه ، ألست القائل حين ارتددت :

ورويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجـو بعدهـــا أن أعمـــرا

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ترى البيض في حافاتيها والسنورا

ثم أنحني عليه عمر بالدِرّة ، فسعي إلى ناقته فحل عقالها ، وأقبلها حرة بني سليم ، يحث السير هرباً من الدرة ، وهو يقول :

قد ضن عنا أبو حفص بنائلـــه

وكـــل مختبـــط يومـــاً لـــه ورق

ما زال يضربني حتى خذيت لـه

وحال من دون بعض الرغبة الشفق

ثم التفت إليها وهـــي جاثيـــةٌ

مثل الطـــريدة لم ينبت لهـــــا ورق

أوردتها الخلَّ من شوران صادرة

إنّي لأزرى عليـهـــــا وهي تنطلـق

يطير مرواً خطاها عـن مناسمهـا

كمـــــا تنوقـــد عند الجهبـــذ الـورق

إذا يعارضـــــها خـرقٌ تعارضـــه

ورهاء فيهـــا إذا استعجلتهـــا خُـــرُق

---

(١) تمام المتون : ص١٨٥ .

ينوء آخرهـا منهـــا بأولـــــها

سُـــرْح اليدين بهـا نهـاضة العنـــق"[1]

فهو يؤكد سرعة هروبه من سيدنا عمر ﷺ ، وركوبه فوق ناقته التي هي أيضاً أكثر سرعة .

والأمثلة على الأخذ والسرقة من المنظوم كثيرة في الرسالة ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر . يقول دكتور شوشو : "وقد يكون نص الأخذ نثراً ، ونص المأخوذ شعراً ، وهذا كثير جداً في شرحه للرسالة" [2].

هذا ويعد الأخذ من النظم أقل عيباً من غيره ، لأنّه من السرقات الخفية اللطيفة . يقول ابن طباطبا : "وإن وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام وفي الخطب والرسائل والأمثال فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن"[3].

(١) تمام المتون : ص١٨٧ . انظر: الكامل ، للمبرد : ج١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص٢٦١ .

(٣) عيار الشعر ، لابن طباطبا : ص١٢٦ .

المبحث الثاني
الموازنات

عرفت الموازنات في الأدب العربي قديماً ، والناظر إلى ما كتبه محمد بن سلام الجمحي[1] في كتابه "طبقات فحول الشعراء" ، وابن قتيبة[2] في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء"، يجد موازنة ومفاضلة بين الشعراء ، وتوضيح خصائصهم . ولكن من أوائل الذين كتبوا كتاباً بهذا الاسم هو الآمدى في كتابة "الموازنة" الذي وازن فيه بين شعر أبي تمام والبحتري ، واعتمد فيه ذكر خصائص كل منهما ، ومنهجه ، ومدى التزامه بعمود الشعر ، وخصائص اللفظ والمعنى ، وأيهما يتجنب الألفاظ المعقدة ووحشى الكلام .

يقول الآمدى متحدثاً عن البحتري وأبي تمام : "وأنّهما لمختلفان لأنّ البحتري أعرابي الشعر مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ، ووحشى الكلام . ولأنّ أبا تمام شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ويستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقهم ، لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة"[3]. وعلى الرغم من أنّ الآمدى يتعصب للبحتري ويمدحه كثيراً ، إلا أنّ كتابه يعد من أهم الكتب التي أوضحت الجانب التطبيقي للموازنات ، وأوضحت كذلك منهجين أو طريقين ، أحدهما :

---

(١) محمد بن سلام بن عبدالله الجمحي ، أبو عبدالله البصري : كان من اهل الفضل والأدب . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٢ ، ص٢٠٥_٢٠٦ .

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد : من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص٦٤٦ .

(٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، للآمدي ، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ : ج١، ص٤_٥ .

طريق القدماء الذين يلتزمون بعمود الشعر ، والثاني : المحدثين أهل البديع وأصحاب المعاني الغامضة . يقول دكتور شوقي ضيف : "وتراه يستهل الكتاب ببيان أنّ في الشعر مذهبين متقابلين يختلفان من حيث صنعه ونقده ، أما المذهب الأول : فمذهب المطبوعين الذين لا يتكلفون في صنع الشعر بل يرسلون أنفسهم على سجيتها ويمثلهم البحتري ، وأما المذهب الثاني : فمذهب المتكلفين الذين يبعدون في معانيهم ويغمضون فيها ، حتى تحتاج إلى شرح واستنباط ويمثلهم أبو تمام"[1].

الموازنات عند الصفدي

اعتمدت موازنات الصفدي في كتابه "تمام المتون" تارة على نظرة شمولية للنص ، وتارة أخرى على نظرة جزئية . فالنظرة الشمولية تمثلت في اختياره لرسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور فهو أولاً يصدر حكماً عاماً مبدياً إعجابه بها . يقول : "وبعد فإنّ رسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور من الرسائل الطنانة ، والخمائل التي لا يذوى زهرها ، وحمائم غصونها بالتغريد رنانة ، والفضائل التي لا تزال محاسنها على من حاول معارضتها منانة ، قد أبرزها منشئها كالقمر ليلة تمامه ، وكالزهر المخبوء في أكمامه ، أتعبت من يجاريها"[2]. وهكذا يستمر الصفدي في مدحه وثنائه على الرسالة وعلى صاحبها .

وأما النظرة الجزئية فتتمثل في نقده لبعض نصوص الرسالة ، نقداً لا يخرج عن آراء النقاد السابقين له ، مثل حديثهم عن حلاوة اللفظ ، وجمال المعنى ، والصورة الحسنة[3].

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ : ص١٢٨ .

(٢) تمام المتون : ص٣ .

(٣) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص٢٨٢ .

يقول معقباً على قول ابن زيدون : **" يا مولاي وسيدي الذي ودادي له"**[1]. يقول : **"الذي ودادي له"** أتى بها فذة لا أخت لها ، ولو قال بعدها : "وسدادي" لكان قد أخى بين الكلام كما قال بعد ذلك ، **"اعتدادي به ، واعتمادي عليه"** أي : أن الإتيان بالجناس بين **"ودادي"**، و"سدادي" مطلوب ويجعل الألفاظ متجانسة متوالفة ، فهو يوازن بين الألفاظ ويشعر بقيمتها التعبيرية ، ويريدها أن تكون متناسبة مع بعضها غير متنافرة . يقول شوشو : "والصفدي في موازناته لم يهمل جانب الزيادة في المعنى بين النصين المتوازنين بشرط أن تمثل عمقاً فنياً يقصد إليه أحد الشاعرين ، أو تزيد في توضيح المراد من النص لاسيما وإن كانت راسخة في مكانها من الصياغة"[2].

ومثال ذلك موازنته بين قول أمرئ القيس :

وقد طوفت بالآفاق حتى قنعت من الغنيمة بالإياب

وقول الطغرائي:

والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكل بالقفل

نجده يفضل قول الطغرائي ويستحسنه بسبب الزيادة في المعنى يقول : "وهو أحسن من الأول لأنّه زاد فيه بقوله "بعد الكد" يعني أنّي قنعت من الغنيمة بعد ما كددت نفسي ، واتبعتها بالقفل وهو الرجوع"[3].

---

(١) تمام المتون : ص٣٠ .

(٢) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص٢٨٢ .

(٣) تمام المتون : ص٢٧٠ .

المبحث الثالث
المفاضلة بين الشعر والنثر

المفاضلة بين الشعر والنثر تناولها معظم النقاد ، فبعضهم فضل النثر على الشعر لسبب ديني ، يقول ابن الأثير : "والمنثور منها أشرف من المنظوم ، لأسباب من جملتها أنّ الإعجاز لم يتصل بالمنظوم ، وإنّما اتصل بالمنثور"[1]. وبعضهم لسبب تاريخي أو خُلقي يقول الجاحظ : "والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم"[2] . والقرآن يعد من النثر لا من النظم .

وبعضهم لسبب فني . يقول صاحب الصناعتين[3]: "وينبغي أن تتجنب إذا مدحت أو عاتبت المعاني التي يتطير منها ، ويستشنع سماعها ... وإذا دعت الضرورة إلى سوق خبر ، واختصاص كلام ، فتحتاج إلى أن تتوخى في الصدق ... وينبغي ترتيب الألفاظ ترتيباً صحيحاً ، فتقدم منها ما كان يحسن تقديمه ، ونؤخر منها ما يحسن تأخيره ، ولا نقدم منها ما يكون التأخير به أحسن ، ولا تؤخر منها ما يكون التقديم به أليق ، فمما افسد ترتيب ألفاظه قول بعضهم :

يضحك منها كل عضو لها من بهجة العيش وحس القوام
ترفل في الدر لهـــا وفــرة كوفـرة الملـط الخليع الغـــلام

كـان ينبغي أن يقـول كوفرة الغـلام الملـط الخليع ، أو الغـلام الخليع

---

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج٢، ص ٣٥٥ .

(٢) البيان والتبين ، للجاحظ : ج ١ ، ص ٧٥ .

(٣) الصناعتين ، للعسكري : ص١٦٥_١٧٠.

الملط" وقد عابه هنا لأنّه قدم الصفة على الموصوف ، وهي من القول الرديء . وكذلك التنافر وعدم الانسجام في قوله "بهجة العيش" وحسن القوام ، وعلى الرغم من أن ابن رشيق يفضل الشعر على النثر لكنّه مع ذلك يقول : "وقيل : ما تكلمت به العرب من جيد المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره ، ولعل بعض الكتاب المتنصرين للنثر الطاعنين على الشعر ، يحتجون بأنّ القرآن كلام الله تعالى منثور ، وأنّ النبي ﷺ غير شاعر ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾"[1]. وهذا ما احتج به الصفدي في فضيلة النثر ، ومنهم من له أسباب غير هذه الأسباب ، ولكن لكل منهما مزية تفضله على الآخر ، وحجة يحتج بها على سبقه .

وقد تعرض الصفدي للمفاضلة بين الشعر والنثر حينما شرح قول ابن زيدون : **"ولما توالت غرر النثر ، واتسقت درره ، فهز عِطف غُلوائه ، وجر ذيل خيلائه ، عارضه بالنظم مباهياً ؛ بل كايده مداهياً حين أشفق أن يستعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك ألطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة له"**[2].

ثم شرح الصفدي حديث ابن زيدون بقوله : "يريد بهذا الكلام أنّ النثر إذا تقدم فلا بأس للمتكلم أن يلحقه بشيء من النظم ، لأنّ النفوس ترتاح إلى ذلك ، ولأنّ البلاغة دائرة بين هذين النوعين ، وهما النظم والنثر"[3].

والصفدي يذكر آراء بعض العلماء في هذه القضية فيقول : "وقد ذهب قوم إلى أنّ النثر أشرف من النظم ، قالوا : ومن الدليل على ذلك أنّ

---

(١) العمدة ، لابن رشيق : ج١ ، ص٢٠ .

(٢) تمام المتون : ص٢٧ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٨٦ .

الكتاب والمترسلين أقل من الشعراء ، لأنّه يكون في كل زمان جماعة من الشعراء ، ولعل ذلك الزمان لا يكون فيه كاتب مفلق ، يدون كلامه ويخلد . ومن الدليل أيضاً:على شرف النثر كون القرآن غير منظوم"[1]. وباستشهاده هذا يؤكد تفضيله للنثر ، لأنّه لم يذكر الذين فضلوا الشعر . ولكنّه فضل النثر بشرط أن يكون في قمة البلاغة ، يعتمد على الذوق السليم ، وتقبله النفس ، ويكون له وقعاً طيباً على السمع . يقول الصفدي : "والنثر إن لم يكن في الذروة العليا من البلاغة لا تقبله النفوس ، وتمجه الأسماع"[2]. ويرى الصفدي أنّ الذي يجعل الشعر يمتاز على النثر هو الوزن والقافية ، ولا يرى للشعر مزية غير هذه تفضله على النثر ، يقول : "ولأنّ الشعر يروجه الوزن الذي هو ملائم للطبع"[3]. وفي نهاية المطاف نجد الصفدي يفضل النثر على النظم ، لأنّ الشعراء يوجدون في كل زمان بكثرة ، بينما نجد الكتاب نادرين وقليلين . والنثر الذي يعنيه هو النثر الفني القائم على الموهبة والخيال والعاطفة والإحساس، والمتمكن صاحبه من لغة العرب ، الملم بقواعدها وأسرارها .

وقد كان الكتاب في ذلك العصر أحد الأعمدة الرئيسة التي تعتمد عليها الدولة ، وقد ذكر ذلك الصفدي في موضع آخر من"تمام المتون" حيث يقول : "وكان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يقول : والله ما فتحت البلاد إلا بأقلام الفاضل"[4]. ويؤكد هذا القول ضياء الدين ابن الأثير عند بيانه لأهمية الكاتب ، يقول: "فإنّ كل دولة لا تقوم إلا على دعامتين ، من

---

(١) تمام المتون : ص٣٨٦ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٨٦ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٨٦ .

(٤) المصدر السابق : ص٢١٨ .

السيف والقلم ، وربما لا يفتقر الملك في ملكه إلى السيف إلا مرة أو مرتين ، وأما القلم فإنّه يفتقر إليه على الأيام"[1].

والحقيقة أنّ النثر والنظم لكل منهما مزية يتفوق بها على صاحبه ، والملوك تحتاج للشعراء حوجتها للكتاب ، فإذا احتاج الناصر صلاح الدين الأيوبي[2]. إلى القاضي الفاضل ، فقد احتاج سيف الدولة بن حمدان إلى أبي الطيب ، ولم تقم له قائمة بعد فراقه ، وفوق ذلك كله كان الشعر يقف جنباً إلى جنب مع السيف في الدفاع عن حياض الدعوة الإسلامية ، وخير شاهد على ذلك دفاع سيدنا حسان بن ثابت وسيدنا كعب بن مالك[3]. وسيدنا عبد الله بن رواحة[4]. عن الدعوة الإسلامية في أول عهدها[5].

---

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج٢ ، ص٣٥٥ .

(٢) يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان صلاح الدين أبو المظفر : السلطان العادل المؤيد المرابط المثاغر ، من أعظم ملوك الاسلام ، فتح القدس وطهر السواحل من الافرنج ، كان شافعي المذهب أشعري العقيدة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٦ ، ص٣١٧ .

(٣) كعب بن مالك الخزرجي الانصاري شاعر النبي ﷺ ابو عبد الله : شهد العقبة وكان مجودًا مطبوعاً يخوف المشركين بالحرب . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٥ ، ص٣١٤ .

(٤) عبد الله بن رواحةالانصاري الخزرجي ابو محمد : احد النقباء ، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها الا الفتح ، لانّه استشهد في يوم مؤته ، أحد الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج١٢ ، ص٨٤ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ : ج١، ص٣٢٣_٣٣٠ .

المبحث الرابع
اللفظ والمعنى

اختلف النقاد قديماً في قضية اللفظ والمعنى ، فبعضهم قدم اللفظ وآخرون قدموا المعنى ، وبعضهم اتخذ طريقاً وسطاً . فأبو هلال العسكري يقدم اللفظ حيث يقول : "ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ ، إنّ الخطب الرائعة ، والأشعار الرائقة ، ما عملت لإفهام المعاني فقط ، لأنّ الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام[1]". فهو يرى أنّ المعنى يكون مفهوماً ، سواء كانت الألفاظ جيدة أم رديئة ، ولذا يكون التنافس في رونق الألفاظ ، وجودة المطالع ، وحسن المقاطع . ونفس هذا الرأي للجاحظ الذي يرى : "أنّ المعاني كثيرة متشعبة ، ولكنّها مستورة في الصدور ، وإنّما الفضل في الدلالة عليها باللفظ الحسن"[2]. فهو يرى أنّ اللفظ هو الذي يزين المعنى ، ويجعله أحلى وأجمل .

وضياء الدين ابن الأثير من أنصار المعنى ، فهو يحب أن تأتي المعاني مبتكرة ، ذات لون بياني من تشبيه واستعارة وكناية وصورة شعرية رائعة ، ويرى أن تكون هذه المعاني مصاحبة لألفاظ سهلة مقبولة ملائمة وموافقة لها . يقول : "والنظر فيه إنّما هو إلى المعاني ، لا إلى الألفاظ ، ولست أعني بذلك أن تعمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة ، بل أعني أنّ مدار النظر في هذا النوع إنّما يختص بالمعاني ، فرب لفظ قليل دل على معنى كثير ، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ، ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة للدراهم الكثيرة ، فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدراهم

---

(١) الصناعتين ، للعسكري : ص٧٣ .

(٢) البيان والتبيين ، للجاحظ : ج١ ، ص١٥ .

لكثرتها ، ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها . ولهذا سمي النبي ﷺ الفاتحة "أم الكتاب" وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه يسيراً ، وليست من الكثرة إلى غاية تكون بها أم "البقرة" و"آل عمران" وغيرهما من السور الطوال ، فعلمنا حيئنذ أنّ ذلك لأمر يرجع إلى معانيها"[1]. فابن الأثير يفضل المعني ، ويرى أنّه الأصل في الكلام مع عدم إهمال الألفاظ. ويرى ابن رشيق أنّهما مرتبطان وكل منهما مكملاً للآخر ، يقول : "اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختلف بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه"[2].

وبعد أن يذكر أمثلة لمن يعتنون باللفظ وأخرى لمن يعتنون بالمعنى ، يتحدث عن أن معظم العلماء والنقاد يفضلوا اللفظ على المعنى . يقول : "وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى سمعت بعض الحذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى من المعاني ثمناً ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلباً ، فإنّ المعاني موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والحاذق ، ولكن العمل على جودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف"[3]. وهذا موافق لرأي الجاحظ ومخالف لابن الأثير .

ويخالفهم في الرأي عبد الرحمن بن خلدون إذ يقول : "وإنّما المختار من الشعر ما كانت ألفاظه طبقاً على معانيه ، أو أوفي ، فإن كانت المعاني كثيرة كان حشواً ، واستعمل الذهن بالغوص عليها فمنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ، ولايكون الشعر سهلاً إلا اذا كانت معانيه تسابق ألفاظه

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير : ج٢ ، ص٥٢ .

(٢) العمدة ، لابن رشيق : ج١ ، ص١٢٤ .

(٣) المقدمة ، لابن خلدون : ص٦٦٤ .

الي الذهن"[1]. فهو مع المعاني ولكن لا مع كثرتها ولا مع قلتها ، فهو مع مطابقتها . أي : أنّه يعتمد على الأسلوب المعبر عما يريده الكاتب أو الشاعر ، ولأنّ للعرب أساليبهم التي ابتكروها ليعبروا بها عمّا يريدون .

حقيقة اللفظ والمعنى عند الصفدي

نجد أنّ الصفدي يسير على ذات الطريقة التي سلكها سابقوه ، فهو يهتم بفصاحة اللفظ وسهولته وعذوبته ، وصواب المعنى وملاءمته للفظ الذي يؤديه . فمثلاً يعلق على قول ابن زيدون" **ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب**"[2]. بقوله : ومع اليوم غد ، هذا أصله من أمثال العرب ، ولكنّهم يقولون : "**إنّ مع اليوم غداً**" يضرب مثل في تنقل الحالات ، وتقلب الأيام بالدول على مرِّها وكرِّها"[3]. وهذا مثال اللفظ القليل الذي يضم معاني كثيرة ومفيدة . وقوله أيضاً : "**ولكل أجل كتاب**"، لفظ القرآن العظيم ، والأجل مدة الشيء ، ومعناه لكل شيء أجل مكتوب ، وأوقات محدودة ، أو لكل أجل أجله الله كتاب أثبته فيه ، لا يتقدم عن وقته ، ولا يتأخر"[4]. فالصفدي يرى أنّ في التقديم والتأخير في حديث ابن زيدون حصر للمعنى ، وفيه دقة ولطف وملائمة لهذا المعنى مع اللفظ .

وتعقيبه على قول ابن زيدون "**واعتمادي عليه واعتدادي به**[5]". يقول : "وقد أتى ابن زيدون في هذه الألفاظ بالترصيع ، وهو من أنواع البديع ، لأنّه قال : "**الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي به**" ، فأتى بالدال وبعدها الياء ، وهي ضمير المتكلم وعدَّى كل واحد بحرف جر : له ،

---

(١) تمام المتون : ص١٢٧.

(٢) المصدر السابق : ص٨٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٨٢ .

(٤) المصدر السابق : ص٨٣ .

(٥) المصدر السابق : ص٣٦ .

وعليه ، وبه ، وهذا نوع من المبالغة يدل على قوة العارضة ، وسعة العبارة"[1]. فالصفدي بعد أن شرح العبارة ، ووضح ما تحمله من معنى يقول : أي : عدتي التي ادخرتها ليوم حاجتى[2]. تكلم عن الألفاظ العذبة التي أتت مطابقة لهذه المعاني ، وملائمة لها .

(١) تمام المتون : ص٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٧ .

المبحث الخامس

نقد الصفدي لبعض نصوص ابن زيدون

خصص الصفدي فصلا وجه فيه نقداً لبعض نصوص ابن زيدون . وقدم لهذا النقد بالثناء على ابن زيدون ، ومدحه باعتباره من فرسان البيان وأساطين البلاغة . بقوله : " فيما ظهر لي من الانتقاد على ابن زيدون رحمه الله تعالى ، وإن كان من الفضل بالمحل الأعلى ، ومن الأدب بالنور الأجلى ، فإنّه لابد من الكبوة للجواد ، والهفوة لمن عرض عقله على السواد ، فالعصمة لا تشترط إلا للمرسل ، ومن عرض نحره للعوالى فلابد أن يبسل ، وفوق كل ذي علم عليم"[1].

فهو على الرغم من إعجابه بابن زيدون ومكانته العلمية إلا أنّه ينتقد بعض عبارات رسالته ، ويقول هذه الأخطاء لا أحد معصوم منها إلا المرسلين ، ثم يواصل بعد ذلك نقده ، وسنذكر في هذا المبحث بعض آرائه النقدية التي أوردها في شرحه ، ولم يجعلها في فصل منفرد ، وبعدها تلك التي أوردها جملة في فصل مستقل ، في خاتمة الكتاب .

١) قال ابن زيدون : **"يا مولاي وسيدي الذي ودادي له"**[2].

أكد الصفدي صحة كلام ابن زيدون في تقديمه المولى على السيد ، وانتقد القضاة وكتاب الحكم ، الذي يقدمون السيد على المولى ، يقول : "وقد غلب على كتاب الحكم عن القضاة أن يقولوا : سيدنا ومولانا قاضي القضاة ، فيما يكتبونه من السجلات وغيرها ، والصواب في تقديم مولانا على سيدنا"[3]. ثم يذكر الأسباب يقول : "الأول : أنّ كتاب الإنشاء هم

---

(١) تمام المتون : ص٣٩٩ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ص٣١ .

الأصل في هذه الصناعة وأول ما يقولون المولوي الأميري ويأتون بالسيد بالأخر"[1]. ويستشهد بقول الخنساء:

وإن صخراً لمولانا وسيدنا وإن صخر إذا نشتوا لنحار[2]

ويرى الصفدي أنّ البلاغة أن يذكر العام أولاً ثم يذكر الخاص، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٩٨] ، وكلام الصفدي صحيح لأنّ هذا أحد طرق الإطناب عند البلاغيين ، وهو ذكر الخاص بعد العام فقد خص الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة سيدنا جبريل وسيدنا ميكال بالذكر ، مع أنّهما داخلان في عموم الملائكة تكريماً لهما ، وتعظيماً لشأنهما كأنّهما من جنس آخر . قال السيوطي :

وذكر خاص بعد ذي عموم منبهاً بفضله العلوم

كعطف جبريل وميكال علا ملائك قلت وعكسه جلا[3]

يقول الصفدي : " فالمولى أعم من السيد ، لأنّ المولى يطلق على معانٍ كما تقدم ، والبلاغة أن تقول : يا صاحبي ، يا أخي ، يا حبيبي ، لأنّ الأصحاب كثيرة ، والأخوة أقل منهم ، والحبيب لا يكون إلا واحداً"[4].

٢) قال ابن زيدون : **" الذي ودادي له"** يقول الصفدي : "أتى بهذه فذة لا أخت لها ، ولو قال بعدها : "وسدادي" لكان قد أخي بين الكلام كما قال بعد ذلك : **"واعتدادي به واعتمادي عليه"**[5]. فالصفدي يطالب ابن زيدون

---

(١) تمام المتون : ص٣٢ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٢ .

(٣) شرح عقود الجمان ، للسيوطي : ص٧٢ .

(٤) تمام المتون : ص٣٢ .

(٥) المصدر السابق : ص٣٩٩ .

بالإتيان بلفظة **"سدادي"** حتى تكون اللفظتان متناسقتان متوالفتان مع بعضهما ، ويرى الصواب في العبارة الثانية : **"واعتدادي به ، واعتمادي عليه"** لما فيها من التآخي والتناسب ، وهذا ما يسمي بالانسجام بين الألفاظ والتآلف وعدم التنافر . يقول ابن أبي الأصبع : " أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم"[1]. ويقول الصفدي متحدثاً عن قصيدة الطغرائي : "وتراكيب كلماتها منسجمة عذبة ، غير قلقة ولا نافرة"[2].

فاللفظتان متآلفتان . وسدادي أي : توفيقي ، فهو يرى أنّه له مودة مع ابن جهور ، وبه سداده وتوفيقه . فقد توجد ألفاظ أخرى ، ولكن هذه أنسب وأليق . يقول ابن حجة الحموي : " ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو أن يكون في الكلام معنًى يصح معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها لفظة ، بينها وبين بعض الكلام ائتلاف"[3]. وعلى هذا الطريق اختار الصفدي كلمة **"وسدادي"**.

٣) قال ابن زيدون : **"وأنفع الحيا ما وافق جدبا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً"**[4].

يقول الصفدي: " كان يحسن به ويليق بهذا الموضع لو أنشد:

لولا اطراد الصيد لم تك لذة فَتَطاردي لي بالوصال قليلاً"[5]

فالصفدي يرى أنّ اللذة في مطاردة الخيل ، ولذا يطلب منها أن تطارده ، ولكن بالوصال حتى يكون للوصال لذة . وهذا مثل يرسل ويراد به طلب

---

(١) تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ص٢٤٩ .

(٢) الغيث المسجم ، للصفدي : ج١ ، ص٢٧ .

(٣) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٤ ، ص ٣٣٩ .

(٤) تمام المتون : ص٨٠ .

(٥) المصدر السابق : ص٣٩٩ .

القرب . والحسن من أوصاف محاسن الكلام ، وعند الصفدي هو إظهار جمال الكلام حتى يكون عذباً في النفس ، وحلواً في القلب .

وابن زيدون يطلب من ابن جهور أن يعفو عنه ، لأنّه في أشد الحاجة للعفو والصفح ، فأفضل العفو ما كان بعد ذنب ، ويضرب لذلك مثلاً أنّ أفضل المطر ما كان بعد جدب ومحل ، وأحلى الشراب ما كان بعد عطش . والصفدي يرى إنشاد البيت أعلاه أفضل من قول ابن زيدون السابق .

وأرى أنّ ما قاله ابن زيدون أنسب وأليق ، والصفدي نفسه في موضع آخر من الكتاب يؤكد ذلك بقوله : "وهذا من أحسن الاعتذار للمخاطب في إهماله الجواب ، وتركة الإجابة إلى قصده"[1]. ثم يشرح قول ابن زيدون مؤكداً صحة كلامه بقوله : " أنفع المطر ما صادف محلاً ، وألذ الشراب ما صادف حرارة العطش ، ولا شك أن المطر للأرض الممحلة أنفع وأوفق لها من الأرض المخصبة ، وكذلك لذة الماء عند الظمآن أشد وقعاً مما يكون عد الريّ"[2].

٤) قال ابن زيدون : " **ولا أخلو من أكون بريئاً فأين عدلك ، أو مسيئاً فأين فضلك**"[3].

يقول الصفدي : " كان يحسن بهذا الموضع ويليق به لو قال بعد ذلك :

هبيني ظلوماً نلته بمساءةٍ
قصاصاً فأين الأخذ يا عزُّ بالفضل"[4]

---

(١) تمام المتون : ص٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ص٨١ .

(٣) المصدر السابق : ص٩٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .

ما قاله الصفدي وابن زيدون معناهما واحد أي : أنّه إما أن يكون محسناً فيجب العدل ، وإما أن يكون مسيئاً فيطلب الرحمة والعفو . و كلام الصفدي صحيح لأنّ في البيت إيجاز ، والإيجاز هو البلاغة .

ويرى الصفدي أنّ ابن زيدون أخذ المعاني التي ذكرها من هذا البيت بعد ما حلَّه . يقول : "ومن هذا البيت أخذ ابن زيدون ، وإياه حل"[1] وكلاهما بليغ . وهو ما يسميه البلاغيون بالتقسيم . وقد ذكر ذلك الصفدي في شرحه لقول ابن زيدون السابق ، وذكرت ذلك في شرحي للتقسيم وهو استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى . والصفدي حينما أراد إتباع هذا البيت لقول ابن زيدون قصد أن يكون الكلام حسناً جامعاً لمزايا الجمال . يقول دكتور محمد علي سلطاني متحدثاً عن الصفدي : "لم يكتف بلمس مواطن الحسن في هذه الأبيات ، بل ذهب بعيداً وهو الناقد الفني في إغناء نفوسنا ، وتوسيع أفق تذوقنا عن طريق المقارنة ، فإيراده لأقوال الشعراء لم تكن للإشارة إلى أن الشاعر سرق المعنى من ذاك ، وإنّما يدفعه إلى هذا إمتاع تذوقه بالنظر إلى المعنى أو الشعور"[2].

٥) قال ابن زيدون : **" حنانيك قد بلغ السيل الزبى"**[3].

يقول الصفدي : " كان يحسن بهذا الموضع ويليق به أن لو زاده : "وجاوز الحزام الطبيين" ، الطبي : لذوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها ، وهكذا كتب عثمان بن عفان إلى على بن أبي طالب وهو محصور في الدار : "أما بعد فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين"[4].

---

(١) تمام المتون : ص١٠١ .

(٢) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص١٢٤ .

(٣) تمام المتون : ص٣٩٩ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٩٩ .

ما ذكره ابن زيدون مثل يضرب للأمر إذا جاوز الحد ، فهو في محنته في السجن يرى أنّه بلغ من الضنك مبلغاً عظيماً ، فالسيل إذا بلغ تلك الحفـرة التي يصاد فيها الأسد كان سيلاً جارفاً بلغ الحد . والصفدي يوافقه على المثل ولكن يطلب منه أن يردفه بالمثل الآخر "وجاوز الحزام الطُبْيين"[1]. وهو مثل يضرب للأمر إذا جاوز الحد . وأرى أن ما قاله الصفدي أبلـغ ، لأنّ هـذا ممـا استشهد به سيدنا عثمان ﷺ يوم الدار ، وهو من شيوخ قريش ، وهـم أهـل الفصاحة والبلاغة ، والقبائل العربية تحتكم إلى لغتها ، وفوق ذلك هـو مـن أهـل القـرآن الكـريم حفظـاً ، ودرايـة ، وفهمـاً ، وتـدبراً ، وجمعـاً وكفـى . والصفدي مولع بإيراد المعاني المترادفة ، وذلـك لثقافتـه الواسـعة ، ومعرفتـه العميقة بلغة العرب وتاريخها .

وإيراد هذين المثلين مع بعضهما يؤديان معنى واحداً أجمـل وأفضـل . وقول ابن زيدون : **" وقد بلغ السيل الزبى"** مناسب ومؤتلف مع مـا ذكـره الصفدي : " وجاوز الحزام الطبيين" وكلاهما مثل يضـرب للأمـر إذا عظـم واشتد ، وفات حـده ، وهـذا مـا يسـمي بمراعـاة الـنظير . يقـول ابـن حجـة الحموي : هـذا النـوع أعـني مراعـاة الـنظير : يسـمى التناسـب والائـتلاف والتوفيق والموافاة"[2].

٦) قال ابن زيدون: **" وتأولت في بيعه العقبة"**[3].

يقول الصفدي : "لم ينقل أحد من علماء السـير أنّ أحـداً ممـن بـايع رسول الله ﷺ في العقبة الأولى ، ولا الثانية ولا الثالثة من الأنصار ﷺ نكـث بيعته أو تأول فيها ، فإيراد هذه القرينة مع ما تقدمها مـن الوقـائع المشـهورة

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص ١٤٤٣ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج١ ، ص ١٦٦.

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص٣٣٥ .

(٣) تمام المتون : ص١٤١ .

غير لائق"[1]. والخطأ الذي انتقده الصفدي خطأ يتعلق بالتاريخ الإسلامي ، والسيرة العطرة لأنّ بيعات العقبة الأولى والثانية ليس فيها تأويل ، ولا الثالثة كذلك ، وهذا يدل على تمسكه بدينه ، وحبه لأصحاب النبي ﷺ ، وحرصه على عدم المساس بهم . وقد ذكر في شرحه لحديث ابن زيدون البيعات الثلاث كما وردت في السيرة ، ولكي يؤكد صحة حديثه يقول : "فهذه بيعات العقبات الثلاث ، حد ثني بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري مختصراً من سيرته" [2]. فالصفدي يتبرأ من قول ابن زيدون ويؤكد صحة قوله . يقول : "وأما أنا فلم أقف مما علمته أنّ أحداً من أهل العلم بالسير تأول في بيعة من البيعات ، أو صدر منه بعد المبايعة فصل يخالف قوله ، ولم أعلم لقول ابن زيدون وجهاً فيما ذكره مع هذه الوقائع التي سردها وأشار إليها"[3]. ومن يرجع إلى كتب السيرة يجد أن ما قاله الصفدي صواباً [4]. أنّ ابن زيدون رحمه الله أخطأ في هذا القول ، وربما قصد مشهداً غيره والتبس عليه الأمر .

٧) قال ابن زيدون : " **وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة**"[5].

يرى ابن زيدون أنّه لم يرتكب ذنباً عظيماً ، ويذكر مثالاً لهذا الذنب : "**وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة**" فهو يعد أنّ التخلف عن الصلاة ذنب ، ولكن الصفدي يرى أنّ الذين تخلفوا عن الصلاة في بني قريظة لم يعبهم النبي ﷺ ، ولم يعتب على احد منهم ، ولم يرد هذا القول في

---

(١) تمام المتون : ص٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق : ص١٤٣ .

(٣) المصدر السابق : ص٤٣ .

(٤) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص ٥٤٦_٥٥٧ .

(٥) تمام المتون : ص١٤٦ .

كتب السيرة . يقول : "فإنّ هـذا وإن كـان وقـع فيهـا جماعـة مـن الصـحابة رضوان الله عليهم ، فإنّ رسول الله ﷺ ، لم ينقل أحد من أربـاب السـير فيمـا علمته أنّه عاب على أحد ممن تخلف عن الصلاة في بني قريظة تـأخيره ، فـإنّ فيهم من صلى العصر في وقتها في بني قريظة ، ومنهم من تأخر عنها" [(١)].

ويقول في موضع آخر : " وتلاحق الناس برسول الله ﷺ ، فأتى رجـال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقـول رسـول الله ﷺ : " لا يصـلينَّ احد العصر إلا في بني قريظة" فصلوا العصر بها من بعـد العشـاء الآخـرة ، فما عابهم الله بذلك ، ولا عنفهم رسول الله ﷺ"[(٢)]. ونقد الصفدي هنا نقـد يختص بالجانب التاريخي ودقة المعلومات وصـحتها ، ويغضـب لـذلك لأنّهـا متعلقة بالتاريخ الإسلامي وهو من المؤرخين ومن المتفقهين في الـدين . قـال ابن كثير : "عن ابـن عمـر قـال : قـال رسـول الله ﷺ يـوم الأحـزاب : " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة" فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم : لا نصلى العصر حتى نأتيها . وقال بعضهم : بل نصلى لم يرد منـا ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم"[(٣)].

والتأويل الذي ذكره ابن زيـدون في بيعـة العقبـة لـو ذكـره في صـلاة العصر يوم بني قريظة لكان أفضل وأجمل .

٨) قال ابن زيدون : " **وزعمت أنّ إمارة أبي بكر فلتة**"[(٤)].

كلام ابن زيدون السابق ورد في حديث طويل منسوب لسـيدنا عمـر ﷺ ومنه قوله".... وقد بلغني أنّ قائلاً يقول : " كانت بيعـة أبـي بكـر فلتـة

---

(١) تمام المتون : ص٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق : ص١٦٥ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص٧٣٧ .

(٤) تمام المتون : ص١٧٨ .

وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبـي بكـر ، وأنّـه كـان خيرنـا" [1].
والقصة طويلة تتحدث عما حدث يوم السقيفة . ويرد الصـفدي علـى ابـن زيدون بقوله :" فإن مثل هذه العبارة لا تورد في الجنايات ولا الخطايا ، لاسيما وهي من قول عمر بن الخطاب ﷺ علـى مـا تقـدم بيانـه"[2]. فـابن زيـدون أوردها باعتبارها إحدى الجنايات ، وأنّه لم يرتكبهـا ولم يزعمهـا . والصـفدي يرى أنّ مثل هذه العبارة يجب أن لا ترد في هذا الباب باب الجنايات والخطـأ ، لأنّها من قول سيدنا عمر ﷺ وخلافـة سـيدنا أبـي بكـر ﷺ كانـت جامعـة لشمل المسلمين بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ، ولم يكن بعد رسـول الله ﷺ من هو أفضل منه ﷺ . ويذكر الصفدي أدلة على صحة خلافته منها :

أ) وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ... الآية ﴾[الفتح: ١٦] . فكان هو الـذي دعا الأعراب إلى جهاد بني حنيفة ، وكانوا أولى بأس شديد ، ولم يقاتلوا لجزية وإنّما قوتلوا ليسلموا ، وكان قتالهم بأمر سيدنا أبوبكر ﷺ وفي سـلطانه . و قولـه تعـالى : ﴿ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[الفـتح: ١٦] . أوجـب علـيهم الطاعة لسيدنا أبي بكر ﷺ ، وكان ذلك في الآية كالنص على خلافته .

ب) وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة: ١١٩] . وقد بين في سورة الحشر مـن الصـادقون ؟ فـأمر الـذين تبـوءوا الـدار والإيمان أن يكونوا معهم تبعـاً لهـم ، فحصـلت الخلافـة في الصـادقين بهـذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولكن ليس في الصادقين من سماه الله تعـالى الصديق إلا أبوبكر ﷺ وكانت له خاصة ثـم للصـادقين مـن بعـده . وفيهـا أيضاً : رد على الروافض الذين ينكرون خلافته ، إذ أنّ سيدنا علـي كـرم الله

---

(١) تمام المتون : ص١٧٩ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٠٠ .

وجهه تزوج بالحنفية أم ولده محمد ، من سبايا عسكر سيدنا أبي بكر من بني حنيفة ، فلو لم يعتقد صحة خلافته لم يتزوج من سبيه[١]. قال ابن كثير : "وقد اتفق الصحابة ﷺ على بيعة الصديق في ذلك الوقت"[٢].

٩) قال ابن زيدون : **"وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جعجع بالحسين"**[٣].

ونقد الصفدي هنا أيضاً يتعلق بالتاريخ ، فهو يرى أن عبيد الله بن زياد[٤]، لم يكتب إلى عمر بن سعد[٥]، وإنّما كتب إلى الحر بن يزيد التميمي[٦]. يقول الصفدي : " وعبيد الله بن زياد إنّما كتب بذلك إلى الحر بن يزيد التميمي ، وكان قد أرسله في ألف فارس"[٧]. وكلام الصفدي صحيح ويؤكده قول ابن الجوزي[٨] في حديث طويل منه : "وذلك أنّه أقبل حتى نزل شراف ، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم الخيل ، فنزل الحسين ﷺ ، وأمر بأبنيته فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي _ وكان صاحب شرطة ابن زياد _ حتى وقفوا مقابل الحسين عليه السلام في حرْ الظهيرة، فأمر الحسين رجلاً فأذن ، ثم خرج فقال : أيها الناس إنّها معذرة إلى الله وإليكم ، إنّي لم آتكم حتى قدمت علي رسلكم ، وأتتني

---

(١) تمام المتون : ص١٨١_١٨٢ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص١٣٠٥ .

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص١٣٠٥ .

(٣) تمام المتون : ص٣٠٢ .

(٤) عبيد الله بن زياد بن أبيه ، والي ، جبار خطيب ، كانت الفاجعة بمقتل الحسين ﷺ في أيامه وعلى يده . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص١٩٣ .

(٥) عمر بن سعد بن أبي وقاص ، الزهري المدني ، أمير من القادة الشجعان ، قتله المختار الثقفي حينما خرج يتتبع قتلة الإمام الحسين . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٥ ، ص٤٧ .

(٦) الحر بن يزيد التميمي اليربوعي ، قائد من أشراف تميم ، أُرسل لقتال الحسين فانقلب على الأمويين وقاتل مع الحسين وقتل بين يديه . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص١٧٢ .

(٧) تمام المتون : ص٤٠١ .

(٨) المصدر السابق : ص٤٠١ .

كتبكم أن أقدم علينا ، فليس لنا إمام ، فإن كنتم كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه ، فسكتوا عنه ، وقالوا للمؤذن : أقم الصلاة ، فأقام الصلاة ، وصلى الحسين ، وصلى الحر معه ، ثم تراجعوا ، فجاءت العصر ، فخرج يصلي بهم ، وقال : أتتني كتبكم ورسلكم ، فقال الحر : ما ندري ما هذه الكتب والرسل . فقال : يا عقبة بن سمعان ، أخرج إليّ الخرجَيْن . فأخرجهما مملؤين صحفاً فنشرها بين أيديهم ، فقال الحر : إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمِرنا أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين : الموت أدنى إليك ، من ذلك . وقام فركب ، وركب أصحابه ، وقال: انصرفوا بنا. فحالوا بينه وبين الانصراف، فقال للحر : ثكلتك أمك ، ما تريد ؟ قال : إنّي لم أومر بقتالك ، إنّما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ، ولا تردك المدينة ، حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنت إلى يزيد ، أو إلى ابن زياد لعل الله أن يرزقني العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك، فتباشر الحسين ، والحر يسايره ، ثم جاءه كتاب عبيد الله بن زياد أن جعجع بالحسين حتى يبلغك كتابي"[1].

١٠) قال ابن زيدون : **"فكيف ولا ذنب لي إلا نميمة أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق"**[2].

يرى ابن زيدون أنّ ما حل به من عذاب وإبعاد وذل وغضب من ابن جهور لا يليق به ، لأنّه لم يرتكب ذنباً ، وكل ما حدث كان عبارة عن نميمة

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م : ج ٢ ، ص٣٣٥ وما بعدها . انظر : تمام المتون : ص٢٠٣_٢٠٤ .

(٢) تمام المتون : ص٢٢٢ .

أتى بها حاسد . يقول الصفدي : "كان يليق بهذا الموطن أن يزيد فيه : "وفرية اختلقها حاسد" ليحسن بعد ذلك قوله : **"وهم الهمازون المشاءون بنميم"**[1]. والصفدي يري في ذكر " الفرية" إكمالاً للمعنى وإتماماً للفائدة ، حتى تتناسب مع قول ابن زيدون بعد ذلك **"الهمازون المشاءون بنميم"** ، لأنّ النميمة والوشاية والأخبار الكاذبة كلها تأتي في سياق واحد . قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾[القلم: ١٠_١١] . فالهماز : الذي يغتاب الناس ويأكل لحومهم بالطعن عليهم ، والنمام : الذي ينقل الكلام السيئ ، ويسعى بين الناس بنقل النميمة حتى يفسد ما بينهم. قال سيد قطب[2]: "ثم يبرز قيمة العنصر الأخلاقي مرة أخري في نهي الرسول ﷺ عن إطاعة أحد هؤلاء المكذبين بالذات ، ويصفه بصفاته المزرية المنفرة ، ويتوعده بالإذلال والإهانة "[3] .

١١) قال ابن زيدون : **"وما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم"**.

والذي يقول بعده :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب"[4]

يقول الصفدي : " ليس هذا البيت بعد هذه السجعات بمتمكن في إيراده ، ولا ثابت في وصفه ، وكان الأليق بهذه السجعات لو أورد قول أبي الطيب :

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنّه ... محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

---

(١) تمام المتون : ص٤٠١ .

(٢) سيد قطب إبراهيم ، مفكر إسلامي مصري ، من جماعة الإخوان المسلمين . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ١٤٧ .

(٣) تفسير الظلال ، لسيد قطب : ج٦ ، ص٣٦٦١ .

(٤) تمام المتون : ص٤٠١ .

لكان حسناً وافياً بالمقصود" [1]. فالصفدي ينقده من ناحية الحسن ، ولكن كلا البيتين يوضح أنّه تاب توبة يجب بعدها أن يعفى ويصفح عنه .

والصفدي يعجبه الكلام المتناسق البليغ ، لذا يُعجب بقول الأحنف بن قيس[2]: "ما أقول في قوم الصدق محمود إلا منهم" فهذا قول في غاية البلاغة ، الجامعة لضروب من المعاني ، لأنّ هذا غاية في الذم للسعاة لأنّهم يذمون بما يحمد به الناس" [3]. ولكن بيت أبي الطيب يمثل حال ابن زيدون أنّه جاء تائباً ، فمهما بلغ ذنبه من العظم ، فإنّ مجيء الإنسان تائباً يمحو عنه تلك الذنوب .

١٢) قال ابن زيدون: **" والله ما غششتك بعد النصجية ... إلى قوله وعهد أخذه حسن الظن عليك"**[4].

ويرى الصفدي أنّ ابن زيدون أحسن لو أورد بعد هذه الجمل المعطوفة على الجملة التي أقسم عليها قول الشاعر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب[5]

وكلام ابن زيدون كله هو : **" والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك ، مع ضمان تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك"**[6].

---

(١) تمام المتون : ص٤٠١ .

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي ، أبو بحر : سيد تميم ، وأحد العظماء الدهاة ، الفصحاء الشجعان ، يضرب به المثل في الحلم . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص٣٣٣ .

(٣) تمام المتون : ص٢٣١ .

(٤) المصدر السابق : ص٢٤٢ .

(٥) المصدر السابق : ص٢٤٠ .

(٦) المصدر السابق : ص٢٤ .

فالصفدي حينما رأي الإتيان ببيت للمتنبي السابق بعد قول ابن زيدون : **" وما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم"** بدل بيت النابغة ، والإتيان ببيت النابغة بعد هذه الجمل المعطوفة إنّما أراد الاستحسان ، فهو يستحسن ويستظرف ما في البيت من حسن ورشاقة وعذوبة ، حتى يكون الكلام جيداً في غاية الحسن ، لا تناقض في معانيه ولا تكلف . فالصفدي يقترح ألفاظاً تكون أكثر مناسبة ، وعبارات تكون أليق ، حتى يخرج الكلام في ثوب قشيب . وبيت النابغة أورده ابن زيدون قبل هذه الجمل ، ليقنع ابن جهور أنّه ما زال مخلصاً ووفياً له ، ولكن الصفدي يرى أنّ البيت أفضل أن يكون بعدها لا قبلها . وحديث الصفدي صحيح ، لأنّ بعد إنكاره لكل التهم التي نفاها عنه ، والتي بدأها بالقسم يحسن أن يختمها بهذا البيت حتى يكون أنفي للشك .

١٣) قال ابن زيدون : **"فعم عبث الجفاء بأذمتي"**[١].

ويرى الصفدي أنّ الصحيح أن يقول : " ففيم" أو "علام" وقد أوردها في شرحه "ففيم" يقول الصفدي " كذا وجدته بخط الشيخ الأديب الكامل عليّ بن ظافر _ رحمه الله تعالى _ في اختصاره نفائس الذخيرة . والظاهر أن ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ إنّما قال : "ففيم" أو "علام"[٢]. فالصفدي يجد له العذر ، على الرغم من أنّه متأكد من المصدر الذي أخذ منه الرسالة ، وربما يكون هذا خطأ في النسخ .

١٤) قال ابن زيدون : **" ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس ، وتدركني ولما أمزق ، أم كيف لا تتضرم جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك"**[٣].

---

(١) تمام المتون : ص ٢٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٠٣ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٧٥ .

نقده الصفدي نقداً لغوياً يختص بالنحو _وقد تعرضت لاهتمامه بالجانب اللُغوي _ يقول : "وما لدخول هذه الجمل المصدرة بأم مناسبة على هذه الجمل المصدرة بحرف الاستفهام ، لأنّه لا يجوز أن تقول : مالك لم تقم ولم تركب أم كيف لا تكون قاعداً ؟ وهذه "أم" وإنّما يعطف بها على الاستفهام بالهمزة . فتقول : أقمت أم قعدت"[1]. ومع ذلك يلتمس العذر لابن زيدون ويرى أنّ هذا ربما كان خطأ في النسخ ، وابن زيدون ربما قال غير ذلك . يقول الصفدي : " والظاهر أنّ ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ قال : "وكيف لا والله أعلم"[2]. وبهذا يكون المعنى صحيحاً بلاغياً ونحوياً . يقول شوشو : "وكما أنّه وقف في نقده اللغوي للألفاظ عند الأخطاء في الاستخدام واقترح ألفاظاً تكون أكثر مناسبة ، وصحة للسياق ، كذلك كان يقف على الخطأ في بعض معاني الأدوات التي هي من باب معاني النحو ، خشية أن يقع فيه منشئ الأدب ، أو ناقله فيسعى إلى تصحيحه ، من ذلك ما أخذه على ابن زيدون في قوله : " **ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس**"[3]. وبعد "أم" وما قبلها في عبارات ابن زيدون التي أوردها ، وهذا صحيح من جهة أن "أم" التي توسطت بين قوله : " **ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس**" وبين قوله : " **كيف لا تتضرم جوانح الأكفاء**" هي أم المتصلة ، والذي يؤيد هذا المعنى ويؤكده ، قوله الصفدي : "وهذه "أم" إنّما يعطف بها على الاستفهام ، فتقول: أقمت أم قعدت"[4]. ويرى شوشو أنّ "أم" التي وردت في حديث ابن زيدون هي "أم" المنقطعة ويستشهد بأراء النحويين . يقول :

---

(١) تمام المتون : ص٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ص٤٠٢ .

(٣) النقد التطبيقي ، لشوشو : ص١٧١ .

(٤) تمام المتون : ص٤٠٢ .

"إلا أنّ "أم" التي جاءت في هذا الموضع من رسالة ابن زيدون هي "أم" المنقطعة التي ذكرها السبكي في قوله : "وكذلك لو كانت الجملتان لشخصين ، وبذلك صرح أبو حيان ، وأنشد بدر الدين بن مالك رحمه الله"[1]. وبذا الرأي يكون ما أخذه الصفدي على ابن زيدون غير صحيح ، بمعني أنّ "أم" التي وردت في الرسالة أضربت عن كلام قبلها ، وانقطعت عنه ، واستأنفت كلاماً جديداً .

١٤) قال ابن زيدون : " **عارف بأنّ الأدب الوطن لا يخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زياله**"[2].

فالصفدي يرى أنّ هذا الحديث غير مستقيم في المعنى ، وعلى غير العادة ، لأنّ كل إنسان يخشى أن يفارق وطنه الذي ولد فيه . يقول : " وهو غير مستقيم ولا متفق لأنّ كل أحد يخشى فراق وطنه"[3].

والصفدي يرى أنّ في هذه العبارة خطأ في النسخ أيضاً ، بدليل أنّ الجمل التي بعدها تؤكد حب الوطن وحنين العاقل إليه . يقول : "والظاهر أن ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ . قال : "عارف أن الوطن يجتنب فراقه ، والخليط يخشى زياله وإنّما صحف "يجتنب" بـ"يخشى" وزادها "لا" لأنّه قال فيما بعد " **غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ معروف ، واللبيب يحن إلى وطنه**"[4]. فالصفدي يرى أنّ في حديث ابن زيدون تناقض لأنّه وَضَّح أنّ الأدب ألا يهاب الإنسان فراق وطنه . ثم جاء فنقض ذلك بقوله : "**غير أن الوطن محبوب**" . يقول الصفدي : "أخذ الآن في نقض ما قرر من أنّه

---

(١) النقد التطبيقي ، لشوشو : ١٧٢ . انظر : دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص١١٥ .

(٢) تمام المتون : ص٣٢١_٤٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٤٠٢ .

(٤) المصدر السابق : ص٤٠٢ .

الأدب ، ألا يخشى من فراق الوطن ، وما عطف عليه من تلك الجمل ، فقال : غير أنّ الوطن محبوب ، لما طبعت النفس عليه ، وقد جاء في الحديث "حب الوطن من الإيمان"[1]. ولا أرى في ذلك تناقض لأنّ ابن زيدون قد ظُلم وهضمت حقوقه في بلده التي نشأ فيها ، من أقرب الناس إليه ، والذين عبر عنهم بقوله : **" ما أنا إلا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به إكليله"** . ومن يجد مثل هذه الآلام والمصاعب لا يخشى فراق وطنه ، وقد يهاجر إلى بلد آخر . نعم إنّه قد لا ينسى بلده ولكنّه يفارقه ، ولذلك استدرك بعد ذلك وقال : **"غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف"** ومن العرب من يقول :

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران[2]

ولكن هذا نادر ، والأكثر هو تعلق الناس بأوطانهم ، وهذا كثير في أشعارهم يقول ابن الرومي :

ولي وطن آليت ألا أبيعه وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قوم أصحبوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا[3]

وقد أورد الصفدي أبياتاً كثيرة تتناول هذا المعنى .

١٥) قال ابن زيدون : **"والكريم لا يجفو أرضا بها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيها مراضعه"**[4].

---

(١) تمام المتون : ص ٣٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٢٩ .

(٤) المصدر السابق : ص٣٣٢ .

يرى الصفدي أنّه من الأفضل أن يضيف ابن زيدون إلى الجملتين السابقتين جملة : " ولا يرفض معهداً قضى الشباب فيها مآربه"[1]. فإذا نظرنا إلى كلام الصفدي من جانب السجع وتوافق الفواصل فهو صحيح . أما من ناحية المعنى الموافق للفظ الملائم له ، فما أورده ابن زيدون أصح ، لأنّه قال بعد هاتين الجملتين : **"قال الأول** :

أحب بلاد الله ما بين منعج إليّ وسلمي أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها"[2]

فقد أورد ابن زيدون القوابل ، لأنّهن يستقبلن المولود قبل إرضاعه ، ثم أردفها بالرضاعة ، لأنّها تكون بعدها مباشرة ، وأخيراً جاء دور الأرض التي يتربى فيها ، والترتيب جاء مناسباً .

١٦) قال ابن زيدون : **" إنّ الطمع في غيرك طبع ، والغنى ممن سواك عناء"**[3].

ونقد الصفدي هنا نفس النقد السابق ، فهو يرى إتماماً للفائدة وإكمالاً للمعني لو أضاف إليها : "والطمأنينة إلى غيرك غرور ، والثقة بخلافك خذلان" يقول : "لكان فيه زيادة وحسن"[4]. بعد أن أكد أنّ الطمع في غير ابن جهور دنس ، والغني دونه عناء وتعب ، أراد الصفدي منه أن يردف ذلك بقول أنّ الأمن والطمأنينة معك ، ومن يثق في غيره يخذل ولا ينصر" [5]. أي : أنّ القناعة والغنى والأمن والثقة بالنصر كلها مع ابن جهور ، ومن فارقه لا يجد مكسباً ولا غنًى ، ولا أمناً ولا ثقة سواه .

---

(١) تمام المتون : ص٤٠٣ .

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٢ .

(٣) المصدر السابق : ص٣٣٥ .

(٤) المصدر السابق : ص٤٠٣ .

(٥) المصدر السابق : ص٤٠٣ .

الخاتمة

- النتائج .
- التوصيات .

الخاتمة

الحمد لله بمجامع محامده التي لا يبلغ منتهاها ، والشكر له على آلائه وإنّ لم يكن أحدٌ أحصاها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة محققٍ أصولها محيطٍ بمعناها ، وأشهد أنّ محمداً رسولٌ حلّ من ربا النبوة أعلاها فعلاها ، وحَمَل من أعباء الرسالة إدّها ، فاضطلع بها وأداها ، فجلا الله به عن البصائر رينها ، وعن الأبصار عَشاها . صلى الله عليه من الصلوات أفضلها وأزكاها ، وأبلغه عنا من التحيات أكملها وأولاها ، ورضي الله عن عِترته وأزواجه وصحابته وأمته ما سَفَرَت شمس عن ضحاها .

وأحمده أن وفقني حتى اكملت هذا البحث بعد جهدٍ وعناء طويل .

وبعد .

جاء هذا البحث بعنوان : (القضايا البلاغية والنقدية في كتاب تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي دارسة تحليلية بلاغية نقدية) .

قام هذا البحث على دراسة وعرض ما ورد في "كتاب تمام المتون" من قضايا بلاغية ، ونقدية ، أضافة إلى ما يتصل بهذا المجال من إشارة إلى بعض ما كتبه في آثاره الأخرى .

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة . تحدثت في التمهيد عن عصرالصفدي وحياته وشيوخه وآثاره ، وعن ابن زيدون حياته ورسالته التي تعد العمود الفقري لهذا البحث .

وقد خصصت الباب الأول لعلم المعاني ؛ لآنّ علماء البلاغة الأوائل يقدمونه في دراستهم على علمي البيان والبديع ، على الرغم من أنّ أكثر ما أورده الصفدي في شرحه يدور في البيان والبديع ، وقد انحصرت الدراسة في الخبر والإنشاء ، والتقديم والتأخير ، والقصر .

وتناولت في الباب الثاني علم البيان ، ونجد أكثر الألوان البيانية استخداماً هي الاستعارة ، سواءً في الرسالة أو في تعليقات الصفدي ، ولا تكاد تجد تعليقاً مباشراً عن المجاز المرسل والعقلي ، أما التشبيهات : فأكثرها وروداً الضمني ، ثم التمثيل ، وأخيراً تناولت الكناية .

وفي الباب الثالث وهو الذي تناولت فيه علم البديع ، وهو أكثر العلوم البلاغية ذيوعاً في العصر المملوكي ، حيث كثرت فيه التصانيف نظماً ونثراً ، وتحدثت فيه عن المحسنات اللفظية والمعنوية ، ولعل أكثر أنواع البديع وروداً في الرسالة وشرحها ، هي الجناس والسجع في المحسنات اللفظية ، وحسن التعليل والمبالغة في المحسنات المعنوية .

وأما الباب الأخير _ القضايا النقدية _ فقد تبين ليّ أنّ الصفدي اعتمد في آرائه النقدية على ذوقه وفطرته ، ومهارته التي اكتسبها من كثرة اطلاعه ، ومساجلاته مع الأدباء في عصره .

وأوضحت فيه طريقة نقده وتناوله للنص الأدبي ، واهتمامه بمقياس الخطأ والصواب ، ومعرفة الجيد من الرديء ، والمقبول المستحسن من المرذول المستشنع . كما بينت مصطلحاته النقدية ، وتوثيقه للنصوص ، وآراءه في قضية اللفظ والمعنى ، والمفاضلة بين الشعر والنثر ، وغيرها .

النتائج

١. يعد كتاب "تمام المتون" من أهم الأسفار الخالدة التي تعد ذخيرة ومصدراً لأشعار الشعراء السابقين والمعاصرين له ، ومرجعاً لبعض العلوم التي قد تكون ضاعت مصادرها الأصلية ، ومن أهم الكتب التي تناولت القضايا البلاغية والنقدية من خلال عرض النصوص الأدبية .

٢. ما كتبه الصفدي وما تركه من آثار علمية يؤكد ويعبر تعبيراً صادقاً ، عن التطور الذي وصلت إليه الحياة الأدبية في العصر المملوكي .

٣. كما اتضح ليّ من خلال البحث أنّ هذا العصر الذي يسميه بعض النقاد بـ"عصر انحطاط الأدب" ، أنّ هذه التسمية فيها نظر وظلم لهذا العصر ؛ لأنّه شهد نتاجاً أدبياً راقياً ، وفيه علماء وأدباء أفذاذ ، أثروا الحياة العلمية والأدبية بما تركوا لنا من ذخائر نفيسة .

٤. أنّ الصفدي له معرفة واسعة بالأدب ، ودراية كاملة بفنونه ، فهو شاعر وأديب ، تجده يستشهد بكلام العرب نظماً ونثراً _ في كل العصور _ لإيضاح المعنى .

٥. اعتمد الصفدي في شرحه على منهج يقوم على دراسة ما كتبه العلماء السابقين ، وفهمه وشرحه شرحاً مهذباً ، يجعل المادة العلمية بعد حذف الحشو منها سهلة للقاريء .

٦. وقد اهتم بالشعراء عامة ، والمعاصرين له خاصة ، وظهر ذلك في كثرة استشهاده بأشعارهم .

٧. اعتمد في شرحه على الطريقة التحليلية ، التي يطغى فيها شرحه للنصوص بين الإيجاز تارة والإطناب تارة أخرى .

التوصيات

١. دراسة الشواهد القرآنية ، وشواهد الحديث النبوي ، والشواهد الأدبية من نظم ونثر في كتاب "تمام المتون" .

٢. تحقيق ودراسة بقية آثار الصفدي في مجالات البلاغة والأدب ، لأنّها غنية بالعلم والمعرفة ، مثل "حلى النواهد على ما في الصحاح من الشواهد" ودراسته كتبة اللغوية والبلاغية المطبوعة ، مثل كتاب "تصحيح التصحيف وتحرير التحريف"، و"نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهري من الوهم" ، وكتاب "جنان الجناس" ، و"فض الختام عن التورية والاستخدام" ، و"الكشف والتنبيه على التشبيه" وغيرها .

٣. دراسة منهج الصفدي من خلال الكتب التي ألفها .

المصادر والمراجع

- أبو ذؤيب الهزلي ، حياته وشعره ، نورة الشعلان ، ط ١٤٠٠هـ_١٩٨٠م ، شركة الطباعة العربية ، السعودية .
- الإتقان في علوم القرآن ، للإمام السيوطي ، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي ، ط٢ ، ١٤٢١هـ_٢٠٠٠م .
- الأدب العربي في العصر المملوكي ، للدكتور محمد كامل الفقي . مطبعة التقدم ، القاهرة ، ط١ .
- الأدب في العصر المملوكي ، للدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية ، جلال حزي وشركاه .
- أساس البلاغة ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م .
- أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- أسرار البيان ، لعلي محمد حسن العماري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣١٥هـ_١٩٦٥م .
- أشعر الشعراء الستة الجاهلين ، للعلامة يوسف سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتري ، شرح وتعليق دكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢١هـ_١٩٩٢م .
- الاعجاز والايجاز ، لأبي منصور الثعالبي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ _١٩٨٣م .

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط١٦ ، يناير ٢٠٠٥م .
- ألحان السواجع بين البادىء والمراجع ، للصفدي ، تحقيق محمد عائش ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة _ مصر .
- البداية والنهاية ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٦هـ_٢٠٠م .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاضي محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١، سنة ١٤١٨هـ_١٩٩٨م .
- البديع في البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن مرشد بن علي بن منقذ ، تحقيق عبده علي مهنا دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، سنة ١٤٠٧هـ_١٩٨٧م .
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، لأبي جعفر الضبي ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ_٢٠٠٥م .
- البلاغة تطور وتاريخ ، دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ .
- البلاغة فنونها وأفنانها ، دكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ط ١٤٢٨هـ_ ٢٠٠٧م .
- البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، دكتور مصطفي الصاوي الجويني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥م .
- البيان والتبين ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٦ ، ١٩٩٧م .
- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ، لشوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١١١٩ كورنيش النيل .
- تاريخ الامم والملوك ، للامام ابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،

ط٤ ، ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م .

• تاريخ دمشق ، للحافظ هبة الله بن عساكر ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ _١٩٩٨م .

• تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الأصبع زكي الدين عبد العظيم بن الواحد المصري ، تحقيق دكتور ، حنفي محمد شرف ، طبعة القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

• تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط٣ ، ١٣٩٤هـ_١٩٧٤م .

• التلخيص في علوم البلاغة ، للخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط ١٩٠٤م .

• الجامع الصحيح ، للإمام مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢هـ_١٩٩١م .

• الجامع الصحيح للإمام البخاري ، تحقيق أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٣م .

• جامع العبارات في تحقيق الاستعارات ، لأحمد مصطفي الطرودي التونسي ، دراسة وتحقيق دكتور محمد رمضان الحربي ، ط١ ١٣٩٥هـ_١٩٨٦م .

• جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق محمد رضوان مهنا ، مكتبة الإيمان ، ط١، ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م .

• جواهر الكنز تلخيص كنز اليراعة في أدوات ذوي البراعة ، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي ، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية .

• حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م .

• الحيوان ، لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١ ١٣٥٦هـ_١٩٣٨م .

• خزانة الأدب وغاية الأرب لأبي بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموى ،

تحقيق دكتورة كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، ط٢، سنة ١٤٢٥هـ_٢٠٠٥م .
• الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون ، لأبي بكر محمد عليم ، ١٣٤٥هـ_١٩٢٦م .
• دراسات في نقد الأدب العربي ، دكتور بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٥م .
• الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤٢٦هـ_٢٠٠٥م .
• دلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق دكتور محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ_١٩٩٢م .
• دمية القصر وعصرة أهل العصر ، لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي الباخرزي ، تحقيق على إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م
• ديوان ، التهامي ، تحقيق ، د . على نجيب عطوي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م .
• ديوان ابن التعاويذي ، تحقيق د . س . مرجليوث مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩٠٣م .
• ديوان ابن الرومي ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا ، دار مكتبة الهلال ، ط١، ١٤١١هـ_١٩٩٠م .
• ديوان ابن المعتز ، شرح دكتور يوسف شكري فرحان ، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ_١٩٩٥م .
• ديوان ابن النبيه المصري ، تحقيق عمر محمد الأسعد ، دار الفكر ، ط١ ، يناير ١٩٦٩م
• ديوان ابن حيوس ، تحقيق خليل مرام بك ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ_١٩٨٤م .
• ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر و د . حسين محمد نصار ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ_١٩٦٩م .
• ديوان ابن قلاقس ، تحقيق الدكتورة، سهام الفريح ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ط١، ١٤٠٨هـ_١٩٨٨م .
• ديوان ابن منير الطرابلسي ، تحقيق دكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٩٨٦م .

- ديوان أبي الأسود الدؤلي : صنعة أبي سعيد الحسن السكري ، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين مؤسسة ايڤ للطباعة والتصوير ، ط١ ، ١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢م .
- ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري المسمي بـ"التبيان في شرح الديوان" وضع فهارسه مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .
- ديوان أبي العتاهية وأشعاره وأخباره ، تحقيق دكتور شكري فيصل .
- ديوان أبي العتاهية ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٤هـ_١٩٦٤م .
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده علام دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ .
- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ، صنعة أبي هفان المهزمي المصري ، وعلى بن حمزة البصري التميمي ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل يسين ، دار مكتبة الهلال ط١ ، ١٤٢١هـ_٢٠٠٠م .
- ديوان أبي فراس ، تحقيق دكتور يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت .
- ديوان أبي فراس رواية أبي عبد الله بن خالويه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٦٥هـ_١٩٦٦م .
- ديوان البحتري شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ_١٩٩٥م .
- ديوان الخليل ، للشاعر خليل مطران ، دار مارون ، بيروت .
- ديوان الخنساء ، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، يروت ، لبنان ط ٣ ، ١٤٢٧هـ_٢٠٠٦ م .
- ديوان الشاب الظريف ابن العفيف التلمساني ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١٤٢٤هـ_٢٠٠٤م .
- ديوان الشريف الرضي لمصنفة أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ، وزارة الإرشاد الإسلامية إيران ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
- ديوان الشوقيات ، لأحمد شوقي ، السياسة والتاريخ والاجتماع .
- ديوان الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الضبي ، تحقيق دكتور إحسان عباس ، دار

الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠م .

• ديوان المتنبي ، تحقيق الدكتور إسماعيل العقباوي ، دار الحرم للتراث ، سوق الكتاب الجديد بالعتبة ، القاهرة .

• ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ_١٩٨٤ .

• ديوان جرير ، شرح دكتور يوسف عيد، دار الجيل ، بيروت ، ط١ .

• ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق دكتور وليد عرفان ، دار صادر ، بيروت .

• ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، جمعه وقدم له عبد الصاحب عمران الدجيلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٩م .

• ديوان صفي الدين الحلي ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، ١٣٨٢هـ_٩٦٢م .

• ديوان ظافر بن الحداد ، تحقيق د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، ٣٧ شارع كامل صدقي ، الفجالة .

• ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، عن أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ_١٩٧٩ .

• الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن على بن بسام الشنتريني ، تحقيق للدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ١٩٧٩م .

• سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون ، لجمال الدين بن نباتة المصري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦م .

• السلوك لمعرفة دولة الملوك ، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ _١٩٩٧م .

• شاعر السمو زهير بن أبي سلمى ، للدكتور عبد القادر الرباعي ، عالم الكنب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م .

- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م .
- شرح المفضليات ، للتبريزي ، أبو زكريا يحي ابن علي بن حمد الشيباني تحقيق على محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
- شرح ديوان أبي الطيب لأبي العلاء المعري "معجز أحمد"، تحقيق دكتور عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٤١٣هـ_١٩٩٢م .
- شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ_١٩٨٠م .
- شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق دكتور عمر الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ١٤١٨ هـ_١٩٩٧م .
- الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث القاهرة ، ط٢، ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، مطابع كوستا تسوماس وشركاه .
- صرف العين ، للصفدي ، تحقيق دكتور محمد عبد المجيد لاشين ، دار الآفاق العربية مدينة نصر، القاهرة ، ط١، ١٤٢٥هـ_٢٠٠٥م .
- الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية ، للدكتور نبيل محمد رشاد مكتبة الآداب القاهرة ، ط١، سنة ١٤٢١هـ_٢٠٠١م .
- الصناعتين ،لأبي هلال العسكري ، تحقيق دكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط٢ ، ١٤٠٤هـ_١٩٨٤م .
- ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ، للدكتور محمد زغلول سلام ، مكتبة النهضة

، مصر ، بالفجالة .
• طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناجي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي .
• طبقات الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق دكتور عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ _١٩٩٧م .
• عصر الدول والإمارات "الأندلس" ، للدكتور شوقي ضيف دار المعارف ، ط٤ .
• العصر المماليكي في مصر والشام ، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية ، بيروت ، القاهرة ، ط٢، ١٩٧٦م .
• عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، لمحمود رزق سليم ، ط٢ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٣٨٨هـ_١٩٦٢م .
• علم البيان ، للشيخ عثمان أبو النصر ، مطبعة أبو الحسن ، نمرة ٦ ، ١٣٥٧هـ_١٩٣٨م .
• علم البيان ، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د . بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية .
• علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ،لاحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م .
• العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت .
• عيار الشعر ، لابن طباطبا ، تحقيق ، دكتور عبد العزيز المانع مكتبة الخانجي ، القاهرة .
• الغيث المسجم في شرح لأمية العجم للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ _٢٠٠٣م .
• فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٤م .
• الفن ومذاهبه في النثر العربي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١١١٩ كورنيش النيل ، ط٤ ، ١٩٦٥م .
• فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي تحقيق ، الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

- في الأدب الأندلسي ، للدكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ .
- الكامل في اللغة، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ_٢٠٠٨م .
- كتاب أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله دراسة تحليلية ، لعمر فروخ بيروت ١٣٨٤هـ_١٩٦٤م .
- الكشكول ، لبهاء الدين العاملي ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي مفتى ليبيا .
- كنز العمال ، لعلاء الدين على بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، تحقيق الشيخ بكري حياتي ، وصفوت السقا ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، شارع سوريا ، ١٤٠٩هـ_١٩٨٩م .
- لزوم ما لا يلزم مما يسبق حرف الوري لأبي العلاء المعري ، شرح وتحقيق د . كمال اليازجي ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ_١٩٩٢م .
- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ط١.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، دار لكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ_١٩٩٨م .
- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، ط٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- مجمل اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة .
- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ترتيب محمود خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- المصطلح النقدي في نقد الشعر ، لإدريس الناقوري ، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ط٢ ، ١٩٨٤م .
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، للعلامة سعد الدين التفتازاني ، تحقيق دكتور عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار

الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ _١٩٩١م .

• مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت .

• المقدمة ، لعبد الرحمن بن خلدون ، مكتبة جزيرة الورد القاهرة ، ٤ ميدان حليم ، ط١ ، ٢٠١٠م .

• المنتظم في تاريخ الأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٥هـ_١٩٩٥م .

• المنجد في اللغة والآداب والعلوم ، للويس معلوف ، المطبعة الكاثولوكية ، ط ١٩ .

• الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، للأمدي ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ .

• النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، دار الثقافة والإرشاد القومي .

• نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، للدكتور عبد المنعم ماجد ، مطبعة الرسالة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، شارع محمد بك فريد ، ١٩٦٤م ،

• النقد الأدبي في العصر المملوكي ، للدكتور عبد العزيز قلقيلة ، ط١، ١٩٧٢م .

• النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه ، لمحمد علي سلطاني ، منشورات دار الحكمة ، دمشق .

• النقد التطبيقي عند الصفدي دراسة وتوجيه ، للدكتور ياسر بن سليمان شوشو ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م .

• نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ .

• النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، دكتور نعمة رحيم العزاوي منشورات ، وزارة الثقافة والفنون العراق ، ١٩٧٨م .

• نكت الهميان في نكت العميات ، للصفدي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م .

- الوافي بالوفيات ، للصفدي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ_٢٠٠٥م .
- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمدإبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق دكتور يوسف على طويل ودكتورة مريم قاسم طويل ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، سنة ١٤١٩هـ_١٩٩٨م .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ_١٩٣٣م .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
التمهيد	١
الصفدي عصره وحياته	٢
عصر المماليك الذي عاش فيه الصفدي	٢
الحياة الاجتماعية	٧
الحياة الدينية	١٠
الحياة العلمية والثقافية	١٣
ترجمة الإمام صلاح الدين الصفدي	١٦
شيوخه	١٧
أعماله	٢١
آثاره ومؤلفاته	٢١
مذهبه الفقهي	٢٣
دراسة وصفية لكتاب تمام المتون	٢٧
ترجمة أبي الوليد بن زيدون	٤٣
اسمه ونسبه	٤٣
شيوخه وثقافته وعلمه	٤٣

حياته السياسية والاجتماعية ٤٥
آثاره ٤٨
نص رسالة ابن زيدون الجدية ٤٩
الباب الأول : علم المعاني ٥٧
تعريف علم المعاني ٥٨
الفصل الأول : الخبر ٦٠
المبحث الأول : الخبر وأضربه والغرض من إلقائه ٦١
تعريف الخبر ٦١
أضرب الخبر ٦٢
أغراض الخبر ٦٣
أضرب الخبر وأغراضه في كتاب تمام المتون ٦٤
المبحث الثاني : الإنشاء الطلبي ٧٥
تعريف الإنشاء ٧٥
الإنشاء الطلبي في كتاب تمام المتون ٧٦
الاستفهام ٧٧
الأمر ٨٦
النهي ٩٠
التمني ٩٢
النداء ٩٣
الفصل الثاني : التقديم والتأخير والقصر ٩٦
المبحث الأول : التقديم والتأخير ٩٧
التقديم والتأخير في كتاب تمام المتون ١٠٠
المبحث الثاني : القصر ١٠٥
تقسيم القصر من حيث طرفيه ١٠٥

تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع ١٠٥
طرق القصر ١٠٧
القصر في كتاب تمام المتون ١٠٨
الباب الثاني : علم البيان ١١٥
تعريف علم البيان ١١٦
الفصل الأول : التشبيه ١١٨
تعريف التشبيه ١١٩
أركانه ١٢١
أقسامه ١٢١
التشبيه في كتاب تمام المتون ١٢٥
المبحث الأول : التشبيه المفرد ١٢٦
المبحث الثاني : تشبيه التمثيل ١٣٩
المبحث الثالث : التشبيه الضمني ١٤٧
الفصل الثاني : المجاز اللغوي ١٦٢
تعريف الاستعارة ١٦٣
أقسامها ١٦٤
الاستعارة في كتاب تمام المتون ١٦٩
المبحث الأول : الاستعارة التصريحية ١٧٠
المبحث الثاني : الاستعارة المكنية ١٧٧
المبحث الثالث : الاستعارة التمثيلية ١٨٧
المبحث الرابع : المجاز العقلي والمرسل ٢٠١
تعريف المجاز العقلي ٢٠١
تعريف المجاز المرسل ٢٠٢
المجاز في كتاب تمام المتون ٢٠٤

الفصل الثالث : الكناية ٢١٢
تعريف الكناية ٢١٣
الكناية في كتاب تمام المتون ٢١٦
المبحث الأول : الكناية عن صفة ٢١٩
المبحث الثاني : الكناية عن موصوف ٢٢٧
المبحث الثالث : الكناية عن نسبة ٢٣١
الباب الثالث : علم البديع ٢٣٣
تعريف علم البديع ٢٣٤
الفصل الأول : المحسنات اللفظية ٢٣٦
المبحث الأول : الجناس ٢٣٧
تعريف الجناس ٢٣٧
الجناس في كتاب تمام المتون ٢٣٨
المبحث الثاني : السجع ٢٤٢
تعريف السجع ٢٤٢
السجع في كتاب تمام المتون ٢٤٣
المبحث الثالث : الاقتباس والتضمين ٢٤٧
تعريف الاقتباس ٢٤٧
تعريف التضمين ٢٤٧
الاقتباس والتضمين في كتاب تمام المتون ٢٤٨
المبحث الرابع : الطلب ٢٥٦
تعريف الطلب ٢٥٦
الفصل الثاني : المحسنات المعنوية ٢٥٨
المبحث الأول : المذهب الكلامي ٢٥٩
تعريف المذهب الكلامي ٢٥٩

المذهب الكلامي في كتاب تمام المتون ٢٥٩
المبحث الثاني : التمثيل والشماتة ٢٦٥
تعريف التمثيل ٢٦٥
التمثيل في كتاب تمام المتون ٢٦٥
تعريف الشماتة ٢٦٧
الشماتة في كتاب تمام المتون ٢٦٧
المبحث الثالث : حسن التعليل ٢٦٩
تعريف حسن التعليل ٢٦٩
حسن التعليل في كتاب تمام المتون ٢٧٠
المبحث الرابع : المبالغة ٢٧٧
تعريف المبالغة ٢٧٧
المبالغة في كتاب تمام المتون ٢٧٨
المبحث الخامس : التورية ٢٨١
تعريف التورية ٢٨١
التورية في كتاب تمام المتون ٢٨٢
المبحث السادس : التقسيم والاستقصاء والإسجال بعد المغالطة ٢٨٦
تعريف التقسيم ٢٨٦
التقسيم في كتاب تمام المتون ٢٨٧
تعريف الاستقصاء ٢٩١
الاستقصاء في كتاب تمام المتون ٢٩٢
تعريف الإسجال بعد المغالطة ٢٩٥
الإسجال بعد المغالطة في كتاب تمام المتون ٢٩٦
المبحث السابع : العكس والتبديل والحل والعقد **وإرسال** ٢٩٨

المثل .....
تعريف العكس والتبديل ٢٩٩
تعريف الحل والعقد ٣٠٠
الحل في كتاب تمام المتون ٣٠١
العقد في كتاب تمام المتون ٣٠٥
تعريف إرسال المثل ٣٠٦
الباب الرابع : القضايا النقدية ٣١٢
تعريف النقد ٣١٣
الفصل الأول : الصفدي الناقد ٣١٦
المبحث الأول : طريقة الصفدي النقدية ٣١٧
المبحث الثاني : طريقة اختياره للنصوص ٣١٩
المبحث الثالث : الذوق الأدبي عند الصفدي ٣٢٢
المبحث الرابع : مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي ٣٢٨
المبحث الخامس : توثيق النصوص ٣٣٠
الفصل الثاني : المصطلحات النقدية ٣٣٧
المبحث الأول : الاستحسان والتعديل ٣٣٨
المبحث الثاني : الاختلاس ٣٤١
المبحث الثالث : الحوشي ٣٤٣
المبحث الرابع :العذوبة ٣٤٤
المبحث الخامس : الظرافة ٣٤٦
المبحث السادس : الفصاحة ٣٤٧
الفصل الثالث : القضايا النقدية ٣٤٨
المبحث الأول : السرقات الأدبية ٣٤٩
قضية السرقات الأدبية عند الصفدي ٣٥٠

أمثلة لبعض السرقات التي تناولها الصفدي ٣٥١
المبحث الثاني : الموازنات ٣٥٥
الموازنات عند الصفدي ٣٥٦
المبحث الثالث : المفاضلة بين الشعر والنثر ٣٥٨
المبحث الرابع : اللفظ والمعنى ٣٦٢
حقيقة اللفظ والمعنى عند الصفدي ٣٦٤
المبحث الخامس : نقد الصفدي لبعض نصوص ابن زيدون ٣٦٦
الخاتمة والنتائج والتوصيات ٣٨٤
الخاتمة ٣٨٥
النتائج ٣٨٧
التوصيات ٣٨٨
الفهارس ٣٨٩
فهرس الآيات ٣٩٠
فهرس الأحاديث ٣٩٧
فهرس الأشعار ٣٩٨
فهرس الأعلام ٤١٤
فهرس القبائل ٤٢٩
فهرس الأماكن ٤٣٠
فهرس المصادر والمراجع ٤٣٢
فهرس المحتويات ٤٤٢